



من داخل أروقة
مجالس بغداد الثقافية

أبحاث في التراث العربي الإسلامي

الباحث
محسن جبار العامري



من داخل اروقة مجالس

بغداد الثقافية

ابحاث

في التراث العربي الاسلامي

الباحث

محسن جبار العارضي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى بغداد

1433هـ-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وما أُوتِيتُمْ منَ الْعِلْمِ الا قَلِيلًا)*

صدق الله العلي العظيم

الاهداء :

الى الرعيل الاول من رواد الثقافة والعلوم والآداب في
العراق الحديث، لاسيما الذين اخذوا بيدي على هذا
الطريق، اهدي جهدي المتواضع، وفاءً لذكراهم العطرة.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" المجادلة/11

"صدق الله العلي العظيم"

كان الناس قديماً، لاسيما الاغريق والرومان، يجتمعون في الاسواق والساحات والاماكن العامة للمناظرة والنقاش في القضايا المرتبطة بالحياة العامة، والذي يزيد من اهمية تلك الاجتماعات حضور اناس ذوي مكانة اجتماعية عامة او سياسية او ادبية خاصة، للاشتراك في مناقشاتها.

وفي العصور الوسطى وما تلاها، كثيراً ما كانت تجري النشاطات والمعارك الادبية والفكرية في قصور الملوك والحكام والولاة، وكان لكثير من هؤلاء الملوك والحكام، اعداد غير قليلة من الشعراء والادباء الذين يتبنون افكارهم ويدافعون عنها ويروجون لها بين الخاصة والعامة.

وفي الازمنة الحديثة، ظهرت الصالونات الادبية في بعض البلدان العربية والاسلامية، لاسيما مصر، التي كان العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري ومي زيادة صالونات مميزة فيها .

وفي بلدنا العراق، لم يكن ضهور المجالس الادبية مقتصرًا على العاصمة بغداد فحسب، انما كان هناك ضهور ملفت في المدن العراقية الكبرى التي اشتهرت بكثرة شعرائها وادبائها⁽¹⁾، الامر الذي حفز الحركة الادبية والفكرية في العراق على ان تاخذ زمام المبادرة وتستفيد من هذه المجالس التي كانت العاصمة بغداد تحظى بالنصيب الاكبر منها، على اعتبار انها الوسيلة الناجعة المعول عليها للتواصل بين الرعيل الاول من رواد العلم والمعرفة وباقي شرائح المجتمع العراقي (التي كانت

(1) القيسي، د. سلمان عبد الجليل، من حديث المجالس الادبية والمنتديات الثقافية في بغداد، أ. هاتف عزيز"، مؤسسة البلداوي الثقافية للطباعة والنشر، ط2، بغداد 2009م، ص19.

تعاني من الآثار القاتلة للفقر والجهل والمرض)والاخذ بيدها نحو اسباب التقدم والازدهار، الامر الذي جعل هذه المجالس تتمتع باهمية خاصة، لانها شكلت الى جانب المؤسسة التربوية الرسمية(بمراحلها الثلاث)ثنائي اخذ على عاتقه القيام بمهمة انسانية على قدر كبير من الاهمية، لا لشيء إلا لكون الشعب العراقي وقتئذ، كان يعاني من الامية، بسبب سياسة التجهيل المتعمدة التي اعتمدها الاستعمار العثماني لفترة تجاوزت اربعة قرون تقريبا.

ولقد ظلت المجالس الادبية والثقافية في العراق ، لاسيما البغدادية منها، ومنذ العقد الاول من القرن العشرين، تمارس دورها العلمي والادبي لردم الهوة بين العراق والعالم المتقدم، بالرغم من كل الظروف الصعبة التي واجهتها بسبب المتغيرات السياسية والاقتصادية التي مرت على العراق الحديث طيلة فترة الحكم الاهلي (1921 - 1958م).

لكن بؤادر الامل اخذت تلوح في الافق بعد ان تفجرت ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م ،حيث تفتحت الابواب واسعة امام الجماهير العراقية الراغبة في التغيير الجذري في جميع جوانب الحياة ،بما فيها الاجتماعية والثقافية. علما ان هذا الانتعاش في الحركة الفكرية والثقافية العراقية لم يدم طويلا، بل اخذ يعاني من التراجع الواضح بعد انتكاسة ثورة 14/تموز/1958م في 8/شباط/1963م وسيطرة الانقلابيين على مقاليد الامور في البلاد.

ولكن الذي زاد الطين بلة بعد هذا التاريخ، السياسة الشمولية التي جاءت بها حركة 17 . 30/تموز/1968م الانقلابية، حيث اصبحت سياسة الدولة وحزبها القائد (البعث) تتميز بكم الافواه، وخنق الرأي الحر، والتضييق على حرية التعبير، لقمع اية معارضة محتملة، آنية او مستقبلية.

ولعني لا ابالغ، اذا ما قلت بان خطورة هذه السياسة كانت تكمن في اصرار السلطة الدكتاتورية عليها وبشكل تعسفي حتى انهيارها في 9/4/2003م ، الامر الذي فرض على المجالس الثقافية ان تاخذ على عاتقها مهمة التصدي للوضع الشاذ الذي

فرضته السلطة الانقلابية، بحيث اصبحت مع هذه المهمة، تؤدي دورا مهما ورياديا، كونها كانت تعد الوسيلة الوحيدة التي يلتقي من خلالها المثقفون والمتعلمون ببعضهم ليطلعوا على ما يدور من حولهم، من جهة، ويتواصلوا مع الحركة العلمية والادبية والثقافية العالمية، من جهة اخرى، فينهلوا من معينها قدر المستطاع، وذلك من اجل تقويض الممنوعات، والحد من تاثير الحواجز التي اوجدتها الدكتاتورية وسياستها الشمولية، التي تميزت كما اسلفنا بالكبت والحرمان وكم الافواه وعدم القبول بالآخر، مهما كانت الافكار التي ينادي بها ويعمل من اجلها.

وبناءً على ما تقدم . وحتى تتوفر اسباب النجاح، للمشروع الحضاري العراقي . كان الاصرار من قبل المثقفين على ارتياد مثل هذه المجالس بالرغم من كل الضغوط التي كانت تمارس بحقهم، والرقابة الشديدة التي كان النظام المنهار يتبعها، عن طريق بث العيون والجواسيس، الذين كانوا لا يترددون ولو للحظة واحدة عن التدخل في الصغيرة والكبيرة، من اجل توجيه المجالس الثقافية وتوظيف غاياتها النبيلة لخدمة سياستها الشمولية المقيتة، التي كان من تداعياتها ذلك الفراغ الفكري والاحباط السياسي الذي كان المواطن العراقي وما زال يعاني منه الكثير، بالرغم من مرور عدة سنوات على انهيار الدكتاتورية.

وجدير بالاشارة هنا، الدور الوطني الذي تبنته المجالس الثقافية بعد التاسع من نيسان عام 2003م، وذلك من خلال تصديها لنشر المفاهيم الوطنية وترسيخها، التي نعتقد جازمين، بان شعبنا اليوم، احوج ما يكون اليها، اكثر من اي وقت مضى، للوقوف بوجه الموجة العارمة التي تدعو الى الطائفية المقيتة والقومية المتعصبة والمناطقية المغلقة، التي يُخاف منها على وحدة العراق ارضا وشعبا وسيادة، نهايك عن الاهداف النبيلة التي قامت من اجلها اصلا، والمتمثلة بنشر العلم والمعرفة والادب والثقافة والفنون الاصلية الاخرى، التي تُعد بحق من اهم جسور التواصل بين الشعوب والامم.

ونحن نعتقد ان الاهتمام الرسمي والشعبي بالمجالس الثقافية، يعد واجبا وطنيا واخلاقيا، لانها كانت وما زالت تمثل بمجموعها، المدارس التي تعلم ويتعلم فيها الكثير من الرواد (ومنهم كاتب السطور)، كيف يستمعون؟ وكيف يناقشون؟ وكيف يكتبون؟ واذا ببعضهم اليوم يمثلون اعمدة لا يستهان بها في الوسط الثقافي العراقي، الذي ظل ينهل من آثارهم الادبية والفكرية، وسيبقى كذلك، كونها تمثل المعين الذي لا ينضب امام طالبي العلم والمعرفة

وبالاجمال، يمكن القول: ان الوضع الذي يمر به العراق اليوم، والذي يعد من تداعيات الاحتلال البغيض، يفرض على الجميع (شعبا وحكومة) الالتفاف حول المجالس الثقافية ومساعدتها على اداء رسالتها الوطنية من خلال توفير ما تحتاجه من اسباب، تساعدنا على ذلك.

الى هنا، نكتفي بما قدمناه من حديث، للتعريف بالمجالس الثقافية ودورها المهم في المجتمع، للنقل وبشكل مباشر الى الحديث عن الظروف التي ساعدتنا على انجاز هذا المطبوع الذي ظل بدون عنوان، الى ان عرضنا فكرة اصداره على استاذنا وصديقنا العزيز أ.د. حميد مجيد هذو الذي تقضل مشكورا باختيار عنوانه الحالي الموسوم: (ابحاث في التراث العربي الاسلامي) لما له من علاقة واضحة بالبحوث العشرة التي تضمنها الكتاب، والتي توزعت على بابين:

الباب الاول يحمل عنوانا هو: في التراث العربي، وتضمن البحوث الاتية:

. عين بغداد.. الكاظمية المقدسة.. تاريخ مشرق

. بغداد السلام في ذكرى تاسيسها

. بنو ربيعة.. رجال ومواقف

. التوأمان.. العنصرية والحركة الصهيونية

اما الباب الثاني فيحمل عنوانا هو: في التراث الاسلامي، وتضمن البحوث الاتية:

. الاعجاز القرآني واثره على موقف العرب من القرآن الكريم

. قراءة في كتاب الختيزي... ابو طالب مؤمن قريش... دراسة وتحليل

. شذرات من السيرة العلوية

. الامام الحسن الزكي "ع"...نفحات من السيرة العطرة

. الحرية في الحضارة الاسلامية...مفهوما وتطبيقا

. مقاربات موضوعية بين الاسلام والديمقراطية

وهذه الابحاث العشرة، يضاف لها ثمانية ابحاث اخرى، تناولت التاريخ السياسي للعراق الحديث، تمثل بمجموعها المحاضرات التي القاها في مجالس بغداد الثقافية خلال عقد من الزمان تقريبا (2001 . 2011م)، والى جانب هذه وتلك، كانت لي اربعة اصدارات، الاول منها: تناول ابحث في نسب وتاريخ ومواقف قبيلة بني عارض الشمرية الطائفة (التي يشرفني الانتساب اليها) منذ نزوحها من منطقة العارض (احدى مناطق صحراء نجد في الجزيرة العربية) وحتى استقرارها في منطقة طحربة (من اعمال لواء الديوانية سابقا) اواسط القرن السابع عشر الميلادي، ضمن هجرة قبيلة شمر الكبرى.

بينما تناولت الثلاثة الاخر: البحث في التاريخ السياسي للعراق الحديث (اي منذ الاحتلال البريطاني الذي بدأت طلائعه باحتلال شبه جزيرة الفاو عام 1914م وحتى الاحتلال الامريكي عام 2003م) وما افرزه من تداعيات خطيرة على المجتمع العراقي وكيانه السياسي الحديث، الذي تأسس عام 1921م.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد، الدور الكبير والبناء لمجالس بغداد الثقافية، التي لولاها لنا تمكنت من انجاز ولو جزء يسير من الاعمال التي ذكرت في اعلاه.

عليه، ومن باب العرفان بالجميل، لا بد لي ان اقول (وبكل فخرا واعتزاز) بانني سوف ابقى مدينا ما حييت لهذه المجالس الموقرة، ولروادها الكرام، من العلماء والادباء والشعراء والكتاب والفنانين والاعلاميين وغيرهم الكثير من جبهة العلم المعرفة، الذي كان لهم الاثر الكبير في سقل وتنظيم وتوجيه ما قرأته في الكتب، فضلا عن المهارات والمعارف الاخرى التي اكتسبتها من خلال المشاركة في الحوارات التي كانت تجري بعد الفراغ من كل محاضرة في هذا المجلس او ذاك، والتي قد تغني

المستمع الراغب في التعلم(في بعض الاحايين) عن قراءة كتاب او اكثر،وهذا يعني فيما يعنيه،توفي الجهد والوقت والمال الذي قد لايستطيع البعض من رواد المجالس توفيره لظروف خاصة .

ونحن اذ نتحدث عن العرفان بالجميل،وحتى ياخذ هذا الموضوع مداه الحقيقي،لابد من الاشارة الى الدور المميز لشخصين اثنين،هما:

. شيخ بغداد أ.د. حسي علي محفوظ (طيب الله ثراه).

- الاستاذ محمد بن الشيخ عيسى الخاقاني،منسق جلسات مجلس الخاقاني الثقافي.

فالشيخ الجليل،وبعد ان خصّ كتابي الاول بمقدمة معتبرة تصدرت صفحاته الأولى،توطدت بمرور الزمن علاقتي به،فكنت الجأ اليه في كل معضلة تواجهني،حيث وجد فيه الاب العطوف والصدر الرحب والاستاذ الملتزم الذي لايتاخر ولو للحظة واحدة عن الاجابة عن جميع الاسئلة التي كنت اطرحها عليه(وهو جليس داره)مرة بعد مرة،وبالتكرار الممل.

اما الاستاذ محمد الخاقاني الذي لم ولن انسى فضله،فلقد كان معي،كما كان مع غيري كريما غاية الكرم،وذلك من خلال الروح العالية التي وجدتتها بين جنبيه،والتي تميزت عن غيرها باستعدادها الدائم لاحتضان الطاقات الشابة التي تحاول الافادة من الموضوعات التي تطرح في المجالس الثقافية،الامر الذي شجعني على تقديم طلب الى ادارة المجلس ،يتضمن السماح لي بالقاء محاضرة من على منبره.

وما هي الا ايام،حتى جاء الرد بالايجاب ،فكانت المحاضرة الاولى والثانية والثالثة،من ثم الرابعة التي القيتها يوم 10/شباط/2003م بغياب الاستاذ محمد الخاقاني،الذي كان قد سافر وبشكل مفاجئ الى دولة الامارات العربية المتحدة. واكاد اعتقد ان سفره المفاجئ كان مرتبطا بالوضع الحرج الذي كان العراق يمر به بسبب الهجمة الاستعمارية التي قادتها الولايات المتحدة الامريكية ضده بحجة

البحث عن اسلحة الدمار الشامل من جهة.ولاسقاط النظام القائم وتخليص الشعب العراقي من ظلم وتعسف السلطة الدكتاتورية من جهة اخرى.

لم تستمر جلسات المجلس على حالها بسبب الظروف الطارئة التي احاطت بالعراق وقتئذ.فبعد ان شارف منهاج شهر شباط/2003م على النهاية،بدات الادارة التحضير لمنهاج الشهر الذي يليه(اذار/2003)الذي لم تنفذ منه سوى جلستين على ما اتذكر،كانت احدهما للشاعر الاستاذ داود الرحماني.في حين كانت الجلسة الثانية،مجرد حضور بعض الرواد ليس الا.ولان المجلس توقف عن الانعقاد فيما بعد،اصبحت هذه الجلسة بحكم الاخيرة،لان القوات الامريكية والقوات البريطانية المتحالفة معها،كانت قد بدات عدوانها الغادر على العراق فجر يوم 20/3/2003م،زما هي الا ايام (21يوما)حتى انهارت الدكتاتورية(يوم 9/4/2003م)ليصبح العراق بلدا محتلا بموجب الوضع الجديد الذي تكرر رسميا بموجب قرار مجلس الامن ذي الرقم 1483 في 22/5/2003م.

وبما ان الاحتلال لايبقي ولايذر، تدهورت الحياة العامة في البلد اياما تدهور،كان من تداعياته تفكك دوائر ومؤسسة الدولة بعد ان سبقتها الى ذلك الاجهزة الامنية المسؤولة عن توفير الحماية لها،ولباقي مؤسسات المجتمع المدني،ومنها بالطبع مجالس بغداد الثقافية التي توقفت عن اداء رسالتها العلمية والادبية لفترة ليست بالقصيرة،الى ان حل يوم 7/7/2007م،حيث انعقدت الجلسة الاولى لمجلس المحامي رؤوف الصفار الثقافي/الكتظمية،اعقبته مكتبة الجوادين العامة/الكاظمية، التي عاودت نشاطها الثقافي هي الاخرى يوم 6/12/2007م،تلاها بعد ذلك مجلس الخاقاني الثقافي الذي عقد اول جلسة له في خريف العام 2008م،برعاية شيخ بغداد أ.د.حسين علي محفوظ،في ديوان الحاج عبدود الجواهري/الكاظمية.

والجدير ذكره في هذا الصدد ،عدم توقف مجلس الربيعي الادبي/الكرادة عن عقد جلساته بالرغم من كل الظروف الصعبة التي عانت منها جميع المدن العراقية،بما فيها العاصمة بغداد.

اما جمعية النهوض الفكري/الكاظمية،فلقد كانت السبّاقة في هذا المجال،كونها باشرت عملها منتصف العام 2003م ،ولكنها لم تستمر في العطاء،بعد ان حاصرتها الظروف الطارئة،كما اسلفنا،لاسيما بعد ان تعرض رئيسها سماحة الشيخ حسين الحارثي(رحمه الله)للاغتيال ابان موجة العنف الطائفي التي اجتاحت البلاد وقتئذ

لم تستمر جمعية النهوض الفكري/ الكاظمية في التوقف عن العمل،اذ عاودت نشاطها من جديد في العام 2007م مع شقيقاتها الاخريات من مجالس بغداد الثقافية،التي وصل عدد العامل منها،الى ما يقارب الـ (24) مجلسا،انضوت معظمها تحت خيمة رابطة المجالس الثقافية البغدادية،التي تاسس منذ عامين تقريبا . ندعو الله مخلصين ان يسدد خطى العاملين عليها،لاسيما رئيسها الاديّب الاستاذ صادق الحاج جلسم الربيعي،لما فيه خير الوطن والامة،انه على ما يشاء قدير، والعاقبة للمتقين،وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين،وصحبه المنتجبين،ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

الباحث/محسن جبار العارضي

1/شوال/1430هـ

الموافق 31/اب/2011م

الباب الاول

في التراث العربي

- . عين بغداد "الكاظمية المقدسة" تاريخ مشرق
- . بغداد السلام في ذكرى تاسيسها
- . بنو ربيعة...رجال ومواقف
- . قضايا عربية...التوأمان...العنصرية والحركة الصهيونية

مجلس الخاقاني الثقافي

الكاظمية المقدسة

عين بغداد

"الكاظمية المقدسة"

تاريخ مشرق

تمهيد:

يخيل لي ان مهمة الكتابة عن الدور الوطني لأي شخصية وطنية ، او لأي (حزب سياسي اوجمعية ،قبيلة او مدينة) مهمة صعبة ومعقدة قلما تجد كاتباً يفي حق العلم (بفتح العين واللام) الذي يكتب عنه ، وذلك لاختلاف وجهات النظر حول بعض الاحداث التاريخية التي يتناولها البحث ، مما ينتج قصوراً في هذا الجانب او ذاك ، يفهم منه على انه انحيازاً لهذه الجهة او تلك .

عليه ، واذا ما اراد الكاتب ، اي كاتب ان يلج مثل هذا الموضوع ، ان يلتزم الحياد الايجابي عند الكتابة وينقل الخبر بعد تحقيقه وتدقيقه بامانة ، مع التعليق عليه بما يخدم المهمة الوطنية الكبرى التي من شأنها تربية الجيل الجديد تربية وطنية مسؤولة بعيدة كل البعد عن الطائفية المقيتة والعنصرية المتعصبة والمناطقية المنغلقة ، فضلاً عن نشر وترويج المفاهيم الوطنية والديمقراطية ، التي ان ترسخت في النفوس سوف تنتج قيماً جديدة يحتاج اليها الوطن والمواطن في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ شعبنا اكثر من اي وقت مضى ، لا لشيء ، الا لكونها تدعو الى : الاعتزاز بالهوية الوطنية وتغليبها على الهويات الفرعية ، بما يمهد الطريق لبروز الشخصية العراقية المتميزة ، التي لا يمكن ان تاخذ مداها الحقيقي من دون الدعوة الى تغليب المواطن العراقية على ما سواها ، المواطن التي يجب ان تكون انتماءً اجتماعياً لا مفهوماً سياسياً . والى جانب هذا وذاك فهي تدعو ايضا الى : التركيز على المفهوم الديمقراطي في بناء الدولة، وذلك من خلال اعادة الاعتبار لمفهوم الديمقراطية .

وعود على بدء ، والتزاما بالمنهجية التي تعد شرطاً لازماً للبحث ، اجملت موضوع البحث ، الموسوم (عين بغداد..الكاظمية المقدسة..تأرخ مشرق)* بمقدمة وثلاثة مباحث :

الاول : لمحة تاريخية عن دور الكاظمية العلمي والوطني منذ قرنين من الزمن .

الثاني : دور الكاظمية في الحركة الجهادية عام 1914 م .

الثالث : دور الكاظمية في الاعداد لثورة العراق التحريرية عام 1920م ومن ثم الاشتراك في احداثها وما اعقبها من نتائج .

* القيت المحاضرة لأول مرة في مجلس الخاقاني الثقافي/الكاظمية المقدسة،يوم السبت الموافق 13/حزيران/2009،وقد ادر الجلسة الاعلامي والصحفي المبدع السيد عادل العرداوي.علما ان المحاضرة القيت فيما بعد في مجالس بغداد الثقافية التالية:

- جمعية النهوض الفكري /الكاظمية ،يوم الجمعة الموافق 10/تموز/2009م وقد ادار الجلسة المهندس ،أ.حسين الزياي.

- قاعة التوحيد،مدرسة الامام الخالصي الكبير/في الكاظمية ،يوم الاحد الموافق 18/7/2010م.وقد ادار الجلسة سماحة الشيخ حسن الجبوري.

- مجلس الشيخ المنصور الثقافي/الكاظمية، يوم الاثنين الموافق 2/5/2011،وقد ادار الجلسة الاعلامي والصحفي المبدع السيد عادل العرداوي.

المقدمة:

الكاظمية عين بغداد ، وبغداد عين العراق ، والعراق عين الدنيا، هي ثلاثة العتبات المقدسة في العراق ، وسادسة العتبات المقدسة في الوطن العربي والعالم الاسلامي .

الكاظمية اخت بغداد ، وَلِدَةُ بغداد ،وتَرْبُ بغداد *، تجمعها بداية واحدة وتاريخ واحد . تعود بدايات الكاظمية الى بداية تاريخ بغداد قبل الاسلام وبعده . عاصرت بغداد الحضارة في العراق ، ورافقت الكاظمية التاريخ منذ ابتدائه . والكاظمية مدينة مقدسة صَحَّ فيها نبيا مدفونا كما قال عبد الله بن احمد بن حنبل (رض) وهي مدينة (دين وعقيدة ، وحضارة ومدنية ، وعلم وادب ، وزراعة وصناعة ، وفلاحة وملاحة ، وزيارة وتجارة) . جاوز عمر الكاظمية اثني عشر قرناً من تاريخ الاسلام، وهي منسوبة الى الكاظمين ، الامام (الكاظم) موسى بن جعفر (183هـ) وحفيده الامام (الجواد) محمد بن علي الرضا (220هـ) . تعتز الكاظمية بسكانها الكرام واهلها الطيبين . وتقخر بالسادات و الاشراف من ذريات اهل البيت ، وتباهي بالقبائل والعشائر(التي نالت شرف السكن بجوار الامامين الكاظمين "ع" نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : "بني تميم ، بني اسد،بني عقيل، بني شيبان، بني سلامة،طي ،خزاعة،خفاجة،شمر ، كنانة ، الجبور ، العبيد ، الخزرج، الانباريين، المجمع ، ربيعة ،العزة ، الدليم ، ابو عامر ، المسارة ، الكروية ، الشيبية ، الحروب ، القشعم ، السميلات، العنكبكية ، الحمدانية ، الحيايلية،بني سعد)، والاسر المشهورة ، والبيوتات المعروفة، ولاسيما البيوت التي خدمت العلم والادب والمجتمع والدين منذ القديم (1)

* اللِّدَة (ج) لِذَات وَلِئْن : التَّرْب وهو الذي وُلِدَ معك او تَرَبَّى معك . يقال (هو لِئَنِّي) اي تَرَبَّى .

ينظر :معلوف،لويس،المنجد في اللغة،ط35،طهران1996،ص719.

(1) سطور من اوراق علامة العراق الراحل ، أ.د حسين علي محفوظ بغداد 2008م

فيها من المحلات اربع : (الشيخوخ ، التل ، القطانة ، الدبخانة) ومن اطرافها المشهورة:(طرف الانباريين ، طرف البحية، طرف السميلات ، طرف البو هيازع، طرف العبيد ، طرف الزراعة ، طرف النواب ، طرف العكيلات).

وفيها ايضا: (ام النومي ، عكد السادة،الكنعانية النعشخانة ،الفضوة .فضوة الشيخ ال ياسين .). وفيها من الاسر العلمية المشهورة الكثير، نذكر منها:(آل شبر، آل الحيدري ، آل الخالصي ، آل اسد الله ، آل الصدر آل الاعرجي، آل ياسين).

وفيها من المجالس الادبية والثقافية التي باشرت نشاطها العلمي والادبي في ستينات وسبعينات القرن العشرين:(مجلس الشيخ محمد حسن ال ياسين،مجلس الاثلاثاء للعلامة حسين علي محفوظ).ومن المجالس الثقافية التي انعقدت فيها تباعا واخر القرن العشرين ولازال البعض منها يمارس دوره الادبي والعلمي بهمة ونشاط:(مجلس الكاظمية لآل الخاقاني الثقافي(1989م)،منتدى بغداد الثقافي(1990م)،الندوة الادبية لجمعية النهوض الفكري في الكاظمية(2003م)،مجلس المحامي رؤوف الصغار الثقافي(2007م)مجلس مكتبة الجوادين العامة الثقافي(2007م)مجلس الباقيات الصالحات الثقافي(2008م)مجلس الجواهرية الثقافي(2010م) مجلس الشيخ تادكتور محمد هادي المنصور الثقافي الثقافي(2010)واخيرا مجلس سماحة الشيخ تادكتور محمد هادي المنصور الثقافي (2011م)

اشتهرت الكاظمية منذ البداية بصناعة النسيج (الحياكة) ، والطابوق ، والجلود (الدباغة) ، وصناعة الامشاط، ومن اوائل مواكب عزاء الحسين(ع) فيها ايام التعازي في المحرم وصفر والوفيات خمسة ، وهي:(موكب الشيخوخ، موكب طرف الانباريين ، موكب طرف البحية ، موكب الدبخانة ، موكب الجواهرية)

ومن مآثر الكاظمية ، لاسيما الاسرة الجواهرية ، ان بيوتهم القديمة في محلتهم في الكاظمية (شمالي شرقي الحضرة الكاظمية) كانت ملجأ الكبار ، ومعتصم رجالات البلد الذين تصدوا لمقاومة الاحتلال البريطاني للعراق في 11/آذار/1917م ،

ومهدوا الطريق لقيام ثورة العشرين التحررية الوطنية الكبرى ، يتخفون في حجراتها وغرفها وسراديبها . والمأثور ان الملك فيصل الاول توج في بيوت الجواهرية أولاً ، وقلد السيف في صحن الحضرة الكاظمية ، ثم توج في (القشلة) وهي دار الحكومة في بغداد، من بعد "اي في 23/اب/1921م".

من دفناء الصحن الكاظمي المشهورين:(الشيخ المفيد ، وبجانبه استاذة وشيخه الشيخ الصدوق "ابن قولويه" في الجانب الشرقي من الضريح المقدس ، اما الجانب الغربي منه ، فيرقد فيه المحقق الثبت الخواجة نصير الدين الطوسي) . ومن دفناء الصحن الكاظمي المتأخرين : (السيد اسماعيل بن السيد صدر الدين الصدر ، وانجالة الثلاثة "حيدر، محمد مهدي ، محمد جواد"، والسيد محمد بن السيد حسن الصدر ، خطيب العراق الاول الشيخ كاظم ال نوح ، الشيخ محمد الخالصي ، الشيخ راضي الخالصي ، السيد محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني والى جانبه نجله السيد جواد الحسيني ، ومخمس القصيدة الازرية الشيخ محمد جابر الكاظمي، وخطيب المنبر الحسيني الشيخ هادي شطييط الطائي، والمحقق والباحث والكاتب العلامة الشيخ محمد حسن ال ياسين ، واخيرا شيخ بغداد أ . د حسين علي محفوظ)تغمدهم الله جميعا برحمته الواسعة واسكنهم فسيح جناته ، انه نعم المولى ونعم النصير .

1. المبحث الاول:

لمحة تاريخية عن دور الكاظمية العلمي والوطني منذ قرنين من الزمن:
يقول شيخ بغداد أ.د حسين علي محفوظ (طيب الله ثراه) عن مدينة الكاظمية كما اسلفنا بانها مدينة : (علم وادب ،وزيارة وتجارة ، وزراعة وصناعة ،وفلاحة وملاحة)، ويقول عنها ايضا : (هي اختُ بغداد، وتربُ بغداد ، وهي والاعظمية والكرادة والكرخ والرصافة من حدود بغداد) والذي يهمننا من هذا التقييم ، المقطع الاول ، الذي يقول عنها انها مدينة(علم وادب). فهذه المدينة لها خصوصيتها من بين مدن العراق الاخرى ، لميزتين:

الميزة الاولى: انها مدينة علم يكثر فيها العلماء وما يتبع ذلك من مدارس وطلاب علم يرتادونها من شتى ارجاء المعمورة . ومن المدارس والحوزات العلمية التي اشتهرت فيها : مدرسة المقدس السيد محسن الاعرجي (1130هـ . 1227هـ الموافق 1718م . 1812م)(1) ، ومدرسة ال السيد حيدر في الحسينية الحيدرية(2) ، والمدرسة (الزهراء) للشيخ مهدي الخالصي الكبير (1276هـ - 1343هـ الموافق 1862م . 1925م) والتي استمرت في اداء رسالتها منذ تاسيسها عام 1911م وحتى منتصف السبعينات من القرن العشرين ، حيث توقفت في حينها بعد هجرة الشيخ مهدي الخالصي . الحفيد. لتعود ثانية الى ممارسة دورها الجهادي والعلمي بعد انهيار الدكتاتورية يوم 9/4/2003م.(فكانت كلية مدينة العلم

(1) التي كانت قائمة بجانب السور الشمالي للروضة الكاظمية ، مقابل باب الجواهرية (السقائين) والتي ضمت فيما بعد جثمانه الطاهر)

ينظر : الصدر ، السيد حسن ، ذكرى المحسنين، تحقيق وتعليق عبد الكريم الداغ، تقديم أ.د حسين علي محفوظ ،بغداد 2001م ، ص101.

(2) التي تاسست في الربع الاخير من القرن التاسع عشر (1297هـ الموافق 1879م) بمساعدة من مشير الملك الفاجاري .فارخ ذلك المرحوم الشيخ محمد جابر الكاظمي (مخمس القصيدة الازرية الالفية ، التي كانت في الف بيت ، ولكن لم يبق منها الا النصف)قائلا :

(مشير الملك شيدها فأرخ هي الفردوس شيدها المشير)

واني لاشكر الاخ الفاضل السيد اسد الله محمد علي الحيدري على تزويدي بالمعلومات اعلاه.

الجامعة التي تأسست عام 2005م واحدة من تشكيلاتها العلمية جنبا الى جنب مع بقية التشكيلات الاخرى)، وحوزة ال الصدر الدينية ، وحوزة الشيخ محمد حسن ال ياسين الكبير (1220هـ-1318هـ) ، ومن بعده الشيخ مرتضى ال ياسين ، وغيرها الكثير من حلقات الدرس والتتقيف والتوعية الدينية التي ظلت متواصلة حتى ستينات وسبعينات القرن العشرين.

ومن العلماء الذين تصدوا لمثل هذه المسؤولية : (السيد مهدي الصدر في حسينية ال الصدر ، والسيد اسماعيل الصدر في جامع الهاشمي ، والشيخ حامد الواعظ في مرقد ومزار الشريف المرتضى، والشيخ محمد صادق الخالصي في واحدة من حجرات الصحن الكاظمي، والشيخ عبد الحسين الخالصي في جامع العكيلات). ولكن المتميز من بين هؤلاء ، كان الشيخ محمد حسن آل ياسين (المحقق والباحث والكاتب) من خلال ندواته الرمضانية للتتقيف والتوعية الدينية، وندوة عكاظ للأدب والعلوم والثقافة ، ومجلة البلاغ الناطقة باسمها ، وهذه النشاطات بمجملها ساعدت المدينة انئذ على الاستمرار في دورها الذي ظلت تمارسه لقرون عديدة.

والميزة الثانية : لهذه المدينة كونها اخت بغداد وصنوها ، ولأنها كذلك فقد تردد عليها وبحركة دائبة الكثير من اقطاب الحركة الوطنية العراقية مطلع القرن العشرين ، بحيث بلغت هذه الحركة اوجها قبيل ثورة العراق التحريرية الوطنية في 30/حزيران/1920م وخلالها وما اعقبها من احداث، انتهت بنفي الشيخ محمد الخالصي (1306هـ - 1383 هـ الموافق 1888م . 1963م) في 28 /آب /1922م (1)، ومن ثم نفي والده المرجع الكبير الشيخ مهدي الخالصي وولديه (علي وحسن) والشيخ علي نقي(حفيد اخ الخالصي) ومعهم الشيخ سلمان القطيفي (الصفواني) يوم 26/6/1923م (2)، وما سببه ذلك النفي من احتجاجات تمثلت بحركة عدد من المجتهدين النجفيين (يتزعمهم السيد ابو الحسن الاصفهاني والميرزا

(1) الوردي ، أ.د. علي ، لمحات اجتماعية ، المجلد الرابع ، ج 6 ، ق 1 ، ص 194.

(2) نفسه ، ص 220. 227.

حسين النائيني)وتصميمهم على الهجرة احتجاجا وتضامنا مع الشيخ الخالسي الكبير .

وللمضي قدماً على تنفيذ ما صمموا عليه ، غادروا النجف عصر يوم 27/حزيران متوجهين الى مسجد السهلة للاعتكاف فيه ليلة واحدة . وفي صباح اليوم التالي توجهوا الى كربلاء التي كانت قد استعدت للامر مقدما ، وذلك بعد ان شرع متصرفها الجديد (مولود مخلص) باتخاذ اجراءات شديدة فور وصوله اليها يوم 26/حزيران ، وحين وصل المجتهدون الى كربلاء اعدت لهم خيمة خاصة للنزول فيها ومنع الاهالي من الاتصال بهم ، وقد انضم اليهم عدد من المجتهدين الكربلائيين،وحاول المتصرف التفاهم معهم غير انهم اصرروا على مغادرة العراق . فأبرقت الحكومة (1) الى المتصرف تأمره بتسهيل سفر الذين يحملون الجنسية الايرانية منهم . اما الباقيون فيجب ابقاؤهم في العراق ووضعهم تحت مراقبة الشرطة . وفي 1/تموز تولى (صالح حمام) مدير شرطة كربلاء تسفير المجتهدين الذين يحملون الجنسية الايرانية (وكانوا تسعة) (2)بالسيارات وتحت مراقبة قوية من الشرطة، ولما وصلوا بغداد ، نقلوا منها بالقطار يوم 2/تموز الى خانقين ، ومنها نقلوا الى ما وراء الحدود (ايران) .

لقد ظلت الكاظمية كما هي مقاومة صامدة متفاعلة مع الاحداث ، حيث ازداد دورها بشكل ملفت للنظر بعد ان استقر فيها السيد محمد علي الحسيني الشهرستاني (هبة الدين) وقاد حركة اصلاحية متجددة حاول من خلالها معالجة الكثير من الممارسات الخاطئة التي كان الناس قد اعتادوا عليها مع مرور الايام

(1) التي كانت برئاسة (عبد المحسن السعدون) في حين تولى (ناجي السويدي) حقبة الداخلية فيها .

(2) وهم : (السيد ابو الحسن الاصفهاني ، الميرزا حسين النائيني ، الشيخ جواد الجواهري ، علي الشهرستاني ، عبد الحسين الشيرازي ، احمد الخراساني ، مهدي الخراساني ، حسن الطباطبائي ، عبد الحسين الطباطبائي)وكان يصحبهم 25 . رجلا من اتباعهم . علما ان هؤلاء اجبروا على مغادرة الاراضي العراقية لانهم جميعا يحملون الجنسية الايرانية .

(بحيث اصبحت من المسلمات) .

ومن شواهد هذه الحركة ، الصيغة الجديدة التي ابتكرها للاحتفاء بذكرى عاشوراء والتي استمرت لعقد من الزمن تقريبا ،كانت قد ترافقت مع مجهودات متواصلة للتقريب بين الطوائف الاسلامية تكلف بها خطيب العراق الاول (الشيخ كاظم ال نوح) والتي اثمرت نتائج ايجابية دفعت باتجاه تعزيز الوحدة الوطنية .

واخرى علمية حثيثة ،تكللت بتاسيس وفتح مكتبة الجوادين العامة عام 1941م والتي اصبحت فيما بعد واحدة من ابرز الصروح العلمية في المدينة ، والتي قدر لها وبالرغم من كل الظروف الصعبة التي واجهتها ان تستمر ليومنا هذا تحت اشراف حفيده السيد اياد السيد جواد لتقديم ما يلزم لطلاب العلم والمعرفة من داخل المدينة وخارجها ،فضلا عن عودة انعقاد ندوتها الادبية الشهرية (اول خميس من كل شهر)التي كانت ومازالت ترفد الحركة الادبية والثقافية في العراق بكل ما هو جديد ومفيد من خلال احتضان الكفاءات العلمية والادبية بغية الاستفادة قدر المستطاع من المؤهلات العلمية التي تتمتع بها.

ومن الجدير ذكره ،الدور الكبير الذي لعبه الشيخ محمد الخالصي بعد عودته الثانية عام 1949م(كانت الاولى عام 1932م ولم تستمر سوى ثلاثة ايام ، اجبر بعدها على مغادرة الوطن باتجاه ايران بامر من وزير الداخلية آنئذ ناجي السويدي) للتقريب بين المذاهب الاسلامية والتي كادت ان تثمر لولا تدخل البعض من اصحاب الدكاكين الذين لاتروق لهم مثل هذه المجهودات ، كونها تتعارض مع مصالحهم الذاتية الضيقة بحيث وصل الامر فيما بعد الى رد فعل معاكس كان من تداعياته ذلك الانقسام الحاد في المجتمع الكاظمي الذي عانت منه المدينة مدة ليست بالقصيرة.

وفي سياق متصل ، يمكن القول ، ان دور الكاظمية المقاوم لم يتوقف عند تاسيس الحكم الاهلي عام 1921م ، بل ظل مستمرا وبوتيرة متصاعدة ، ولكن هذه المرة لمقاومة الاستبداد الذي تعرضت له البلاد على مدى اربعة عقود من حكم الملكية

المستبدة المرتبطة بالمصالح البريطانية التي لا يمكن لها ان تتوافق في يوم من الايام مع المصالح العليا للعراق وشعبه ،التي يجب ان تكون فوق كل اعتبار .

انتهت الحقبة الملكية بقيام ثورة الجيش والشعب صبيحة 14/تموز/1958م ، فكانت للكاظمية كما هو شأنها وقفة مشرفة في اسناد الثورة وقيادتها الوطنية من خلال التظاهرات العارمة التي عمت شوارعها على مدى الايام الاولى من عمر الثورة ، ولكن الاهم والخطر من هذا كله ، هو مقاومة الحركة الانقلابية السوداء التي اغتالت ثورة 14/تموز/1958م الوطنية الديمقراطية صبيحة 8/شباط/1963م ، حيث استمرت حركة المقاومة في المدينة ثلاثة ايام متتالية كبدت الانقلابيين خسائر فادحة، كانت الدافع لصب جام غضبهم على المدينة وتهديدهم اياها بالقصف المدفعي اذا لم يسلم قادة المقاومة المسلحة (1)انفسهم للسلطة الانقلابية .

اما فترة السبعينات من القرن العشرين فقد تميزت بمقاومة الاستبداد الذي جاءت به حركة 17/تموز/1968م الانقلابية ، وبرزها النقد المتواصل الذي كان يجهر به الشيخ مهدي الخالصي (الحفيد) في خطب صلاة الجمعة من على منبر جامع الجوادين (الصفوي) في الصحن الكاظمي الشريف لاجراءات الحكومة التعسفية بتفسير من اسمتهم بالتبعية الايرانية خارج الحدود من دون وجه حق ، وكذلك محاضرات الشيخ محمد حسن ال ياسين الرضائية والذي كان يتخذ منها وسيلة لتوجيه النقد اللاذع للممارسات الخاطئة والظواهر الاجتماعية الهدامة التي كانت الحكومة تشجع الناس عليها ، بغية تخدير عقولهم لتمرير مخططاتها المشبوهة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر(سباق الفروسية) ، ولكن مقاومة الاستبداد بلغت ذروتها في التظاهرات التي انطلقت من الصحن الكاظمي الشريف منتصف

(1) التي من ابرز رموزها الشهداء:(سعيد هادي متروك السلامي،حسن اسود الزهيري،عزالدين موسى حسن الاعرجي،محمد علي الوردي،مريم رؤوف الكاظمي،ابراهيم محمد الحكاك،باقر تقي).ينظر:ملف حركة المقاومة المسلحة في الكاظمية لزمرة انقلابيي8/شباط/1963م،منظمة الكاظمية للحزب الشيوعي العراقي. واني لاشكر منظمة الكاظمية للحزب الشيوعي العراقي على تزويدها اياي بالمعومات اعلاه.

العام 1979م احتجاجا على اعتقال الشهيد الاول (السيد محمد باقر الصدر) وشقيقته العلوية الفاضلة (بنت الهدى) ، وكذلك التظاهرة النسوية التي انطلقت هي الاخرى من الصحن الشريف في نيسان 1980م احتجاجا على تنفيذ حكم الاعدام بالسيد الشهيد(محمد باقر الصدر) .

والجدير ذكره في هذا الصدد، تصدي الدعاة من اعضاء هيئة خدّمة اهل البيت(ع) في الكاظمية وقتئذ لموجة الاستبداد، وذلك من خلال المنبر الحسيني الذي كان له الدور الريادي في هذا المجال، الامر الذي دفع السلطات المستبدة آنئذ الى تضيق الخناق على الشعراء والمقرئين(الرواديد) فالقت القبض على البعض منهم، لتنفيذ حكم الاعدام بحقهم فيما بعد ، وهم كل من : (المقرئ الشهيد عباس العارضي في العام 1979م، والشاعر والمقرئ الشهيد الشيخ فرحان البغدادي في العام 1980م، والشاعر الشهيد السيد علي الموسوي في العام 1981م والمقرئ الشهيد قاسم مجيد ، والشقيقين الشهيدين السيدين صباح ونجاح اولاد السيد حبيب الموسوي) مما اضطر الباقين الى الاختفاء او الهجرة خارج البلد. فمن الذين اختفوا على سبيل المثال لا الحصر: (شاعر الكاظمية الملة حسن الكاظمي ، وشاعر اهل البيت رحيم ابو عليوي الكاظمي ، والشاعر عبد الامير المسلماوي، والرادود الحاج رسول عبد الزهرة الوائلي). اما المهاجرين خارج الوطن، فهم كثيرون، لم نتمكن من حصرهم جميعا، ما خلا اثنين منهم، لذیوع شهرتهما فيما بعد، وهما: (الشاعر المفوه الاستاذ جابر جليل الكاظمي، المقرئ السيد مرتضى السندي) ظلت الامور تراوح في مكانها بعد اندلاع نيران الحرب العراقية الايرانية في ايلول 1980م وذلك بعد ان شددت السلطات الدكتاتورية من قبضتها الحديدية بدعوى ترصين الجبهة الداخلية ، الى ان لاحت في الافق بوادر الامل من جديد ، وذلك بالاعلان عن تاسيس مجلس الكاظمية (لآل الخاقاني) الثقافي عام 1989م* بتمويل من سماحة الشيخ

* ومنتدى بغداد الثقافي الذي اتخذ من دور النواب الواقعة (في محلة التل) شمالي الروضة الكاظمية مقرا له. والذي كان قد تاسس بمبادرة من مثقفي بغداد ،منهم (الشيخ جلال الحنفي)

الدكتور عيسى عبد الحميد الخاقاني ومباركة كل من : (أ.د علي الوردي ،أ.د حسين علي محفوظ ، الشاعر راضي مهدي السعيد ، الاستاذ عباس علي ، المحامي محمد امين الاسدي ، أ.د نعمة رحيم العزاوي) وغيرهم الكثير من ادباء ومثقي بغداد والمحافظات العراقية الاخرى ، هذا المجلس الذي ظل يمارس دوره الثقافي والادبي حتى الاسبوع الاول من شهر آذار/2003م ,حيث توقفت جلساته مع بدء الغزو الامريكي للعراق وانهيار الدكتاتورية في 9/4/2003م ، ولكنه ، وبهمة المخلصين ، وبرعاية كريمة من لدن شيخ بغداد الراحل أ.د حسين علي محفوظ عاود نشاطه الثقافي مرة اخرى في الثلث الاخير من عام 2008 م , ليكون ثالث مجلس ثقافي في الكاظمية بعد جمعية النهوض الفكري التي تاسست عام 2003 م ، ومجلس المحامي رؤوف الصفار الثقافي الذي عقد اول ندوة ثقافية له يوم 2007/7/7م برعاية العلامة الراحل حسين علي محفوظ (طيب الله ثراه) ، ومع هذه المجالس الثلاثة كانت مكتبة الجوادين العامة للسيد (هبة الدين الحسيني الشهرستاني) قد عاودت نشاطها الادبي الشهري (اول خميس من كل شهر) اعتبارا من 2007/12/6م.

2. المبحث الثاني :

دور الكاظمية في الحركة الجهادية عام 1914م:

بعد ان نزلت طلائع القوات البريطانية الاحتلالية في شبه جزيرة الفاو يوم 1914/11/6م ، واستمرت في التقدم نحو البصرة (التي اخليت يوم

1914/11/21م ومن ثم دخلها الجنرال ياريت ومعه مستشاره السياسي السير برسي كوكس على رأس قوة عسكرية بريطانية يوم 1914/11/23م) ، رفع المهديان (السيد مهدي ال السيد حيدر ، والشيخ مهدي الخالصي) راية الجهاد في الكاظمية بعد ان وصلت اليهم رسائل عديدة من اهالي البصرة يطلبون فيها العون من اخوانهم في بغداد والكاظمية وكربلاء والنجف للوقوف بوجه القوات البريطانية الغازية .

ولتدارس الموضوع عقد اجتماع للعلماء والاعيان في ديوان الشيخ حميد الكلدار (سادن الروضة الكاظمية) ، بدعوة من الشيخ مهدي الخالصي ، حضره السيد مهدي الحيدري والشيخ مهدي الخالصي ، وبعد المداولات ، اتفقت الاراء على البدء بتجهيز حملة جهادية استعدادا لنصرة اهالي البصرة* .ومن شواهد تلك الاستعدادات تشكيل (الجمعية الارشادية) برئاسة (احمد توفيق افندي) قائمقام الكاظمية آنئذ، لجمع المال لاسناد المجاهدين ، وقد وصل في 10/محرم/1333هـ الموافق 1914/11/28م وفد علماء النجف (الذي كان قد ارسله السيد كاظم اليزدي لدعوة العشائر الى الجهاد) ، والذي يتكون من : (السيد محمد بن السيد كاظم اليزدي ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، السيد اسماعيل اليزدي) .

وبعد ان استكملت الاستعدادات تحركت فصائل المجاهدين عن طريق النهر يتقدمهم السيد مهدي الحيدري والشيخ مهدي الخالصي يوم 12/محرم/1333هـ الموافق 1914/11/30م حيث كان بصحبة السيد مهدي الحيدري (9) من افراد اسرته وهم كل من :[السيد عبد الكريم ،السيد محسن ،السيد صادق ،السيد عبد الامير ،السيد عبد الحسين](الذي استشهد غرقا بعد ان حاول انقاذ السيد مهدي من الغرق) ، السيد جعفر[ومعه انجال السيد الثلاثة : (السيد اسد ، السيد احمد ،السيد راضي).اما

* ثم عقد اجتماع اخر في الصحن الكاظمي الشريف بدعوة من السيد مهدي الحيدري ، ولما اجتمع الناس ، صعد السيد مهدي الحيدري على المنبر واخذ يخطب فيهم ، يحضهم على الخروج للجهاد ، ولما لم يستطع الاستمرار في الحديث لكبر سنه ، اعتذر ونزل ، حيث اخذ يخطب بالنيابة عنه الشيخ حميد الكلدار .

الشيخ مهدي الخالصي فكان بصحبته اخيه الشيخ محمد صادق ، والتحق بهما فيما بعد من الاحواز شقيقهما الشيخ راضي الخالصي، بعد ان جمع مالا ورجالا من الخالص وخراسان ، ومعهم ايضا الشيخ محمد الخالصي (نجل الشيخ مهدي الخالصي) ليقوم على خدمة والده ويشاركه في مهمته الجهادية المقدسة .⁽¹⁾

والجدير ذكره ، نظرة المهديان (السيد مهدي الحيدري والشيخ مهدي الخالصي) الى الامور وقتئذ استنادا الى القانون الذي اودعه الامام جعفر الصادق (ع) والذي يقول : (اذا كان الملوك حكاما على الناس فالعلماء حكام على الملوك)⁽²⁾

وبعد سفر هؤلاء المجاهدين وصل الى الكاظمية عدد من علماء النجف وكربلاء ، كان من بينهم (شيخ الشريعة الاصفهاني ، السيد علي التبريزي ، السيد مصطفى الكاشاني ، الميرزا مهدي الخراساني ، الشيخ حسن علي القطيفي، وغيرهم) وقد تقرر خروجهم مع مجاهدي بغداد يوم 1914/12/9 م .

وعند وصول المجاهدين الى القرنة ، كان القائد العسكري التركي قد قرر في ذلك الوقت الانسحاب الى العمارة ، فما كان من السيد مهدي الحيدري الا ان يرفض قائلا : (انسحبوا ، اما انا فلا اتحرك من هذا المكان حتى اقتل او انتصر) ، وعندذاك عدل القائد التركي عن رايه في الانسحاب واذعن لراي السيد للبدء بحملة تجنيد واسعة، حيث استجاب اهل العمارة للجهاد وحمل السلاح ، ومن لم تستطع قيادة الجيش النظامي تغطية حاجتهم من السلاح والعتاد ، فحملوا العصي والهراوات دفاعا عن بيضة الاسلام.⁽³⁾

(1) ومن الهازيج التي قيلت اثناء خروج السيد مهدي الحيدري للجهاد :

(حجة الاسلام طالع للجهاد محسن بموسى بن جعفر والجواد)

ينظر : *الوردي ، أ.د علي ، لمحات اجتماعية ، المجلد الثاني، ج4، ص 158

* بطل الاسلام ، الشيخ محمد الخالصي ص 105

(2) العلوي ، حسن ، الشيعة والدولة القومية ، ص 71

(3) العلوي، حسن ، الشيعة والدولة القومية ، ص 73.

وهناك موقف اخر للسيد مهدي الحيدري كان قد اتخذه في معركة (الروطة) ،اذ تقدم السيد في ساحة المعركة ، حتى انه تقدم على الجيش العثماني ،ورفض تقويض الخيام حتى لايشعر العدو بانكسار الجيش من جهة .وحتى لايدب الياس والخذلان في نفوس المجاهدين من جهة اخرى ،بالرغم من ان تلك الخيام كانت تمثل في مثل تلك الظروف هدفا مكشوفاً للاعداء ⁽¹⁾ .وقد سجل الجنرال (تاوونزد) اعجابه بقوة المجاهدين المرابطين شمالي القرنة بقيادة السيد مهدي الحيدري .⁽²⁾

وللحديث عن دور علماء الكاظمية في قيادة فصائل المجاهدين في البصرة ، نرى من المفيد استعراض الجبهات الثلاث التي انتظمت لمقاومة طلائع قوات الاحتلال البريطاني وهي : (مركز القرنة،مركز الشعيبة، مركز الحويزة) والتي كانت القيادة قد انعقدت في جبهتين منها لعلماء الكاظمية .، بينما نراهم يشتركون وبشكل فعال في الجبهة الثالثة ، وعلى الشكل التالي :

1. القلب (مركز القرنة) : يقوده العلماء السيد مهدي الحيدري [يعاونه انجاله الثلاثة (اسد ، احمد ، راضي) وهم علماء مجتهدون ، والثالث منهم منحه (شيخ الشريعة الاصفهاني) لقب (محيي الشريعة) لانه تمكن من انقاذ الشيخ (فتح الله الاصفهاني) من الغرق، وشيخ الشريعة الاصفهاني ومعه نجله ، والسيد مصطفى الكاشاني ومعه نجله السيد ابو القاسم، والسيد علي الداماد ، والسيد عبد الرزاق الحلو* ، ومعهم ايضا (6) من عائلة السيد مهدي الحيدري (سبق وان ذكرنا اسمائهم في مطاوي البحث)].

(1) الوردي ، أ.د علي ، لمحات اجتماعية ، المجلد الثاني ، ج4،ص163.

(2) العلوي،حسن ، الشيعة والدولة القومية ، ص69

* كان السيد عبد الرزاق الحلو اول المجتهدين الذين وصلوا الى السماوة في طريقه الى ساحة الحرب ، وبعد مغادرة السيد عبد الرزاق للسماوة بعشرة ايام تقريبا ، اخذت تتوافد الى البلدة قوافل المجاهدين من الشامية وابو صخير والنجف .كما وصلت اليها قوافل المجاهدين الاكراد برئاسة الشيخ كاكا احمد .ثم وصل السيد هادي مكوثر ومعهم عدد غير قليل من المجاهدين ، وقد شكل اهل السماوة الغربيون سرية من المجاهدين برئاسة الشيخ بريوتي السلطان . ولذا اطلق اهل السماوة هوستهم المشهورة :

2. الجناح الايمن (مركز الشعبية) : يقوده السيد محمد سعيد الحبوبي ، والشيخ باقر حيدر ، والسيد محسن الحكيم (امين سر السيد محمد سعيد الحبوبي) ، والشيخ علي الشرقي ، وقد التحق بهم فيما بعد (اوائل محرم 1333هـ) السيد محمد علي الحسيني الشهرستاني هبة الدين على راس قوة من عشائر بني حسن والعوابد وال فتلة .

3 . الجناح الايسر (مركز الحويزة): يقوده العلماء ،الشيخ مهدي الخالصي، واخوه الشيخ محمد صادق الخالصي ، والتحق بهما فيما بعد اخيهما الشيخ راضي الخالصي بعد ان جمع مالا ورجالا من الخالص وخراسان ،ومع هؤلاء الثلاثة الشيخ محمد الخالصي (نجل الشيخ مهدي الخالصي) ، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، وكبير علماء عربستان السيد عيسى كمال الدين، والسيد محمد اليزدي (نجل السيد كاظم اليزدي) .

وللحقيقة والتاريخ نقول، لقد اتخذ الشيخ مهدي الخالصي موقفين متميزين بعد سقوط القرنة،لايمكن تجاوزهما عند الحديث عن الحركة الجهادية في البصرة عام 1914م الاول : تجلى بما يلي ، فبعد فترة من الصمت المطبق الذي خيم على الجبهة ، طلب من نجله الشيخ محمد الخالصي ، ان يكتب الى العشائر يدعوهم للقتال ،بحيث وصل الامر به ان يشترك شخصيا بالتدريب الذي انعقد لاعداد المجاهدين هناك .

الثاني:تمثل في الدراسة العسكرية المتكاملة التي اعدّها وقدمها آنئذ للقائد العسكري التركي ، والتي تضمنت شرحا وافيا للقدرات القتالية لطرفي النزاع ، فضلا عن الظروف الذاتية والموضوعية التي قد تؤثر سلبا او ايجابا على تلك القدرات . والجدير ذكره في هذا الصدد، المخطوطة الموسومة(اسرار الخيبة في الشعبية) للسيد محمد علي الحسيني الشهرستاني (هبة الدين)، والتي تضمنت تحليلا عسكريا كان غاية في الاهمية.علما ان الموقف الجهادي للسيد هبة الدين لم يتوقف عند حدود

(ثلاثين الجنة لهادينا وثلاث لكاكا احمد واصحابه وشويه شويه لبريوتي).ينظر :

الوردي، ا.د علي لمحات اجتماعية ، المجلد الثاني ،ج4،ص153.

البصرة، بل ظل متواصلا حيث اشترك في معارك حصار الكوت التي انتهت بهزيمة البريطانيين بعد ان فقدوا خسائر جسيمة في الارواح والمعدات.

ومن العلماء الذين اشتركوا مع السيد هبة الدين في معارك حصار الكوت، كل من: (العلامة صالح كمال الدين ، الشيخ جواد الجواهري، الشيخ موسى تقي ال زائر ، الشيخ حسن القطيفي).

وعود على بدء، ولمعرفة ما آلت اليه حياة الامام الثائر (السيد مهدي الحيدري) نرى من الاهمية بمكان استعراض ما كتبه السيد حسن العلوي في كتابه الموسوم (الشيعة والدولة القومية) قائلا : [وبعد رحلة عام تقريبا مع الجهاد لرجل تجاوز الثمانين ، وقد انتصر الانكليز اخيرا ودخلوا بغداد فاتحين في 11/آذار/1917م ، بكى السيد وقال كلمته المشهورة (كأني بالاسلام وقد سقط من السماء الى الارض) . لم يستطع السيد ان يقاوم الكارثة والانكليز يحكمون بغداد، (رغم انهم كانوا ينظرون اليه باكبار ، وقد اعجبوا من صلابة عقيدته واخلاصه لامته وحبه لوطنه)، نراه يفارق الحياة متأثرا بالام الكارثة وفاجعة الهزيمة] (1)

ومن العلماء الشيعة الذين سبق لهم وان اشتركوا في الحركة الجهادية ، وتوفوا اثر الهزيمة :

(الشيخ باقر حيدر ، الشيخ طاهر فرج الله ، الشيخ عيسى مال الله) (2) اما السيد محمد سعيد الحبوبى فلم يقوَ على مواصلة السير باتجاه النجف ليتحصن فيها ، ومات في الناصرية شهيدا بعد ان قاتل المحتل سبعة شهور ، واوقف زحفه على الناصرية اربعة شهور، فلم تقع الناصرية في ايدي الانكليز الا في يوم 24/تموز/1915م (اي بعد وفاة الحبوبى في 16/حزيران /1915م). (3)

(1) العلوي، حسن، الشيعة والدولة القومية، ص69.

(2) نفسه، ص69

(3) نفسه، ص71.

وبناء على ما تقدم ، ولتقييم دور الكاظمية في نصرة الحركة الجهادية في البصرة عام1914م ,يمكننا القول:

[لقد كانت الكاظمية في استجابتها لاهل البصرة (سريعة جدا ، بحيث وصلت تلك الاستجابة الى درجة) سبقت فيها النجف ، فضلا عن بغداد] ولعل هذا الاستنتاج الذي خرجنا به بعد تتبعنا لاحداث الحركة الجهادية عام1914م، هو ذات الاستنتاج الذي توصل اليه المنصفون ،ممن سبقونا ، وهو ايضا ذات الاستنتاج الذي سوف يخرج به من يحاول لاحقا ،دراسة تلك الصفحة المشرقة من تاريخ شعبنا المجاهد .

3. المبحث الثالث:

دور الكاظمية في الاعداد لثورة العراق التحررية الوطنية عام 1920م ومن ثم الاشتراك في احداثها وما اعقبها من نتائج :

لقد كتب الشيخ فريق المزهري عن دور الكاظمية في الاعداد للثورة ومن ثم الاشتراك في احداثها في كتابه الموسوم (الحقائق الناصعة ، ص139)قائلا: (ان اول حركة ثورية بعد احتلال بغداد يوم11/3/1917م ، كانت قد انعقدت في الكاظمية وليس في بغداد) ومن شواهد ذلك ، تاسيس الجمعية العربية الاسلامية السرية في الكاظمية عام 1918م ، والتي كانت توزع منشوراتها في الكاظمية وبغداد وباقي المدن العراقية ، والتي كانت تحمل توقيع السيد ابو القاسم الكاشاني (رئيسا) والشيخ جواد الزنجاني (سكرتيرا) . علما ان السيد ابو القاسم الكاشاني كان قد ارسله الشيخ (فتح الله الاصفهاني) الى الكاظمية ليستقر فيها ويقود العمل السري المقاوم

للاحتلال البريطاني من موقعه الجديد للمطالبة بالاستقلال وقيام حكم وطني اسلامي.

وفي يوم 1919/1/8م عقد اجتماع تاريخي في الكاظمية ، كان الغرض منه المطالبة باستقلال البلاد من شمال الموصل وحتى الخليج العربي ، على ان تؤلف حكومة عربية مقيدة بدستور ومجلس تشريعي وطني لامكان للانكليز فيه ، وفي نهاية الاجتماع رفعت القرارات الى المعتمد البريطاني ،بعد ان بلغ عدد الموقعين عليها (143) شخصا يتصدرهم : (الشيخ مهدي الخالصي ،السيد حسن الصدر، الشيخ عبد الحسين آل ياسين، السيد احمد الحيدري ، الميرزا ابراهيم السلماسي ، السيد محمد مهدي الصدر. نجل السيد اسماعيل الصدر . ، السيد محسن آل السيد حيدر ، الحاج عبد الحسين الجليبي)⁽¹⁾

ولقد عقد اجتماع اخر للغرض نفسه بعد عشرين يوما من الاجتماع الاول (اي في اليوم الثامن والعشرين من الشهر نفسه) ⁽²⁾. علما ان هذه المضبطة كانت قد تزامنت مع تصدي العلماء لاصدار فتاوى تطالب بطرد المحتلين وتحريم التعامل معهم وفي مقدمة هؤلاء العلماء الشيخ مهدي الخالصي الذي اصدر فتوى اخرى تدعو الناس الى التآلف والتآزر ونبذ الاختلافات .وفي الاول من ايار /1920م عقد اجتماع في الصحن الكاظمي الشريف بدعوة من السيد صالح الحلي الذي دعا فيه الى تعطيل الاعمال في يوم الجمعة من خلال ذكر الاحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد ذلك. ويبدو ان دعوة السيد صالح الحلي قد اثرت في النفوس ، بحيث اخذت الاسواق تتعطل عن العمل يوم الجمعة في الكاظمية، ومن ثم انتقل تاثير دعوة السيد صالح الى اماكن اخرى، لتشمل فيما بعد جميع مناطق البلاد.

تواصلت الدعوات لمقاومة الاحتلال والمطالبة بالاستقلال حتى انعقد اجتماع آخر في الصحن الكاظمي الشريف اواخر شهر ايار 1920م ، الغرض منه قراءة رسالة

(1) البصير ،أ.د محمد مهدي ، تاريخ القضية العراقية ، تقديم د غسان العطية ،ص50.

(2) عيسى، أ. نديم ،الفكر السياسي لثورة العشرين ،ص68

الامام الشيرازي التي كانت تنص على المطالبة بالحقوق المشروعة للعراقيين المنتجة للاستقلال ، ونصت ايضا على الابتعاد عن التناحر والتشاجر والمحافظة على حقوق سائر الملل والنحل من الاديان الاخرى ، حيث ارتقى السيد (باقر سرکشك) سطح الكشوانية التي تقع بين صحن القبلة وصحن قریش (الجانب الجنوبي الغربي) وقرأ الرسالة التي كان لها وقع حسن في نفوس اليهود والنصارى، الامر الذي دفعهم لزيارة علماء الكاظمية في اليوم التالي وتوجيه شكر للامام الشيرازي . وفي خضم الاحداث اتخذت الكاظمية * كماوى للوطنيين المعارضين للوجود الاجنبي ، ومن هؤلاء (ناجي السويدي) الذي اختفى في دار السيد حسن الصدر الى ان تهيات له الظروف المناسبة ومكنته من الالتحاق برجال وزعماء الثورة .

وعن الفتوى الدفاعية التي اجازت للعراقيين مقاومة الاحتلال بالتوسل بجميع الطرق بما فيها القوة المسلحة ، فقد صدرت بالتشاور ما بين اية الله الامام الشيرازي واية الله الامام الخالصي . وفي الوقت نفسه. وبدعوة من الميرزا محمد رضا (نجل الامام الشيرازي)تجمع الناس في الصحن العباسي الشريف يوم 1920/6/21م ومن هناك انتقلوا الى الصحن الحسيني الشريف ، حيث ارتقى المنبر الشيخ محمد الخالصي والقى خطبة دعا فيها الى رفض رغبة بريطانيا ، بان تكون قيمة على الشعب العراقي ، علما ان هذه الخطبة انتهت، بان تقدم الشيخ (علوان بن الحاج عبد الحسين ابو هر)ووقف امام الشيخ محمد الخالصي ، وقد اخذه الحماس فسل مسدسه واطلق عيارا ناريا في الهواء وقال : (هذه رصاصة الثورة)⁽¹⁾ وقبل هذا الموقف كان للشيخ محمد الخالصي موقفا اخر ، تمثل في توقيعه على مضبطة

* ومن ابناء الكاظمية الذين نظموا وقادوا الحركة الوطنية في بغداد لمقاومة الاحتلال ، السيد محمد الصدر ، الذي يعد واحدا من ابرز قادة حزب الاستقلال الذي تشكل عام 1919م ، حيث ساهم مع رفاقه اعضاء اللجنة التنفيذية للحزب في التحريض ضد الاحتلال ومن ثم تنظيم وقيادة الثورة في مدينتي سامراء والخالص.
ينظر: * البصير ،محمد مهدي،تاريخ القضية العراقية،ط2،لندن 1990،ص80،83.
* الوردي،د.علي،لمحات اجتماعية،مج3،ج5،ق2،ص66،124.
(1) الخالصي، الشيخ محمد،بطل الاسلام،الهامش رقم 1،ص371

اهالي كربلاء التي رفعوها آنئذ للسلطات المحتلة للمطالبة باستقلال العراق بحدوده المعروفة من شمال الموصل وحتى الخليج العربي.

وعند شوب نيران الثورة ، كان لفتاوى الشيخ مهدي الخالصي دور كبير في دعم المجهود الحربي ، ومنها :

- جواز بيع المساجد والاموال الموقوفة اذا احتاج المجاهدون في سبيل الله والوطن الى المال لسد نفقاتهم .

. اخذ المال عنوة من المسلمين لصرفه في سبيل الجهاد .

. صرف الحقوق الشرعية لغرض الدفاع عن العراق .

. عدم جواز التعامل مع المحتل بكل الصور .

والجدير ذكره في هذا الصدد ، الدور الكبير للسيد محمد علي الشهرستاني هبة الدين في معارك ثورة العشرين ، ومما يذكر عنه ، انه وبعد انتصارات الثوار في معركة الرارنجية يوم 24/تموز/1920م ، ارسل الثوار مبعوثا عنهم الى عشائر المحمودية والدليم ، هو (السيد جدوع ابو زيد) ، وكان المبعوث يحمل فتوى الامام الشيرازي الداعية الى الجهاد ومعها كتابا من الامام ايضا يتضمن نفس الافكار ، ومع الفتوى والكتاب كان المبعوث يحمل كتابا اخرًا للعشائر من السيد هبة الدين يدعوا فيه الى الجهاد ، ومما جاء فيه : (فالمأمول على عالي همتمكم وغيرتكم الدينية ان تبذلوا في مثل هذا اليوم كل السعي والجهد في توحيد كلمة العشائر وتفهم الغافلين روح المقصد في هذه النهضة وتجتهدوا مع من تعمدون عليه في تثبيت الامنية لتنظيم الحكومة الاسلامية العربيةالخ)⁽¹⁾ علما ان دور السيد هذا لم ياتي من فراغ ، كونه كان يشغل منصب رئيس مكتب الثورة في كربلاء (الذي كان يتكون من: السيد عبد الوهاب الوهاب، السيد احمد الخراساني، الميرزا عبد الحسين الشيرازي . نجل الامام محمد تقي الشيرازي)⁽²⁾، فضلا عن تمتعه بعضوية المجلس

(1) الفرعون ، فريق المظهر ، الحقائق الناصعة ، ص 280 ، 305 ، 307 .

(2) نفسه، ص 82.

الاستشاري الذي تأسس في كربلاء منتصف العام 1919م بتوجيه من الامام الشيرازي* (بعد انتقاله من سامراء الى كربلاء من اجل قيادة حركة المقاومة والاعداد للثورة) ليستعين به على ادارة الامور العامة للبلاد⁽¹⁾

ولتوضح طبيعة الدور القيادي للسيد هبة الدين في الثورة ، كتب الاستاذ محمد باقر البهادلي في كتابه الموسوم (السيد هبة الدين الحسيني ،اثاره الفكرية ومواقفه السياسية) قائلاً : (لقد ساهم السيد هبة الدين اسهاما كاملا في الثورة لتمتعه بمركز قيادي الى جانب الزعماء الاخرين .هذا من جهة .ولاتصالاته المباشرة مع القادة الاخرين امثال : (الشيخ عبد الواحد الحاج سكر ، السيد محسن ابو طبيخ، السيد نور الياسري ، السيد علوان الياسري ، الشيخ علوان الشلال ، وغيرهم)من جهة اخرى.⁽²⁾

وعن المراسلات التي كانت تتم بين الكاظمية وكربلاء للوقوف على اخر مستجدات التحركات السياسية والعمليات الحربية ، اختار الشيخ مهدي الخالصي ، الشيخ كاظم آل نوح (خطيب العراق الاول) ليقوم بهذا الدور ، حيث قام بنقل رسائل من كربلاء (مقر الامام الشيرازي) الى الكاظمية التي كان فيها آنئذ الشيخ مهدي الخالصي⁽³⁾

وعن احداث 12/اب/1920م في الكاظمية وما جرى فيها من استعدادات لحماية بيت السيد محمد الصدر خوفا من مدهامته واعتقال السيد ، كتب أ.د علي الوردي يقول : بعد حادثة خضر الياس في بغداد يوم 11/اب/1920م ومحاولة السلطات الاحتلالية القاء القبض على (يوسف السويدي) . استطاع الموما اليه الافلات

* الذي كان يتكون من:الشيخ مهدي الخالصي،السيد ابو القاسم الكاشاني،السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني،الميرزا السيد احمد الخراساني،الميرزا عبد الحسين الشيرازي . نجل الامام محمد تقي الشيرازي. ينظر:الفرعون،فريق المزهري،الحقائق الناصعة،ص95.

(1) البهادلي، محمد باقر ، السيد هبة الدين الحسيني ،اثاره الفكرية ومواقفه السياسية ،ص130.

(2) البهادلي، محمد باقر ، السيد هبة الدين الحسيني ،اثاره الفكرية ومواقفه السياسية،ص135.

(3) آل نوح، الشيخ كاظم، كتاب حياتي (مخطوطه) ربيع الثاني 1378هـ . ص45، 48.

والوصول الى الكاظمية والاختفاء في دار السيد محمد الصدر ، ثم اختفاء الاثنين في دار السيد محمد علي الشديدي في محلة ام النومي ، ومنها توجه السويدي متخفيا الى التاجي فالمشاهدة حتى وصل اليوسفية ، حيث التقى هناك بصاحبيه (علي الباركان وجعفر ابو التمن) ⁽¹⁾

اما السيد محمد الصدر فقد استطاع الافلات متخفيا بزي الاعراب حتى وصل سامراء ، حيث نظم الثورة وقادها من هناك ، لينتقل بعد ذلك الى ديالى ويلتقي بالشيخ مهدي الخالصي ، في مدينة الخالص ، في دار العلامة المجاهد الشيخ حبيب بن الشيخ احمد الخالصي، الذي تعرض في حينها لقصف الطائرات البريطانية⁽²⁾

وعن مدينة الكاظمية كتبت المس بيل في احدى رسائلها التي كانت تبعثها بانتظام الى مدينة لندن (وهي الرسالة التي كتبتها بعد زيارتها للمدينة بتاريخ 1920/3/4م (قائلة: (من بين المشاكل التي تواجهنا بصعوبة ،الاتصال بالاهالي من سكان المدينة المقدسة (الكاظمية) المتطرفين في التدين وعلى الاخص المجتهدين قادة الراي العام الديني الذين يمكنهم ان يحلوا ويعقدوا بكلمة واحدة) وتستطرد لتقول: (ويكون هؤلاء في الاعم الاغلب شديدي العداء لنا ومثل هذا الشعور لايمكن تغييره لاننا يصعب علينا الاتصال بهم ... ان كلامي هذا ينطبق بوجه خاص على المتطرفين منهم (واضافت قائلة: (وهناك مجموعة من هؤلاء الذوات في الكاظمية المدينة المقدسة . المتطرفة في ايمانها بالوحدة الاسلامية والمناوئة للانكليز- وفي مقدمة هؤلاء اسرة الصدر التي قد تكون ابرز اسرة عرفت بالتعليم الديني في العالم الشيعي كله ⁽³⁾). وهناك نص اخر ورد في ص393 من الجزء الثاني من رسائل المس بيل، في

(1) اما زميلهم الرابع (الشيخ احمد الشيخ داود) فقد تمكنت السلطة الاحتلالية من القاء القبض عليه وترحيله الى البصرة ، ومنها الى جزيرة هنجام في الخليج العربي.

ينظر : البصير ، أ.د. محمد مهدي ، تاريخ القضية العراقية ، ص102.

(2) الوردي، أ.د. علي، لمحات اجتماعية، المجلد الثالث، ج5، ق2، ص14. 22

(3) صحيفة الدستور (ملحق بغداديات) العدد 1551 في 2009/1/11م

معرض كلامها عن مجتهد الشيعة جاء فيه : (ويعيش بعض هؤلاء في الكاظمين الكاظمية. المدينة المقدسة الواقعة على . 8 . اميال من بغداد ،وهي مدينة متعصبة لفكرة الجامعة الاسلامية ، وفي الوقت نفسه كانت تكره البريطانيين كرها شديدا)⁽¹⁾ لم يتوقف دور علماء الكاظمية عند هذا الحد ، بل استمر في تصاعد حتى بعد تشكيل حكومة عبد الرحمن النقيب في 27/10/1920م وتنصيب الامير فيصل ملكا على عرش العراق بتاريخ 23/اب/1921م . ومن شواهد ذلك ، المعارضة الشديدة التي ابداهها السيد هبة الدين لفكرة الانتداب . فعندما عرضت التوصيات بالانتداب على مجلس الوزراء ، كان السيد هبة الدين اول المعارضين لها،ولما لم يجد من يؤيد موقفه ، اعلن استقالته من حكومة عبد الرحمن النقيب فيما بعد، حيث كتب في نص الرسالة : (ان شعبنا العراقي الكريم الذي جاهد في سبيل تكوين حكومته الوطنية لايهدأ روعه الا اذا وجد حكومة حرة في اعمالها)⁽²⁾ علما ان السيد هبة الدين وعندما تكلف بحقيبة وزارة المعارف في وزارة النقيب الثانية (بعد اعتذار الشيخ عبد الكريم الجزائري ، وبناءا على اقتراح رئيس الوزراء المرفوع الى الملك في 27/9/1921م ليصبح اول وزير معارف في العراق بوزارة مستقلة عن وزارة الصحة)حاول توجيه التعليم توجيهها وطنيا وقوميا ،ومما ساعده على ذلك اتجاه عدد من الشباب الذين اسهموا في الحركة القومية العربية للعمل كمعلمين في المدارس الرسمية ، وعلى الرغم من اصطدامه المستمر مع الكابتن (فارل) وكيل مستشار المعارف ، فانه كان يؤكد على المعلمين ضرورة الاهتمام بدروس التاريخ والعناية البالغة بالاناشيد الوطنية . والذي ساعده على ذلك قرب العهد بالثورة العراقية الكبرى عام 1920م ⁽³⁾ وفيما يخص الموقف من انتخابات المجلس التاسيسي فقد افتى علماء الكاظمية بتحريم الاشتراك في الانتخابات المزعم اقامتها آنئذ لانتخاب

(1) الفياض،أ عبد الله ، الثورة العراقية الكبرى سنة1920م ، الهامش رقم (3)،ص195.

(2) البهادلي، محمد باقر ، السيد هبة الدين الحسيني ، اثاره الفكرية ومواقفه الساسية ،ص158

(3) نفسه، ص146.147

اعضاء المجلس التأسيسي ، ومن هؤلاء العلماء : (الشيخ مهدي الخالصي ، السيد حسن صدرالدين ، السيد محمد مهدي الصدر، الشيخ عبد الحسين آل ياسين ، السيد ابراهيم الاعرجي ، الشيخ راضي الخالصي ، الشيخ مهدي المراياتي ، الشيخ مهدي جوموقه ، السيد مهدي الخراساني، الشيخ صادق الخالصي، الشيخ اسماعيل الاسدي ، الشيخ محمد الاسدي ، السيد اسد الله الحيدري، الميرزا ابراهيم السلماسي)⁽¹⁾ وهذا الموقف كان ثمنه غاليا جدا تمثل في قرار السلطات الاحتلالية بنفي الشيخ مهدي الخالصي بعد القاء القبض عليه في ساعة متاخرة من مساء يوم 26/حزيران/1923م ونقله من داره الى محطة القطار ومن هناك الى البصرة⁽²⁾ ومن ثم الى الاراضي الايرانية ، حيث ظل في منفاه الى ان توفاه الله في 11/رمضان /1343هـ الموافق 1925/4/5م⁽³⁾

اختتم حديثي عن الكاظمية ودورها الوطني والعلمي منذ قرنين من الزمن ، بحديث ل احد ابنائها المميزين (شيخ بغداد الراحل أ.د حسين علي محفوظ) وهو يوصي من خلاله الاحاسن من اصدقائه وتلاميذه ومحبيه بالوحدة الوطنية ، اذ يقول : (الوحدة الوطنية غاية كبرى ، اعملوا جميعا لها ، وسارعوا جميعا اليها ، وحافظوا جميعا عليها)⁽⁴⁾

(1) الوردي،أ.د علي، لمحات اجتماعية ،المجلد الرابع،ج6،ق1 ص204

(2) الوردي،أ.د علي، لمحات اجتماعية ،المجلد الرابع،ج6،ق1 ص224

(3) نفسه،ص251

(4)*مجلة صدی الكلمة ،العدد الثامن ،السنة الثانية ،2005،ص6

ينظر :*القيسي، د.سلمان ،من حديث المجالس الادبية والمنتديات الثقافية ، ص8

مصادر البحث:

- * معلوف، لويس، المنجد في اللغة، طبعة 35، طهران 1996.
- * الصدر، السيد حسن، ذكرى المحسنين، تحقيق وتعليق عبد الكريم الدباغ تقديم أ.د. حسين علي محفوظ ، بغداد 2001 .
- * الوردي، أ.د. علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج6، ق1، ط1، ايران 2005 م.
- * العلوي، حسن ، الشيعة والدولة القومية ، ط2، ايران قم
- * الوردي، أ.د. علي ، لمحات اجتماعية، ج4، ط1، ايران 2005 م.
- * البصير، أ.د. محمد مهدي ، تاريخ القضية العراقية، تقديم د . غسان العطية ، دار اللام ، ط2، لندن، 1990م.
- * الخالصي، الشيخ محمد، بطل الاسلام ، ط1، طهران 2007 م.
- * الفرعون، فريق المزهر، الحقائق الناصعة، ط1، بغداد 1952م.
- * آل نوح ، الشيخ كاظم ، كتاب حياتي (مخطوطه)، ربيع الثاني، 1378هـ
- * الفياض ، أ. عبد الله ، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920، ط1، بغداد 1963 م.
- * البهادلي، محمد باقر، السيد هبة الدين الحسيني، اثاره الفكرية ومواقفه السياسية ، ط1، بغداد 2001م.

*القيسي، د. سلمان عبد الجليل، من حديث المجالس الادبية والمنتديات الثقافية، ط2، بغداد 2009 م.

*عيسى ا. نديم، الفكر السياسي لثورة العشرين، ط1، بغداد 1992م.

*سطور من اوراق علامة العراق الراحل أ.د حسين علي محفوظ ، بغداد 2008م.

*مجلة صدى الكلمة ، العدد الثامن ، السنة الثانية، 2005 م

*صحيفة الدستور، (ملحق بغداديات)، العدد 1551 في 2009/1/11م.

مجلس الخاقاني الثقافي

الكاظمية المقدسة

بغداد السلام*

في ذكرى تأسيسها

* ونظرا لضيق الوقت وكثرة عدد المشاركين في جلسة المجلس التي عقدت يوم 2008/11/8م، لم نتمكن من المساهمة الا بالمحور الاول فقط، الذي يحمل عنوان (بغداد ودورها في التاريخ). وفي العام التالي وفي جلسة مجلس مكتبة الجوادين العامة /الكاظمية التي عقدت بتاريخ 2009/11/5م كانت مساهمتنا في المحور الثاني الذي يحمل عنوان (موجات الاحتلال التي تعرضت لها بغداد منذ تأسيسها وحتى التاسع من نيسان 2003م). اما المحور الثالث من المحاضرة والذي يحمل عنوان (دور بغداد في مقارعة الاستبداد) فقد القيته في جلسة المجلس الادبي لجمعية النهوض الفكري/ الكاظمية التي عقدت يوم الجمعة الثانية من شهر تشرين الثاني الموافق 2009/11/13م.

بغداد مدينة السلام

وهذه قصيدة مشجرة تكوّن حروف اوائل ابياتها كلمات (بغداد مدينة السلام) وهي هدية شيخ بغداد الراحل أ.د.حسين علي محفوظ (طيب الله ثراه) الى بلدته الطيبة ومدينته المحببة، واني لاشكر الاخ الفاضل منصور حسين علي الجراح (سكرتير أ.د.حسين علي محفوظ سابقا) لاعارته اياي نسخة من هذه القصيدة.

تَعَانَقَتْ فِيهِ الْكَوَاكِبُ
وَحَـدَّتْ بِمَدْحَتِهَا
الرَّكَائِبُ وَمَفْرَقاً لَدُرَى
الذَّوَابِ أَثْوَابَهُ اسْنَى
الْجَلَابِ وَعِزَّهَا الشَّمَاخُ
غَالِبٌ يَرْقَى إِلَى تِلْكَ
الْغَوَارِبِ وَالْمَآثِرِ
وَالْمَنَاقِبِ فِي دَلْجَةِ اللَّيْلِ
الْغِيَا هِبْ لِمَعَاتِهِ دَاجِي
النَّوَابِ أَدْبَاءُ وَالْأُسْدِ
الْأَغَالِبِ فَخٌّ فَرَقَهَا فَلُكُ
الثَّوَابِ فِدَى ، وَيَعْنُو
كُلَّ لَازِبِ أَمِ الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ مَ الْفَخْرِ يَا
عَلِيَا الْمَنَاقِبِ كِ مَعْقِلِ
الْبَيْضِ الْأَشَاهِبِ مِ وَدَارَةِ

بَغْدَادُ بَرْجُ الْأَوَّلِيَاءِ
غَنَى الزَّمَانِ بِمَجْدِهَا
دَامَتْ جَبِيناً لِلْفَخَارِ
الْقَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ مِنْ
دَانَتْ لَهَيْبَتِهَا الدَّهْوَرُ
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْطِيعُ أَنْ
دَارُ الْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ
يَجْلُو سَنَا ذُرِّيَّهَا
نُورٌ عَلَى نُورٍ مَخَّتْ
هِيَ مَرْبَعُ الْعُلَمَاءِ وَالْـ
الْبَلَدَةِ الْحَسَنَاءِ صَا
لِتَرَابِهَا كُلُّ النَّضَارِ
سِتُّ الْبِلَادِ جَمِيعُهَا لِلَّهِ
دَرْكِي يَا سَنَّا الْحَقِّ
يَا بَغْدَادُ أَنْتَ مُسْتَوْدَعُ
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

بغداد السلام في ذكرى تأسيسها

المقدمة:

كانت الامم وما زالت تحتفي بذكرى تأسيس مدنها العريقة ،وستبقى كذلك ما دامت الارض تنبض بالحياة ،لا لشيئ الا لكون هذه المدن تعد واحدة من الرموز الوطنية والقومية التي تمتاز بها هذه الامة او تلك عن مثيلاتها من امم الارض.لان المدن العريقة (بما فيها العواصم الوطنية) تتمتع بمكانة مهمة في تاريخ الحضارة الانسانية فضلا عن الامم التي تمثلها .

ونحن نعتقد ان الاحتفال السنوي بيوم بغداد انما ينطلق من الواجب الوطني والاخلاقي تجاه هذه المدينة العريقة وما تتمتع به من مكانه في الحضارتين العربية الاسلامية ،ناهيك عن دورها الريادي في الحضارة الانسانية.

والحديث عن بغداد ودورها في التاريخ لايمكن ان يحيط به الباحث ،أي باحث ،بمحاضرة او كتاب بل يحتاج الى العشرات بل المئات من امهات الكتب لكي يفي هذه المدينة المجاهدة الصامدة حقها على الانسانية جمعاء .

وحديثنا اليوم عن عاصمتنا الحبيبة لايعدو اكثر من كونه تذكيرا بهذا الحق الذي يطوق اعناقنا .عليه ،ولكي يقترب الموضوع من الهدف الذي نطمح اليه ارتأينا ان يشتمل البحث الموسوم (بغداد السلام في ذكرى تأسيسها)على المحاور التالية:

1 . المحور الاول:بغداد ودورها في التاريخ.

- 2 . المحور الثاني:موجات الاحتلال التي تعرضت لها بغداد منذ تاسيسها وحتى التاسع من نيسان عام2003م .
- 3 . المحور الثالث: دور بغداد في مقارعة الاستبداد .
- 4 . المحور الرابع:اسماء تعرفها بغداد.
- 5 . المحور الخامس:عراقية اسم بغداد.
- 6 . المحور السادس:قالوا في بغداد.

تمهيد:

لماذا تم اختيار بغداد دون غيرها لتكون عاصمة للدولة العربية الاسلامية ؟ وعن سبب اختيار الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور للمكان الذي بنيت فوقه مدينة بغداد عام (145 هـ . 149 هـ) دون غيره ،كتب الحميري قائلاً :
(عندما اراد ابو جعفر المنصور (ت158هـ) ان يبني مدينة بغداد وبعد ان سأل كثيرا عن المكان وتاكد من ان الارض اسمها بغداد وتعرف على خصائصها من قبل مستشاريه وقف قائلاً: "هذه والله المدينة التي اعلمني ابي محمد بن علي اني ابنيها وانزلها وينزلها ولدي من بعدي. ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والاسلام حتى يتم تدبير الله تعالى وحكمه فيّ وتصح الروايات وتبين الدلالات والعلامات .تاتيها الميرة في الدجلة والفرات من واسط والابلّة والاهواز وفارس وعمان واليمامة ومايتصل بذلك. وكذلك ما ياتي من الموصل وديار ربيعه وخراسان فالحمد لله الذي نخرها لي واغفل عنها كل من تقدمني والله لابنيها ثم اسكنها ايام حياتي ويسكنها ولدي بعدي ثم لتكونن اعمر مدينة في الدنيا ")
هذا ما جاء على لسان ابي جعفر المنصور ليلة بنائه لبغداد.⁽¹⁾

(1) الرميثي ،جواد،جريدة صوت بغداد ،العدد624 ،الثلاثاء 2011/5/24م،ص4"ذاكرة".

ينظر: *ناجي د.عبد الجبار ،بغداد السلام والجهاد ،ط بغداد 2002م ،ص14.

1. المحور الاول: بغداد ودورها في التاريخ:

لمدينة بغداد السلام مكانة مهمة في تاريخ الحضارة العربية والاسلامية ،اذ ان تاسيسها يعد انموذجا متطورا للفن العمراني والخططي بعد تاسيس العرب الامصار الاسلامية .وقد شغلت منذ تاسيسها في سنة (145هـ . 762م)حتى الان اقلام المؤرخين والمؤلفين والادباء والشعراء وحظيت باهتماماتهم وشد اليها الرحالة الاوربيون منذ القرن السابع عشر الرحال لزيارتها والمكوث فيها ووصفها في رحلات كتبت بالعديد من اللغات المعروفة.

ولذلك فانه ليس من باب المبالغة ان تكون انموذجا للمدح والاطراء من هؤلاء الرحالة الاجانب ،ناهيك عما قاله في حقها الرحالة والبلدانيون العرب منذ اقدم وصف مفصل وصلنا عن هذه المدينة العريقة ،وهو وصف اليعقوبي في كتابه البلدان : فهي جنت الارض ومدينة السلام وقبة الاسلام ومجمع الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف وبها ارباب الغايات في كل فن.

فقد انجبت في ميدان التاريخ مدارس من المؤرخين الذين تخصصوا في التواريخ المحلية عن المدينة نظير صاحب تاريخ بغداد ،والامام الحافظ ابو بكر احمد بن علي المعروف بالبغدادي المتوفى سنة 463هـ . 1071م مؤلف اضخم كتاب ، وهو تاريخ بغداد مدينة السلام .الذي اجمع على مدحه وعده مدرسة في الكتابة التاريخية المحلية تخرج فيها عدد من العلماء الافذاذ الذين الفوا بعده ذيولا وتتمتات عن مدينة بغداد.كان اشهرهم محب الدين عبد الله بن النجار الحافظ البغدادي المتوفى سنة 643هـ . 1245م مؤلف ذيل بغداد (او التاريخ المجدد لمدينة السلام)صنفه كما روي بثلاثين مجلدا.

اما في فن الفلسفة فتعد بغداد السلام رائدة في مدرسة الفكر الفلسفي في الاعتزال وعلم الكلام والمنطق وانجبت عددا غفيرا من الفلاسفة والمناطقة وعلماء الكلام الذين اشتغلوا في ميدان الترجمة والنقل من العلوم اليونانية الى اللغة السريانية والعربية وكان مركز بحوثهم وتراجمهم (كما هو معروف) بيت الحكمة العباسي الذي بدء في زمن الخليفة ابو جعفر المنصور ليكتمل بناؤه العلمي والفكري زمن الخليفة هارون الرشيد وولديه الامين والمأمون .والذي ظل يؤدي رسالته العلمية الرائدة حتى الغزو المغولي عام 656هـ . 1258م حيث دمره التتار عند دخولهم بغداد.

وفي فن المدارس والمعاهد كانت بغداد سيدة الدنيا بتأسيسها اول مدرسة خرجت الفقهاء والعلماء في الفقه والحديث الا وهي المدرسة النظامية التي بنيت عام 459هـ - 1068م على شاطئ دجلة تقريبا ،المدرسة التي ظلت فاعلة منذ تأسيسها حتى حقبة متأخرة جدا .وكانت بغداد مركز اشعاع حضاري في وجود اول جامعة درست اختصاصات مختلفة تلك هي الجامعة المستنصرية التي اسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله (منصور بن محمد) في الجانب الشرقي من بغداد حيث المدرسة النظامية،وتقع على ضفاف دجلة مما يلي دار الخلافة...المدرسة الجامعة التي اكثر المؤلفون الكلام في مدحها ووصفها ووصف براعة بنائها فانها (لم يعمر في الدنيا مثلها فعمرت على اعظم وصف في صورتها وآلاتها واتساعها وزغرفتها وكثرة فقهاءها ووقوفها)وانها اعظم من ان توصف وان شهرتها بقي عن وصفها .والى جانب تلك وهذه فقد وصفت بغداد السلام بكثرة مدارسها حتى قيل انها تجاوزت الثلاثين مدرسة ومعهدا علميا ،اذ افردت لكل منها مكتبة غنية بالمجلدات والكتب النفيسة في كل فن .

اما مكانت العلماء فهناك الكثير من الادلة التاريخية في مؤلفات التراجم ،فضمت بغداد آلاف من العلماء والفقهاء والمحدثين والاطباء والفلاسفة وعلماء الرياضيات والهندسة والفلك والارصاد ولا ادل على ذلك من عدد الشخصيات التي ترجمها الخطيب البغدادي بانها تجاوزت السبعة الاف .

ولم يقتصر الحال على العلماء الذين انجبتهم المدينة انما صارت مدينه السلام مركز جذب لعلماء العالم في المشرق والمغرب فقد قصدها العلماء في شتى العلوم للدرس والبحث والتدريب في مدارسها،وان الكثير منهم استهوت به الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية ففضلها على بلاده ومكث فيها طوال حياته .هكذا كانت مدينة السلام منذ تاسيسها .وبقيت كذلك حتى الاحتلال المغولي عام656هـ الذي حاول تدمير كل ما يرمز الى الحضارة والتقدم .ولكنه لم ينجح في مسعاه وفشل فشلا ذريعا ،كما فشل جميع الذين جاءوا من بعده من

المحتلين ،حيث ظلت بغداد تقاوم عوادي الزمن لتدخل القرن الحادي والعشرين بعد(1248عاما)على تاسيسها وهي اكثر عزما وتصميما على المضي قدما من اجل المساهمة الفعالة في الحضارة الانسانية ورفدها بما تحتاجه من وسائل العلم والمعرفة والتقدم.

ومن اروع ما قيل في مدينة السلام ما روي عن (ابو اسحاق الزجاج)قوله:"بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية" .

اما (ابو الفرج الاصبهاني)فوصفها بانها : "مدينة السلام لابل مدينة الاسلام فان الدولة النبوية والخلافة الاسلامية بها عششتا وفرختا وضربتا بعروقهما وبسقتا بفروعهما وان هواءهااغذى من كل هواء وماءها اعذب من كل ماء ،وان نسيمها لرق من كل نسيم وهي الاقليم الاعتدالي بمنزلة المركز من الدائرة.

وكان (ابن العميد)الكاتب والوزير "اذا جاءه احد من منتحلي العلوم والاداب واراد امتحان عقله وفكره ساله عن بغداد فان فطن بخواصها وتنبه على محاسنها واثنى عليها جعل ذلك مقدمة فضله وعنوان عقله "

هذه الخصائص التي تنبى اليها هؤلاء العلماء عن مدينة السلام انما تعكس علو

مكانتها وهيبتها موازنة ببقية المدن والامصار ،وبذلك قال (ابن زريق)الكاتب:

سافرت ابغي لبغداد وساكنها	مثلا ،قد اخترت شيئا دونه الياس
هيئات بغداد،والدنيا باجمعها	عندي ،وسكان بغداد هم الناس

وقال (ابو يعمر محمد بن الهبارية)سمعت (ابا اسحاق الزاهد)يقول:"من دخل بغداد وهو ذو عقل صحيح وطبع معتدل مات بها او بحسرتها" ⁽¹⁾

وكتب ابن حزم المتوفى سنة 462هـ عن بغداد قائلاً: "هذه بغداد حاضرة الدنيا، ومعدن كل فضيلة . والمحلة التي سبق اهلها الى حمل الوية المعارف ، والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الاخلاص ، والنباهة والذكاء ، ووحدة الافكار ، ونفاذ الخواطر "

وقد انفذ ابن سينا المتوفى سنة 428هـ رسالة الى علماء مدينة السلام في المقولات . قال : "سلام الله على مشائخ العلم والحكمة بمدينة السلام . مد الله في اعماركم ، وزاد في الخيرات لديكم ، وافاض من حكمه عليكم ، ورزقنا مجاورتكم ، وعصمنا واياكم من الخطأ والخلل ، انه واهب العقل ، ومفيض العدل ، وله الحمد ، والسلام على رسوله وآله الطيبين الطاهرين... وقد انفذت اليكم . متعنا الله بكم . نسخة . واسالكم ان تصرحوا عن الحق "

وهذه الرسالة تؤكد اهمية رأي علماء بغداد وتبين منزلة (معشر الحكماء بمدينة السلام) في الفلسفة والعلم والفكر

اما الحسن بن عرفة فقد قال عن بغداد : "اهل بغداد جهابذة العلم . من لم يوثقوه فقد سقط "

وقال ابن الفقيه الهمداني : "لم يزل بها من الفاضلين على الدهور والسنين والشهور وهي صيادة تصيد قلوب الرجال" ⁽²⁾

وعن المصيبة العظمى التي تعرضت لها بغداد عام 656هـ على ايدي المغول التتار ، كتب ابن الاثير قائلاً: "لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها ، فانا اقدم رجلا وأواخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ، فيا ليت امي لم

(1) ناجي ، د. عبد الجبار ، بغداد السلام والجهاد ، طبعة بغداد 2002م ، ص 7 - 13

(2) محفوظ ، أ. د. حسين علي ، صحيفة الدستور (ملحق بغداديات) عدد 1505 ، الاحد 9/11/2008م .

تلدني ،وباليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا.الى ان حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها ،وانا متوقف ،ثم رايت ان ترك ذلك لايجدي نفعا نقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى،فلو قال قائل :ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الان لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا.فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها "

ومن الباحثين المعاصرين،كتب الباحث هيثم عبد الحسن عن نهضة بغداد برسالة العلم والادب قائلا : (لقد نهضت بغداد برسالة العلم والادب ووثبت بها وثبة كبرى،فاصبحت شمسا للبلاد الاسلامية شرقيها وغربيها،تستضيئ بعلمها وتسير بهديها،فقد ظلت بغداد لقرنين من الزمان اعظم عاصمة علمية وادبية في الحياة،تبسط لواءها على اقطار الاسلام وتتدفق اليها الثروات الفكرية والمادية،قبل زحف التتار المؤلم والمفجع سنة 656هـ . 1258م وازالوا خلافتها ⁽¹⁾)

(1) عبد الحسن،الباحث هيثم ،التراث الفكري والادبي البغدادي (كيف احرقتم بغداد؟) جريدة بغدادنا،السنة الثالثة، العدد 129،الثلاثاء 13/10/2009م .

2 . المحور الثاني: موجات الاحتلال التي تعرضت لها

بغداد منذ تأسيسها وحتى التاسع من نيسان عام 2003م:

. الاحتلال البويهى الذي بدأ بدخول معز الدولة (احمد بن ابي شجاع بويه الفارسي الديلمي) بغداد في 11/جمادي الاولى/334هـ الموافق عام 945 م .
- الاحتلال السلجوقي الذي بدأ بدخول طغرل بك السلجوقي بغداد عام 447هـ الموافق 1054م .

. الاحتلال المغولي الذي بدأ بدخول هولاكو التتار (حفيد جنكيز خان) * بغداد يوم 5/صفر/656هـ الموافق 1258م ،حيث قامت الدولة الايلخانية .

* التتار والمغول في الامة التركية هما مثل ربيعة ومضر في الامة العربية ،ومن هذين الشعبين الكبيرين يتفرع معظم بطون الترك وافخاذهم .وكان بينهما نزاع مستمر وعراك دائم على السلطة والسيادة ،فتارة يتغلب التتار على المغول ،وحينا يكون المغول هم الغالبين،الى ان دخلت سنة 549هـ التي ولد فيها جنكيز خان وهو ابن احد امراء المغول مات ابوه وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة من سني حياته،فاستضعفته قبائله وتفرقوا عنه غير ان ذلك لم يفت في عضد جنكيز خان فاخذ يجتهد في جمع شتات قومه،وتوحيد كلمتهم،فانجح وعادت القبائل التي تفرقت عنه الى الانضمام اليه،فقوى جمعه ثم حالفه السعد فدخلت معظم القبائل التركية تحت طاعته بعد ان رأوا شدة بأسه وقوة مراسه ،واصبحت هي المطاعة في طول تلك المملكة الواسعة وعرضها .ولما طغى قطب الدين محمد خوارزم شاه وتجرر واستولى على عدة ممالك كبيرة اضافها الى مملكته التي ورثها عن ابيه تحرش بالتتار وغزا بعض بلادهم وقتل تجارهم واستولى على اموالهم فلعب بالنار وكايد الخليفة الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة المسلمين، واعلن عليه الحرب وجرى على فريق من جيشه ، (ما ذكرناه نقلا من تاريخ ابن الاثير)،من الدمار والهلاك فحطم جنكيز خان جيشه واستولى على بلاده،وازداد جبروت جنكيز خان وورثه ملوك جبارون ومنهم حفيدة هولاكو خان الذي حمل بخيله ورجله على بغداد،وليس فيها من القوة ما تقاوم به ذلك التيار الجارف الهائل،فاستولى عليها بعد ان فتك باهلها فنكا لايزال التاريخ يستعظمه .وبعد ان اخضع هولاكو جميع المدن العراقية نظم ادارة البلاد وابقى قوانينها على ما كانت عليه ،ثم الف حكومة العراق من رجال الحكومة السابقة فولى ولاية العراق في بغداد فخر الدين احمد الدامغاني الحنفي(رئيس ديوان الخلافة سابقا)وجعل مؤيد الدين بن العلقمي (وزير المستعصم)ونجم الدين عبد الغني بن الدرنوش معاونين له واقر قاضي القضاة نظام الدين عبد المؤمن البندنجي في منصبه ،وعين احمد بن عمران الباجسري (عامل الخليفة على بعقوبة سابقا)الرساتيق في شرق بغداد ،وولى غير هؤلاء جماعة من اهل البلاد الذين كانوا في خدمة الحكومة السابقة على بقية المناصب =والدواوين.اما شحنة العراق وهي نيابة السلطان وحماية بغداد فقد اولى عليها قائدين من قواده ،وهما الجعفاوى وقربوغا ثم سار بجيوشه الكثيفة الى الشام وآسية الصغرى قاصدا فتحهما بعد ان اقام في بغداد اربعين يوما .

ـ وبعد تفكك الدواة الايلخانية عام 736هـ الموافق 1335م قامت على انقاضها الدولة الجلائرية التي اسسها الشيخ حسن الكبير الجلائري عام 738هـ الموافق 1337م.

ـ وفي سنة 795هـ الموافق 1393م نكبت بغداد النكبة العظمى التي انستها ما تقدمها من النكبات ،بعد ان زحف عليها تيمور لنك المغولي بجيشه ففتحها واعمل فيها السيف والناار .ومنها زحف الى الشام ففتحها ،ولما علم من هناك ان بغداد خرجت عن طوعه،اكتسحها مرة ثانية واعـ.اد فيها فضائعه الاولى و زيادة عام 803هـ الموافق 1401م.^(١)

ينظر :*أ.محمود فهمي درويش والدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسة،دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960م،دار مطبعة التمدن ، بغداد1961،ص207 . 208.

(١) وفي العام 806هـ الموافق 1403م اعاد تيمور لنك احتلال بغداد مرة ثالثة .فكانت هذه الموجات "التيمورية الثلاث"السبب في انهيار الدولة الجلائرية.لكن الاهتمام الذي وجه الى العراق ،وبغداد خاصة،ازداد في هذا العهد*،الذي تميز بان كانت المرأة خلاله تتمتع بمكانه عظيمه ومرموقة،كتب ابن بطوطة عنها قائلاً : (والنساء لدى الاتراك والتتار لهن حض عظيم،وهم اذا ما كتبوا امرا يقولون فيه عن امر السلطان والخواتين،ولكل خاتون في البلاد والولايات المجابي العظيمة .ولهن وخاصة زوجات السلطان صالة لترتيب وحضور مجالس الادب مع الشعراء والادباء ورجال الدين،أي بلاط مصغر .وان بعضهن اشتركن مع السلاطين في تدبير امور المملكة .وفي السياسة كما فعلت "بغداد خاتون").ولم تكن لزوجات السلطان فقط تلك المكانة المرموقة في الدولة بل كانت هناك نساء اخريات لهن مكانة كبيرة مثل مرضعة السلطان اويس "مخدوم شاه"التي كانت تلقب بـ"ايكجي"وكانت تعد من الاميرات،يسرع اليها في القضايا المهمة والخطوب المدلهمة،ولقد شاركت هذه المرأة في بناء العمائر والمدارس والمستشفيات ،والتي من اهمها في بغداد :عمارة الايكجية،كما انها عادت تعمير جامع الخلفاء الذي لايزال يسمى جامع سوق الغزل ،كذلك دار الشفاء.**

*ينظر: العابد د.صالح محمد ،العراق في التاريخ،عصر الغزاة (الاحتلال المغولي)،بغداد 1983م،ص556
**ينظر :جريدة صدى المهدي ،مركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي /النجف الاشرف،الدولة الجلائرية ،العدد19،السنة الثانية ،ذي الحجة /1431هـ الموافق2010/11/2م.

• وفي سنة 814هـ الموافق 1411م انقرضت الدولة الجلائرية وقامت على انقاضها الدولة التركمانية المعروفة بدولة الخروف الاسود "القره قوينلى" على يد "قره يوسف" حيث اصبحت بغداد جزء من ممتلكاتها.

• وفي سنة 873هـ الموافق 1468م قامت دولة الخروف الابيض "آق قوينلى" على يد "حسن الطويل" حيث دخلت طلائع جيوشها بغداد عام 874هـ الموافق 1469م .
- الاحتلال الصفوي لبغداد يوم 20/جمادي الثانية /914هـ الموافق 1508م على عهد الشاه "اسماعيل الصفوي الذي لم يدم طويلا بعد ان تمردت بغداد على الصفويين بتحالف اميرها "الكردي" مع السلطان "سليمان القانوني" العثماني، الامر الذي دفع الشاه "طهماسب الاول" ان يعاود الكرة ويحتل العراق عام 936هـ الموافق 1529م.

- الاحتلال العثماني لبغداد عام 941هـ الموافق 1534م على يد السلطان سليمان القانوني.

- الاحتلال الصفوي مرة ثانية عام 1033هـ الموافق 1623م ايام الشاه "عباس الصفوي".

- الاحتلال العثماني الثاني عام 1048هـ الموافق 1638م على يد السلطان مراد الرابع . علما ان بغداد كانت قد خضعت لحكم المماليك في العام 1749م ،الذي بدأ بولاية سليمان باشا "ابو ليلة".في حين عادت بغداد في العام 1831م لسلطة العثمانيين في زمن السلطان محمود الثاني بعد ان تمكن من عزل داود باشا.

- الاحتلال البريطاني لبغداد في 11/آذار/1917م.الذي قاده الجنرال مود تحت شعار تحرير العراقيين من ظلم وتعسف العثمانيين ومساعدتهم على بناء دولتهم المستقلة (1).وبعد تنصيب الامير فيصل بن الحسين ملكا على عرش العراق في

(1) أ.محمود فهمي درويش والدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسة،دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960م،دار مطبعة التمدن ، بغداد 1961،ص200 . 219.

ينظر: * العابد د.صالح محمد ،العراق في التاريخ،عصر الغزاة ،بغداد 1983م،ص543 . 585

23/آب/1921 وقيام الحكم الاهلي في بغداد ،ودخول العراق عصبة الامم في 3/10/1932م كدولة مستقلة ،اعاد البريطانيون احتلال بغداد مرة ثانية في 30/5/1941م بعد فشل حركة مايس /1941م التحررية.

. الاحتلال الامريكي لبغداد في 9/نيسان/2003م بذريعة البحث عن اسلحة الدمار الشامل واقامة نظام حكم جديد يرتكز على المفاهيم الديمقراطية على الطريقة الامريكية.

وبالاجمال:يمكن القول ان جميع موجات الاحتلال التي تعرضت لها مدينة السلام على مر الزمن ،انما تعود من ناحية الى موقعها الجغرافي،ووقعها بين امبراطوريتين عظيمتين"العثمانية والصفوية"كذلك الصراع الدولي على مناطق النفوذ. كما تعود من ناحية ثانية الى الخلاف المستمر بين ابنائها. ونحن نعتقد انه الاهم ،لان الامة كلما توحدت اصبحت قادرة على مقاومة الغزاة حتى لو كان الميزان العسكري يميل لصالحهم.

3. المحور الثالث: دور بغداد في مقارعة الاستبداد :

يمكن القول ، ان بغداد كان لها دور فاعل ومميز في مقارعة الحكومات الاستبدادية التي تشكلت بعد قيام الحكم الاهلي في العراق عام 1921م واستمر في ادارة شؤون

*جريدة المدى ،ملحق ذاكرة عراقية "بغداد"العدد1656،السنة السابعة الاثني 16/11/2009م،ص14،الحوادث

المهمة في تاريخ بغداد،عن كتاب "دليل خارطة بغداد"د.مصطفى جواد.

*ناجي،د.عبد الجبار ،بغداد السلام والجهاد ،ط بغداد2002م،ص27، 28، 38، 41.

البلاد لثلاثة عقود ونيف من السنين (انتهت بسقوط الملكية وعلان الجمهورية صبيحة 14/تموز/1958م) كونها استقطبت رموز الحركة الوطنية وساهمت في معظم انتفاضات الشعب العراقي، لاسيما حركة مايس 1941 التحررية، ووثبة كانون المجيدة عام 1948م لاسقاط معاهدة برتسموث، وانتفاضة 1952م الباسلة لاسقاط اتفاقية المناصفة في الارباح مع شركات النفط الاحتكارية، وانتفاضة 1956/10/29م البطلة استتكارا وتنديدا بالعدوان الثلاثي (البريطاني الفرنسي الصهيوني) على جمهورية مصر العربية بعد القرار التاريخي الذي اتخذته قيادتها السياسية القاضي بتاميم عمليات الشركة العالمية لقناة السويس البحرية. وسوف نتناول في هذا المحور، وعلى سبيل المثال لا الحصر احداث عام 1952م وتداعياتها التي كانت السبب المباشر في قيام الانتفاضة .

اولا . اتفاقية المناصفة في الارباح(شباط/1952) :

اقرنت بداية الخمسينات من القرن العشرين بسلسة من الاضرابات الطلابية في كليات بغداد ومعاهدها وذلك في سبيل الحرية الاكاديمية وحرية العمل الطلابي. وكان لتاميم النفط الايراني الذي اقدمت عليه حكومة د.مصدق* عام 1951 اثر فعال في تحريك الشعب العراقي للمطالبة بحقوقه المهضومة وتعميق وعيه باهمية النفط في الصراع ضد السيطرة الاستعمارية. وقام الشعب واحزابه الوطنية (العلنية منها والسرية) بالمطالبة بتاميم النفط .

وفي خضم الاحداث قبلت شركات النفط الاحتكارية المفاوضات لتعديل الاتفاقية. ففي شباط 1952م تم توقيع اتفاقية (المناصفة في الارباح) التي ضمنت للشركات التحكم في كمية الاستخراج والاسعار وغيرها مما يعتبر تقييدا

* محمد مصدق: (1880 . 1967م) سياسي ايراني، زعيم حزب الجبهة الوطنية، رئيس وزراء ايران (1951 . 1953م) امم صناعة النفط التي تملكها شركات بريطانية قوية عام 1951م، اصطدم مع الشاه الذي اقاله عام 1953م وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

ينظر: *الجابري، اسماعيل، هبة الدين الشهرستاني، منهجه في الاصلاح والتجديد وكتابة التاريخ، ط1

للمناصفة، وهذا ما دعا القوى الوطنية ان تعارض هذه الاتفاقية بشدة وان تنظم اضرابا سياسيا ناجحا شمل العراق باسره في 19/شباط/1952م وادى الى الاصطدام مع قوى الشرطة⁽¹⁾.

ومن الجدير ذكره في هذا الصدد، موقف خطيب العراق الاول الشيخ كاظم آل نوح، من الاتفاقية المذكورة، حيث انتقد تصديق رئيس وزراء العراق آنئذ (نوري باشا السعيد) لاتفاقيات النفط مع الشركات الاجنبية، وقال في جملة التاريخ الشعري : (قل قد صدّق الخسرانا).

وهذا الموقف ليس غريبا عن شيخنا المجاهد، (فهو ذلك الوطني المشهور، المشارك في ثورة العشرين التي كان من خطبائها والسنتها ومن دعائها والداعين اليها، وله فيها ادوار ومواقف، تميزت بدعوته الى الوحدة الوطنية وسعيه المستمر للتقارب والتقريب بين المذاهب والحض على الوفاق والوئام والاتحاد والاتفاق، فضلا عن دوره البارز في تقويم المجتمع وما افرزه ذلك من اثر كبير في التنقيف والتهديب والاصلاح⁽²⁾).

ثانيا . انتفاضة تشرين الثاني 1952م:

بعد قيام الثورة المصرية في 23/تموز/1952م تحفزت الاحزاب الوطنية واخذت تطالب بالاصلاح العام، حيث قدم كل من حزب الاستقلال والوطني الديمقراطي وحزب الجبهة الشعبية مذكرات الى الوصي عبد الاله مستكرة الاوضاع ومطالبة بتغييرها تغييرا جذريا .

كما وقدم حزب الامة الاشتراكي مذكرة الى رئيس الوزراء مصطفى العمري في هذا الشأن . وقد ايدت الاحزاب الوطنية (السرية) مطالب الاحزاب الوطنية (العلنية) ودعت الجماهير للمطالبة بالغاء معاهدة 1930م الاسترقاقية .

(1) النجار، د. مصطفى، العراق في التاريخ (العراق المعاصر) بغداد 1983م، ص729.

(2) محفوظ، ا. د. حسين علي، ملخص (سيرة واعمال وآثار) الشيخ كاظم آل نوح، ط1 بغداد 1998م.

وفي ظل تلك الاوضاع دعا الوصي عبد الاله الى مؤتمر عقد في البلاط لمناقشة الوضع السياسي وقد حضر المؤتمر رؤساء الوزارات والاحزاب للاجابة على المذكرة، حيث وعدهم الوصي باجراء انتخابات حرة ونزيهة.ولكن، وبالرغم من ذلك فان الاوضاع تدهورت من سيئ الى اسوء .

ففي 2/تشرين الثاني/1952م اصدرت الاحزاب الوطنية بيانا اعلنت فيه مقاطعتها للانتخابات وذلك لانعدام الجو الديمقراطي وتقصي الارهاب والسجون.

الشرارة التي فجرت الاوضاع:

كان اضراب كلية الصيدلة الشرارة التي فجرت الاوضاع في البلاد، ففي 26/تشرين الاول/1952م اضرب الطلاب احتجاجا على القوانين الجديدة التي اصدرتها عمادة كلية الصيدلة،وقد استمر الاضراب حتى يوم 19/11/1952م حيث اضطرت عمادة الكلية الى التراجع والغاء القوانين .ولكن، وفي الوقت نفسه وقع اعتداء على طلبة كلية الصيدلة يوم 19/11/1952م فاعلن الطلاب الاستمرار في الاضراب . وقد استغلت الاحزاب السياسيةحادثة كلية الصيدلة ،ففي 20/11/1952م اضربت بقية المدارس والكليات استكارا للحادث.

ومع تطور الاحداث السريع سقطت حكومة (مصطفى العمري) كما احبطت محاولة تشكيل حكومة مماثلة برئاسة(جميل المدفعي)وكان المتظاهرون يطالبون بتشكيل حكومة ائتلافية وقد كان الهياج معبرا عن الوضع السياسي في العراق حيث كانت الطبقات المثقفة والفقيرة في المدن في حالة ثورة ضد الحكومة والنفوذ الاجنبي .في حين لم تعد الشرطة قادرة على ضبط الوضع الامني بسبب الهياج الشعبي العام،لذلك دعي الجيش للتدخل ولكن بامر عدم اطلاق النار .

وعندئذ حث تطور الاحداث الوصي عبد الاله الى دعوة(نور الدين محمود)رئيس اركان الجيش الى تاليف حكومة برئاسته،حيث اعلنت الاحكام العرفية واغلقت الاحزاب الساسية وعطلت الصحف .ولكن،وبالرغم من ذلك فقد استمرت التظاهرات

وشملت جميع انحاء البلاد كافة مطالبة بتأليف حكومة وطنية. مما يعني ان الحكومة العسكرية لم تستطع انزال ضربة كبرى بالحركة الوطنية.

انتهت الاحداث باستقالة (نور الدين محمود) في 1953/1/22م بعد اجراء انتخابات مزيفة في ظل الاحكام العرفية، حيث تشكلت بموجبها حكومة جديدة برئاسة (جميل المدفعي) في 1953/1/29 م .

ومجمل القول ، ان الانتقضة وبالرغم من عدم تحقيقها للاهداف التي اندلعت من اجلها ، الا انها اثبتت للحكام العملاء وقتئذ ان رياح التغيير لامحال آتية . هذا من جانب، اما الجانب الآخر فقد نيهت الحركة الوطنية بكل اطرافها بان سبب الفشل هو انعدام الرؤية الواضحة والبرنامج المتكامل الذي من المفترض ان تجتمع حوله جميع الاطراف من اجل المصالح العليا للعراق وشعبه والتي يجب ان تكون فوق كل اعتبار⁽¹⁾.

4. المحور الرابع: اسماء تعرفها بغداد:

شيخ بغداد، ا.د حسين علي محفوظ* (لمحات مضيئة من سيرة حياته)

(1) النجار، د. مصطفى عبد القادر ، العراق في التاريخ (العراق المعاصر) بغداد 1983م، ص730.

* الدباغ، عبد الكريم ، شذرات من سيرة علامة العراق ، شيخ بغداد ، ا.د حسين علي محفوظ ، صفر 1430 هـ - 2009م .

ينظر: *لمحات مضيئة من سيرة الراحل ، ا.د حسين علي محفوظ ، بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيله ، الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ، قسم الثقافة والاعلام ، صفر 1430 هـ .

1926/5/3 . 2009/1/19م

نسبه ونشأته:

((الدكتور حسين بن الشيخ علي بن الشيخ جواد بن الشيخ موسى بن الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد جواد آل محفوظ ، الاسدي، من بني أسد بن خزيمه ، من مضر بن نزار بن معد بن عدنان))
وآل محفوظ بيت علمي عربي عراقي قديم ، ينتهي نسبهم إلى شمس الدين محفوظ بن وشاح بن محمد الحلبي الاسدي المتوفى سنة 690هـ .

كانت (نجد) موطن قبيلته في الجاهلية ، ثم قطنت عشيرته الحجاز ، ثم هاجر فرعه إلى الكوفة ، ثم اسس اسلافه مدينة الحلة سنة 493هـ ، ثم فارقوها إلى لبنان (مدينة الهرمل) في اعقاب حوادث سنة 740هـ ، وقد رجع الشيخ حسين محفوظ إلى العراق سنة 1182هـ ، وسكن محلة التل ، وهي محلة العلماء والسادة والأشراف في الكاظمية المقدسة .

اكمل دراسته الابتدائية في مدارس الكاظمية ، والثانوية ببغداد ، وتخرج في دار المعلمين العالية (كلية التربية حالياً) ، وحصل على (البكالوريوس) آداب في اللغة العربية سنة 1948م بدرجة الامتياز وكان الاول على دورته ، ونال (دكتوراه دولة) في الأدب المقارن سنة 1955م ، من جامعة طهران .

وقد جمع بين الدراستين القديمة والحديثة ، واطلع على اصول التاريخ والآداب والثقافة في بيته ، وتلمذ على افاضل اسرته ، وقرأ مقدمات المنطق والاصول ، وطالع شيئاً من كتب علوم القرآن والتفسير وعلوم الحديث والفقه والادب واللغة والاخلاق والفلسفة والحساب والفلك والطب وغيرها ، في خزائن والده وعمه وأقاربه وبلدته ، وقد كانت عامرة بالمكتبات والخزائن .

وكان للاستاذ محمد حسين بن الشيخ مهدي المراتي ، فضل في اثاره اهتمام الطالب (محفوظ) في المرحلة المتوسطة باللغة العربية . ولمدرس اللغة الانكليزية

سيد صفر (من مصر) فضل توجيهه إلى النظم بالانكليزية .ولاقى في الإعدادية المركزية ببغداد عدة من المدرسين الفضلاء ،وكان للمرحوم الأستاذ صادق الملائكة والد الشاعرة نازك الملائكة في بداية الأربعينات أثر جميل في تكوين شخصيته الأدبية .

ولدار المعلمين العالية دور مهم وكبير في تطوير كيانه، أديباً ومؤرخاً، وناقداً و مؤلفاً ، ودارساً ومدرساً، ومنتبعاً ومحققاً ،وشاعراً وكاتباً ،وخطيباً ومتكلماً،ومناظراً ومتحدثاً.

ومن أستاذته الدكتور محمد مهدي البصير (الذي زقه العلم و الأدب والطريقة والنهج) ،والدكتور عبد العزيز الدوري كذلك ، والأستاذ أحمد يوسف نجاتي ،والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور عز الدين آل ياسين ، والدكتور أحمد ناجي القيسي ، والدكتور بدوي طبانة -أختصاصي تربوي - والأستاذ محمد هاشم عطية ، وآخرون .

عين مدرساً سنة 1956م في دار المعلمين العالية، ومفتشاً أختصاصياً للغة العربية في وزارة المعارف حتى سنة 1959م ، ثم انتقل الى جامعة بغداد .

وبلغ درجة الأستاذية في العراق سنة 1966 ،ثم اصبح أستاذاً متمرساً .قال الشعر وهو صغير ، وكانت أول قصيدة أثبتتها أبيات في وصف الربيع نظمها في 30/أيلول /1939م .ونظم الشعر التعليمي سنة 1941م . ثم دون شعره فجمع (عبث الصبا) وكتب (روائح الشباب)،ولما عانق السادسة عشرة من عمره رصع (يواقيت الوشاح)وهدرت (شقائقه) بدخوله دار المعلمين العالية ، ثم أحصى ذكرياتها في ديوان (الدرمعيات) - نسبة الى دار المعلمين العالية - ومن بعد قيد نفثاته في (ديوان المحنة)سنة 1949م ونظم (كربة الغربة)بعدما فارق العراق وكابد الشوق اليه ،وسمى شعره بعد الأربعين (ثمالة كأس) .

قال في شباط سنة 2007م من قصيدة بعنوان (العراق) :

ق،أنا العراق، أنا العراق	أمي العراق ،أبي العرا
م الوالدين ، هو العراق	نسب أقمناه مقـا
ت،تضمخا بشذا العراق	أبـواي دجلة والفرا
لة كالنسيم صفا وراق	رق الفرات وماء دجـ
لي،معدن البيض الرقاق	هو منبت السمر العوا
روحانه هبط البراق	في رحلة المعراج في
او تبلغ الروح التراق	لأبتغي بدلاً له

اهتم بالحديث منذ الصغر ،وحرص على رواية الاحاديث ،وقد استجاز العشرات من المراجع والمجتهدين ،والفقهاء والمحدثين ،في المشرق والمغرب (في العراق ولبنان والمغرب وايران وسوريا وروسيا والسعودية و الهند والجزائر ولندن واليمن) وهم من علماء الاسلام كافة ،على أختلاف مذاهبهم ومشاريهم ،واعتقاداتهم ومعتقداتهم ،لايفرق بين المذاهب وله فهرسة باسماء المجيزين وتواريخ الاجازات وأمكنتها مرتبة على مر السنين،بلغت عدتهم التسعين.

وله (جنى الجنيتين)في اجازة المراجع ألعليين والمجتهدين الكبار ،والعلماء الفضلاء ،والطالبين والراغبين من اهل العصر والآتين بشرطها وشروطها،كتبها سنة 1419هـ وله اجازات خاصة لكثيرين .

انتخب عضواً في المجمع العلمي الايراني (الهيئة الادبية)سنة 1952م،وفي الجمعية الاسيوية الملكية في لندن سنة 1954م،ثم أنتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة 1962م (وهو رابع عراقي يدخل المجمع) والمجمع العلمي الهندي في عليكره سنة 1976م ومجمع اللغة العربية في دمشق سنة 1993م .

وهو عضو نادي القلم في بغداد سنة 1957 م ،وجماعة أبولو الجديدة في القاهرة سنة 1990م ، وملتقى الرواد في بغداد سنة 1993م ،ومستشار بيت الحكمة في بغداد سنة 1997م .

شارك ومثل العراق في عشرات المؤتمرات العالمية والاستشراقية ،والندوات والمجالس العلمية والحلقات الدراسية والمهرجانات الادبية في العراق والبلاد العربية منذ سنة 1954م . و تقديرأ لأبداعاته نال (وسام الثناء) في الثقافة سنة 1957م

،(وسام اقبال الذهبي)1978م وفاز كتابه(المتنبى وسعدي)،بجائزة (أحسن كتب العام)سنة 1958م ،وفاز بالجائزة العالمية للكتاب سنة 2005م .

ورشحته جامعة بغداد لعدة جوائز علمية وعالمية،وهو الاستاذ الاول في كلية اللغات سنة 1993م ،والأستاذ الاول في جامعة بغداد سنة1993م،وأستاذ ممترس سنة 1995م،وقد تخرج عليه ثلاثون دورة من الطلبة علمهم حرفة النقاء ،وان الوطن فوق كل اعتبار ،وثمة أجيال تشربت من معينه معرفة وأخلاقاً ونبلاً .

وقد لقبه علماء اوربا وأساتذة جامعاتها الكبرى بـ (الموسوعة المتحركة) في ربيع 1989م . يعد الدكتور حسين علي محفوظ واحداً من أهم أعمدة المعرفة والفكر و الثقافة وأحد رواد الفكر واللغة والأدب في العراق ،بل في العالم العربي والإسلاميانه الانسان والاديب واللغوي والشاعر والعلامة والنسابة والموسوعي .

هو ابن الكاظمية البار ... وعاشق بغداد...ولشدة عشقه لها ودوره العلمي والثقافي في رحابها وفي أروقة مجالسها لقب بـ(شيخ بغداد) وقد كان يعتز كثيراً بهذا اللقب . لقد أحب العراق ..كل العراق من شماله الى جنوبه من عربه وأكراده وكافة أطيافه ،فأصبح عاشق بلده الحبيب.

من أقواله : ((إذا دخل الإنسان في الوجود ، فلا بد أن يخرج منه ،وأذا صافح البداية فلا بد ان يعانق النهاية .ولامفر من ان يفارق الحياة ،ولامناص من أن يستقر أخيراً في غيابة وادي الصمت ،وأن تلفه ظلمات عالم السكون))

وهكذا عانق النهاية ،وفارق الحياة في مستشفى ابن البيطار ببغداد في الساعة (8,30) مساءً الاثنين 22/محرم الحرام /1430م الموافق 2009/1/19م وشيعته الجموع الغفيرة من محبيه ،صباح اليوم الثاني،حيث أنزل في ملحودة قبره - بعد صلاة الظهر - في الطارمة الشرقية المواجهة لباب المراد - من الروضة الكاظمية

المطهرة- بعد ان صلى على جثمانه الطاهر(وبامر منه في وصية)الشيخ الدكتور
محمد هادي المنصور الخزرجي.(¹)

5 . المحور الخامس:عراقية اسم بغداد:

يمكن القول،ان الكتب التي تعنى بالتراث الفكري والادبي البغدادي تتضمن الكثير
من الادلة التي تثبت عراقية اسم بغداد،ياتي في المقدمة منها قيام العديد من
المؤرخين العرب بذكرها في صدر الاسلام ،وسوف نكتفي بذكر البعض من هؤلاء
(بحسب اهميتهم)وايجاز اقوالهم فيها.

(¹) المنصور،الشيخ د.محمد،تراجم علماء الكاظمية،مؤسسة الامامين الجوادين الانسانية . الكاظمية المقدسة . دار
الحوراء بغداد 2009م،ص84

*فلقد ذكر احمد البلاذري (892م) بغداد قائلاً : (وكانت بغداد قديمة فمصرها امير المؤمنين)أي انها كانت موقعا صغيرا فجعلها مدينة.

*كما ان احمد اليعقوبي (897م)قال فيها: (ولم تكن بغداد مدينة في الايام القديمة .. اعني ايام الاكاسرة والاعاجم.. فانها كانت من قرى طسوج بادويا وهذا يعني ان تلك القرية كانت تسمى بغداد قبل ان يحتل الفرس العراق)

*كما ان ابا علي بن رسته (903م) يذكر بغداد قائلاً:(بغداد اسم موضع كانت في تلك البقعة ..في الدهر القديم ،وهي ارض بابل

*كما ان ابا جرير الطبري(839 . 923م)يذكر بطولات القائد العربي خالد بن الوليد قائلاً: (اغار على سوق بغداد...وانه وجه المثني فاغار على سوق فيها جمع من قضاة وبكر)

*وقد تحت حسن الهمداني (945م)عنها وعن مكانتها التجارية في العالم آنذاك قائلاً: (وكانت بغداد قديمة،فمصرها ابو جعفر المنصور.وكانت بغداد سوقا يقصدها تجار الصين بتجارتهم فيربحوا الربح الواسع)

*وقد اتفق الطبري مع عبد الرحمن ابن الجوزي (1116 . 1200م)وبدر الدين العيني (1360 . 1451م)اذ قالوا : (وكانت بغداد مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة ،كانت لـ"60" نفسا من البغداديين فعوضهم المنصور عنها عوضا ارضاهم .

*والخطيب البغدادي يروي لنا عن طريق الشيخ ابي بكر الذي قال : (والمحفوظ ان هذا الاسم . بغداد كما يعرف به الموضع قديما)

*كما وان ا.د حسن فاضل زعين كتب عن عراقية اسم بغداد وعروبه قائلاً: (تؤكد المصادر والوثائق التاريخية وما كشفته التنقيبات الآثرية ان بغداد اسم عراقي قديم.والادلة على قدم عراقيته وعروبه .. وارتباطه بالعراقيين دون سواهم كثيرة ..ان بغداد اسم عراقي اصيل عرفه سكان العراق القدماء منذ اقدم العصور وان اسمها بقي محافظا على مكانته حتى يومنا هذا... مع طول تلك الازمنة التي مرت عليه)

*ومن المؤرخين العراقيين المعاصرين، كتب أ.د احمد صالح العلي عن بغداد قائلاً: (وقد اطلق ابو جعفر المنصور "754 . 772م" على المدينة التي شيدها سنة "762م" اسم "مدينة السلام" تيمنا بالجنة لذكر الله الوارد في القرآن الكريم باسم "السلام" وكان هذا الاسم الرسمي لها مدون على المسكوكات والموازين والوثائق والكتب الرسمية . غير ان الناس كانوا يسمونها في الغالب "مدينة المنصور" نسبة الى الخليفة الذي شيدها. كما انهم اطلقوا عليها وعلى ما تمثله من ابنية أخرى عند توسعها اسم "بغداد" الذي كان يطلق على هذه المنطقة منذ ايام البابليين⁽¹⁾).

*وعن الحروف التي يتكون منها لفظ اسم بغداد ،كتب شيخ بغداد الراحل أ.د حسين علي محفوظ (مستذكرا ما استوحاه من معاني ودلالات عميقة استنبطها من احرفها الخمسة) قائلاً⁽²⁾ :كلما ذكرت بغداد اوحى اليّ حروفها الخمسة من الاعماق والافاق مالا اعدده ،فتشير الباء الى البراعة والغين الى الغنى ،والدال الى الدعة والالف الى الالباء والدال الاخيرة الى الدراية.

*وعن الفية بغداد كتب الشيخ الراحل قائلاً :اقترحت في اواخر الخمسينات الفية بغداد والكندي وقد قامت احتفالات بغداد والكندي في شتاء 1962م، وقد جمعت الفية بغداد العالم، والتقى فيها الشرق والغرب، وباركها العلماء والفضلاء والمختصون. وحياتها الفيلسوف الكبير "برتراند رسل" برسالة صوتية ما زالت تملأ الاسماع. وبغداد مدينة عجيبة وبلد مدهش وموضع يتميز فيه البيان ويعجز فيه القول . قالوا في بغداد ما شادوا وهي فوق ما قيل .

*وعن اسمائها قال :قالوا (عين العراق وجنة الدنيا وجنة الارض وحاضرة الدنيا ومصر العرب والمدينة العظمى وقالوا :البلدة الحسنة ومدينة العلم وينبوع الاداب وهي عشرات بل مئات لا بل الوف من الكلمات والاقوال) وانا "والقول لازال لشيخ

(1) الرميثي ،جواد ،المفيد في تاريخ بغداد ،جريدة صوت بغداد ،العدد374، الثلاثاء 2009/8/18

(2) الكنانى ،علي ناصر،مجلة المجالس البغدادية،بغداد، استأثرت بعشرات الاسماء البليغة الدالة على عظم مكانتها، ص13 . 15.

بغداد الراحل "اكتفي من اسماء بغداد بلفظ (بغداد) ومن اوصافها وصفاتها بـ (مدينة السلام) أي (مدينة الله والسلام من اسماء الله) واكتفي من كناها بـ (ام الدنيا) ومن القابها بـ (سيدة البلاد). قالوا حدث عن البحر ولا حرج، وانا اقول حدث عن بغداد ولا حرج. بغداد سماء مرفوع لاتطاولها سماء، وبحر لجي لايساجله بحر، هي الدنيا باجمعها وسكانها هم الناس. قال الامام الشافعي (رض) ليونس بن عبد الاعلى: يا يونس دخلت بغداد؟ قال: لا، قال: يا يونس ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس. وهو قول ماوراءه قول، وقال صاحب بن عباد لاستاذه ابن العميد، وقد ساله عن بغداد، عند مصرفه عنها، بغدا في البلاد كالاستاذ في العباد قصد بغداد اهل المشرق واهل المغرب.

* وعن عمرها قال: اسست بغداد في سنة (762 م . 145 هـ) وتمت في سنة (766 م . 149 هـ) وعمرها في هذا العام 1255 سنة قمرية^①، بغداد وهي تعانق اثني عشر قرنا ونصف قرن تقريبا، من عمرها الطويل المديد، هي شريحة شابة، مازالت غضاضة الغصن وعنفوان السن. تختال في ثياب الجمال والشبيبة وحلل الفتاء * والحسن . هذا في الاسلام اما في تاريخ العراق القديم فان بغداد ترجع الى الالف الثانية قبل الميلاد. اي عمر بغداد يزيد على اربعة الاف عام وهي سيدة المدن العراقية، وست البلاد حديثا، ومن قبل ومن بعد.

^① والمظنون ان الشيخ الراحل كان قد تحدث عن بغداد، بالحديث اعلاه مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

* الفتاء: وتعني "الشباب، الحداث"

6 . المحور السادس:قالوا في بغداد:

لم تحظ مدينة في الدنيا بمجد وذكر وشموخ كما حظيت به بغداد مدينة العلم والادب والرخاء والجمال ،بغداد التي علمت الكون معنى الحضارة والتمدن والعلم .وهل التاريخ الا تاريخ بغداد ،وهل العلماء الا علماء بغداد،وهل الشعراء الا شعراء بغداد.ومن مشهور الاقاويل فيها قول الشافعي ليونس بن عبد الاعلى: ادخلت بغداد؟ قال :لا.قال: يايونس ما رأيت الدنيا ،ولأرأيت الناس! وقال فيها ياقوت الحموي :بغداد سيدة الدنيا ،وام البلاد .وقال :بغداد سرّة الدنيا ،وللجاحظ فيها كلام في غاية الحسن اذكر منه قوله :قد رايت المدن العظام المذكورة بالاتقان والاحكام بالشامات والروم وفي غيرها من البلدان .فلم ارى مدينة قط ارفع سمكا ،ولا اجود استدارة ،ولا اجود فصيلا من الزوراء،كانما صببت في قالب،وكانما افرغت افراغا.وخير دليل على

ذلك ما قاله فيها الرحالة وعلماء التاريخ والشعراء ... وهم يصفون مجدها وازدهارها وجمالها كما يصفون احوالها في الشدة والرخاء والحرب والسلام ... وللشعراء فيها نصيب من القول بما وجدوه من نعيم في دفيء مضاجعها وجمال فائقاتها واريح بساطتها ولذيق العيش فيها او بما لاقوه من شظف العيش وصعوبة الحياة كل حسب حظه وقسمته ..⁽¹⁾

*وانشد صفي الدين الحلي في بغداد قائلاً :

سلي الرماح العوالي عن معالينا يايوم وقعة(زوراء العراق) وقد بضمّرٍ ما ربطناها مسومة وفتية ان نقل اصغوا مسامعهم قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة	واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا دنا الاعادي كما كانوا يديـنونا الا لنغزو بها من بات يغزوننا لقولنا،او دعوناهم اجابوننا يوما.وان حكموا كانوا موازيننا
---	---

*وعن التشوق الى بغداد قيل الكثير،ومن الذين انشدوا في هذا الجانب ،ابو الهدي الصيادي الذي قال :

واسمر علي اللون صادفني حيث الجاذر في اطراف دجلتها وحيث كل رفيع الخصر وجنته	يوما فذكرني عهدا ببغداد تجول بالتية من واد الى وادي ياقوتة لم يحطها فكر نقاد
--	--

*وفي قصيدته (بغداد)يقول نزار قباني:

عيناك،يابغداد،منذ طفولتي لاأُنْكَرِي وجهي،فانت حبيبتي بغدادُ جنتك كالسفينة متعباً ورميت راسي فوق صدر اميرتي بغداد طرت على حرير عباءة حتى رايتك قطعة من جوهر حيثُ التفتُ اري ملامح موطني بغداد عشّت الحسن في الوانه	شمسان نائمتان في اهدابي وورود مائدتي وكاس شرابي اخفي جراحاتي وراء ثيابي وتلاقت الشفتان بعد غياب وعلى ظفائر زينب ورباب ترتاح بين النخل والاعناب واشمُ في هذا التراب ترابي لكنّ حُسنك لم يكن بحسابي فهواك لايكفيه الف كتاب يامخزن الاضواء والاطياب وحبيبتي تبقيـن بعد ذهابي
---	---

(1) الا ماذا ساكتب عنك يا فيروزتي
بغداد ياهزج الخلائل والحلي
قبل اللقاء الحلو كنتِ حبيبتي

*اما الشاعر محمود حسن اسماعيل فقد فاز بقصب السبق حين نظم قصيدته
الخالدة والتي غنتها ام كلثوم :

بغداد يا قلعة الاسود
سمعت في فورك الوليد
وبيرق النصر من جديد

يا كعبة المجد والخلود
توهج النار في القيود
يعود في ساحة الرشيد

***وقال شاعر آخر :**

بغداد...مهما تلاقي انت بغداد
كم عشت في قمة التاريخ سيده
أغرست بالمجد حيناً وانفردت به
حتى اذا جاء عهد القيد ما انخفضت
بل عشت في زحمة الاغلال شامخة
لم يثن عزمك اعداء جبابرة
وكم سخرت من الطاغين في يدهم
وعشت فوق حياض الموت مزدهرة

لا بد يوم لك الايام تنقــــــــــــــاذ
يعنو لجاهك احرار واسيــــــــــــاذ
لم يبق حولك للباقيــــــــــــن امجــــــــــــاذ
فيك الجباه ولم يهزمك اوغــــــــــــاذ
لا السجن السجن ولا الاصفــــــــــــاذ
ولم يردّ خطي الاحرار جلاــــــــــــاذ
حول المشائق احبال واعــــــــــــواذ
كانما الموت في دنياك مياــــــــــــاذ

***وعن رثاء بغداد نقول :**

لقد تالم الشعراء على مدينتهم الرائعة بغداد فرثوها بغرر القصائد الحزينة التي تصف ما حل بها خصوصا بعد الفتنة التي وقعت بين الامين والمامون والتي ساءت فيها حال الناس بسبب ذلك وعظم الشر وكثر الخراب والهدم من القتال ورمي المجانيق والنفط حتى درست محاسن بغداد وعملت فيها المراثي.

. ومن جملة ما قيل في بغداد :

بكيت على بغداد لما
اصابتها من الحساد عين
فقدت غضارة العيش الانيق
فأفنت اهلها بالمنجنيق

- وقال الشاعر عمر الوراق في رثاء بغداد :

من ذا اصابك يا بغداد بالعين
الم يكن فيك اقوام لهم شرف
استودع الله قوما مذكرتهم
الله در زمان كان يجمعنا
يا من يخرّب بغداد ليعمرها
الم تكوني زمانا قرّة العين
بالصالحات والمعروف يلقوني
الا تحدر ماء العين من عيني
اين الزمان الذي ولى ومن اين
اهلكت نفسك ما بين الطريقين

- ورثاها ابن ابي اليسر فقال :

لسائل الدم عن بغداد اخبّار
يا زائرين الى الزوراء لا تقفوا
ان القيامة في بغداد قد وجدت
فما وقوفك والاحباب قد ساروا
فما بذاك الحمى والدار ديار
وحدها حين للاقبال ادبار

*ومن اروع ما قيل تشوقا اليها بعد فراقها، ما قاله القاضي عبد الوهاب المالكي
الفقيه المشهور، فلقد ورد في الاخبار عنه ،انه عندما خرج من بغداد، خرج اهلها
لوداعه وهم يبكون ويعولون، فما كان منه الا ان قال لهم :والله يا اهل بغداد ،لو
وجدت عندكم رغيفا كل يوم ما فارقتكم. ثم انشد قائلا:

سلام على بغداد في كل موطن
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها
ولكنها ضاقت علي باسرها
وكانت كخل كنت اهوى دنوه
وحق لها مني سلام مضاعف
واني بشطي جانبها لعارف
ولم تكن الارزاق فيها تساعف
واخلاقه تنأى به وتخالف

- ويقول فيها ايضا :

بغداد دار لاهل المال طيبة
ظلمت حيران امشي في ازقتها
وللمفاليس دار الضنك والضيق
كانني مصحف في بيت زنديق

***وعن الحنين الى بغداد انشد شاعر العربية الكبير (محمد مهدي الجواهري) قائلا**
(¹) :

حييت سفحك عن بعد فحبيبي
حييت سفحك ظمأنا الود به
يادجلة الخير يا نبعاً افارقه
اني وردت عيون الماء صافية
وانت يا قارباً تلوي الرياح به
وددت ذاك الشراع الرخص لو كفني
يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا
اتضمنين مقيلاً لي سواسية
خلواً من الهم الا هم خافقة
تهزني فاجاريها فتدفعني
يا دجلة الخير يا ام الساتين
لوذ الحمائم بين الماء والطين
على الكراهة بين الحين والحين
نبعا فنبعا فما كانت لترويني
لي النسائم اطراف الافانين
يُحاك منه غداة البين يطويني
حتى لادنى طماح غير مضمون
بين الحشائش او بين الرياحين؟
بين الجوانح اعنيها وتعنيني
كالريح تُعجل في دفع الطواحين

***وقد خاطب الشاعر عبد الامير الحصري بغداد قائلاً:**

بغداد قلبي في يديك فعذبي ان شئت او ان شئت ظلّ العاطبُ

***اما السيد مصطفى جمال الدين فقد انشد بحق بغداد قائلاً :**

بغداد ما اشتبكت عليك الاعصرُ إلا ذوت ووريقُ عُمرِكَ اخضرُ

***وعندما اراد الشيخ عيسى بن عبد الحميد الخاقاني ان يجاري الشاعر علي الجارم صاحب القصيدة التي مطلعها :**

بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجد التليد

انشد قائلاً:

بغداد يا بلد المفيد ومدينة العلم المفيد
ياشارة الصبر الحميد ومنارة المجد التليد

*** وقد غنت الشاعرة لميعة عباس عمارة لبغداد قائلة : (²)**

(هلا) و(عيوني) بلادي رضاها
وازكى القرى للضيوف قراها
بلادي ويملؤني الزهو اني
لها انتمي وبها اتباهي
لان العراق معنى العراق
ويعني التبغددُ عزاً وجاهاً
اغني لبغداد تصغي القلوب
والفي دموع الحنين صداها
وان قلتُ بغداد اعني العراق
الحبيب بلادي بأقصى قراها

بغداد، 1975م، ص81. وقد نشر قسماً منها لأول مرة في جريدة المستقبل

، والنصوص للصف الثالث المتوسط، ط5، بغداد 2008م، ص51.

*** ومن الشعراء الذين تغنوا بحب بغداد، الشاعر سالم حسين الامير: (1)**

ان تسألني عن غرامي	فببغداد غرامي
هي في قلبي وفي روحي	وحتى في عظامي
وهي حلمي وحياتي	ونديمي ومدامي
ولها اشتاق دوما	وبها يحلو كلامي
فهي في شعري وفي عزفي	وفي لحنني امامي
ومتى ما غبت عنها	بين اسفاري الجسام
هاجت الذكرى بقلبي	وبها زاد هيامي
فاذا بالشوق يحدو	بي الى دار السلام

*** وفي تحية بغداد قال شاعر العرب الاكبر (عبد المحسن الكاظمي):**

ابغداد لافاتتك مني تحية يفسر منها ما اراد المفسر

(1) جريدة الدستور (ملحق بغداديات) العدد (1517) الاحد 2008/11/23م، الشاعر سالم حسين الامير، دمشق الشام .

وانشد قائلاً عندما اشتد به الحنين الى مسقط راسه وملاعب صباه :
حنينا الى الزورا حنينا الى الصبي حنينا الى العود الذي هو انضر

*اما الشاعر مهدي الماجد(احد شعراء مجالس بغداد الثقافية)فقد نظم قصيدته الموسومة "بغداد"يوم 2010/11/13م،حيث تضمنت موقف الشاعر من التداعيات التي احاطت ببغداد وباقي المدن العراقية الاخرى بفعل الغزو الامريكي للعراق يوم 2003/4/9م،ننقل منها الابيات التالية:

بغدادُ يا عبقَ الزمانِ وتاجَ كلِّ جميلةٍ ما
نَعَتْ بحقولها وعلى مياسم شوقها الزهراتِ
مالي اراك والنوائبُ غصّةً
تختالُ بين ربوعكِ الملأنا من الجناتِ
اقوامُ شتّى يمحرون سفينةً هم
ومناهجُ ملئتُ هواءَ الناسِ بالنعراتِ
اتحزنني بغدادُ مما قد جرى
وتذكري مكرّاً بدا في سالفِ الاوقاتِ

الكل يذهب من سـمـانك
١١ ١٢

إلا الذي احببت يبقى مشرق البسمات

بغداد قومي من ثرابك حية

وجميلة من نور وجهك تافل الكزبات

ردي لدجلتك الانيقة مجدها

وتسامقي غرراً الى العليا مع النجمات

اهلوك ان مست بهم أيدي الردى

لابد تنزاح الهموم ويبلغوا الغايات

مصادر البحث:

*ناجي، د. عبد الجبار، بغداد السلام والجهاد، ط بغداد 2002م.

*أ.محمود فهمي درويش والدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل الجمهورية العراقية سنة 1960م.

*العابد، د.صالح محمد والدكتورين عماد عبد السلام رؤوف وعلاء موسى كاظم نورس، العراق في التاريخ(عصر الغزاة)بغداد1983م.

*الجابري، اسماعيل طه، هبة الدين الشهرستاني، منهجه في الاصلاح والتجديد وكتابة التاريخ، ط1 بغداد2008م.

*المنصور، الشيخ د. محمد هادي، تراجم علماء الكاظمية، مؤسسة الامامين الجوادين الانسانية . الكاظمية المقدسة، دار الحوراء بغداد، 2009م.

*ديوان الجواهري، ج5، مطبعة الاديب البغدادية 1975م.

- *الخليل، د.سمير كاظم وآخرون، كتاب الادب والنصوص للصف الثالث المتوسط، ط5، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 2008م.
- *شيخ بغداد، أ.د حسين علي محفوظ ،ملخص "سيرة واعمال واثار" الشيخ كاظم آل نوح، ط1 بغداد 1998م.
- *الدباغ ،عبد الكريم، شذرات من سيرة علامة العراق ،شيخ بغداد، ا.د حسين علي محفوظ، 1430هـ . 2009م
- *لمحات مضيئة من سيرة الراحل ا.د حسين علي محفوظ ،بمناسبة مرور اربعين يوما على رحيله ،الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ،قسم الثقافة والاعلام ، صفر 1430 هـ .
- *مجلة المجالس البغدادية، العدد /بسم الله . تموز 2010م.
- *مجلة نادي الصيد، العدد(4) كانون الاول 2010م.
- *صحيفة الدستور (ملحق بغداديات)العدد (1505) الاحد 2008/11/9م. العدد (1517) الاحد 2008/11/23م.
- *صحيفة بغدادنا ،السنة الثالثة ،العدد (129) الثلاثاء 2009/10/13م.
- *جريدة المدى،ملحق ذاكرة عراقية(بغداد) العدد(1656)السنة السابعة ،الاثنين 2009/11/16م.
- *صحيفة صوت بغداد،العدد(374)الثلاثاء 2009/8/18م.
- العدد(624)الثلاثاء2011/5/24م.

مجلس المخزومي الثقافي
بغداد - المنصور

بنو ربيعة رجال ومواقف

بسم الله الرحمن الرحيم

"يا ايها الذين امنوا انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا

وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم" الحجرات-13

صدق الله العلي العظيم

المقدمة

كانت القبيلة وما تزال تمثل الحجر الاساس في عملية تنظيم العلائق الاجتماعية بين افراد المجتمع العراقي ، لأنها ادت دورا مهما في تأريخه القديم والحديث، فقد شاركت في جميع المعارك التي انتهت الى طرد الغزاة الاجانب من العراق وضمه الى كيان الدولة العربية الاسلامية الفتية ، وكانت القبيلة تمثل الغالبية من سكان مدن العراق الجديدة آنذاك كالبصرة والكوفة.

ولكن الاله من ذلك كله ، الدور الكبير الذي قامت به القبيلة في ترسيخ عروبة العراق ، وذلك من خلال الهجرات العربية المتعددة التي سبقت الدعوة الاسلامية بآلاف السنين . ولان ذلك الانتقال لم ينقطع حتى في عهود الدولة العربية الاسلامية ، اخذ دور القبيلة يتعاظم في العراق مع مرور الزمن لاسيما بعد الغزو المغولي لبغداد عام 656هـ-1258م، حيث قاومت بعض القبائل قوات الاحتلال وقد نجحت فعلا في طرد المحتلين المغول من مناطق عديدة وحصر نفوذهم على المدن الكبرى فقط، فتعاظم دور القبائل وزاد نفوذها واتسعت دائرة المناطق التي تسيطر عليها ،

بحيث اصبح هذا الدور اكثر وضوحاً ايام العثمانيين ، لان القبيلة كانت تؤلف وقتئذ قوة عسكرية فعالة خارج نطاق السلطة الرسمية مما اضطر العثمانيين الى زيادة اعتمادهم على قدراتها العسكرية في اعمالهم المختلفة.

ولقد استمر هذا الدور على ما هو عليه ولم يتراجع الا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، لاسيما بعد ان حاول الوالي مدحت باشا الحد من سيطرة القبائل وتقليص نفوذها ، وذلك من خلال تشجيعها على الاستقرار والاشتغال بالزراعة والسكن بالقرب من المدن وحواليها، لتكون اكثر انقياداً لسلطة الدولة في مركز الولاية بغداد ، الامر الذي دفع المؤرخين (وكرد فعل على تلك السياسة) على الاهتمام المتزايد بتاريخ القبيلة ، فبحثوا في انسابها وتاريخها ومواطنها القديمة والحديثة.

وفي النصف الاول من القرن العشرين كتب الكثير من المؤرخين عن القبيلة وكان ابرزهم المحامي الاستاذ عباس العزاوي صاحب موسوعة القبائل العراقية العربية والكردية ، مابين عامي 1937-1956م التي كانت وماتزال مرجعاً مهماً في هذا المجال.وفي العقد الاخير من القرن نفسه برز من جديد الاهتمام بتاريخ القبائل وتسجيل اخبارها وصدرت اعداد من الكتب تبحث في تاريخ القبائل من حيث تكوينها وامتدادها وتفرعاتها ومواطنها وتترجم لابرز اعلامها، وعلى الرغم من التفاوت في درجة الاحاطة بالموضوع والدقة في تناوله فأن هذه الكتب قدمت الكثير من المعلومات المهمة عن جوانب الحياة الاجتماعية في العهود السابقة.⁽¹⁾

وعود على بدء، ولكي يكون البحث الموسوم (بنو ربيعةرجال ومواقف) مستوفياً لشروط البحث العلمي ، كان لابد من توزيع ماورد فيه من اخبار وحوادث ومواقف ومادة علمية (كانت قد تناولت اهمية النسب عند العرب في الجاهلية وبعد الاسلام

(1) العارضي، محسن جبار، بنو عارض...نسب وتاريخ ومواقف ، بغداد 2003م، ص20-21.

ينظر: ❁ العامري ، ثامر عبد الحسن ، تصدير للدكتور عماد عبد السلام ، موسوعة العشائر العراقية ج5، بغداد 1993م، ص6-13.

، فضلاً عن طبقات النسب المعتمدة لدى كبار النسابين ، وعلاقة ذلك بموقع قبيلة ربيعة بين القبائل العربية قديماً وحديثاً) على اربعة محاور هي:

- 1- المحور الاول: النسب بين الشريعة والتراث
- 2- المحور الثاني: بنو ربيعة في التاريخ
- 3- المحور الثالث: بنو ربيعة اليوم
- 4- المحور الرابع : بنو عتاب وعشائر ربيعة الاخرى

1- المحور الاول: النسب بين الشريعة والتراث

تمهيد

يعتبر علم الانساب العربية واحداً من اهم العلوم والمعارف العربية الاصلية في نشأتها وتطورها ، لانه احد المرتكزات الاساسية في الثقافة العربية قبل الاسلام وبعده كما ويعتبر من اهم اصناف الكتابة التاريخية لان المعلومات المتعلقة بالانساب يرجح بأنها دونت تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام ، فضلاً عن ان العرب كانوا ينظرون فيه الى الدم واهميته في تثبيت اصالة الانساب ، لذلك اهتموا بالنسب وحفظ مشجرات الانساب وتوارثها. ولقد اصبح هذا العلم اكثر اهمية عند العراقيين لاسيما بعد ان تعرض العراق ومنذ العام 1258م - 656هـ الى موجات عديدة من الغزو الاجنبي حاولت التأثير بشكل او بآخر على التكوينات العربية القبلية فيه لتفتيتها ، لذلك كان من الضروري ظهور دراسات علمية متخصصة لمعالجة آثار وتركات ما خلفته عهود الغزو الاجنبي للعراق.

ولكي تساهم مثل هذه الدراسات في تدوين تاريخ الانساب والقبائل العربية لتتواصل مع تاريخها الماضي من جانب وتزيل الغموض والالتباس حول الكثير من التسميات المستحدثة والمعاصرة (التي حلت محل التسميات الاصلية) من جانب آخر. ولكي تكون هذه الدراسات ناجحة في محتواها يجب ان تتوخى الدقة في معالجة الامور التي تتصدى لها، مع الحذر الشديد قبل البت بشكل مباشر في اطارها العام . وبما ان هذه الدراسات قديمة قدم تاريخ العرب لم نجد اي تعارض بينها وبين تطور الحياة وتنوع مظاهرها الحضارية فالاسلام بعظمته لم يبلغ هذا النوع من الاهتمامات الفكرية في حياة العرب، الذي كان موجوداً قبل الاسلام ، بل على العكس اكد عليه وشجع على الاهتمام به لعدم وجود تعارض بين الاهتمام بالنسب العربي ومفهوم العقيدة ومبادئها، بدليل الاسس التي وردت في وثيقة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي اصدرها لتنظيم الحياة في المدينة (التي كانت قائمة على الوحدة القبلية والعشائرية)⁽¹⁾ والتي اصبحت فيما بعد وبحسب ما ورد من اخبار ايام الفتوحات الانموذج الذي يحتذى به بحيث اصبحت السكن في الامصار قائم على اساس القبائل. ومن هنا جاءت فكرة ارباع الكوفة واخماس البصرة.⁽²⁾

(1) العارضي، محسن جبار، بنو عارض...نسب وتاريخ ومواقف ، بغداد 2003م، ص28-29.

ينظر: المشهداني ، د.محمد جاسم حمادي ، عشيرة المشاهدة تسميتها نسبها افخاذها ، ج1، بغداد1992م، ص7-12.

(2) المسعودي، نبيل كاظم، قبيلة المسارة في العراق وسلالات طي الاخرى ، بغداد1992م، ص15.

1- المطلب الاول :

طبقات الانساب وما يلتحق بذلك

اعلم ان العرب كلها ترجع الى اصلين ،عدنان وقحطان ، وكان الملك في الجاهلية الى قحطان حتى نقله الاسلام الى عدنان ، ولكل منهم فروع اتفق العرب فيما نقل الينا على ان جملتها ست طبقات ، وكذلك عدها اهل اللغة:

❖ الطبقة الاولى **الشعب**: هو النسب (الابعد كعدنان مثلاً) قال الجوهري هو ابو القبائل الذي ينسبون اليه ويجمع على شعوب. قال الماوردي في الاحكام السلطانية : وسمي شعباً لان القبائل تتشعب منه، وذكر الزمخشري في كشافه نحوه.

❖ الطبقة الثانية **القبيلة**: وهي ما انقسم فيه الشعب (كربيعة ومضر) ،قال الماوردي سميت قبيلة لتقابل الانساب فيها ، وتجمع القبيلة على قبائل وربما سميت القبائل جماح ايضاً كما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال: جماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون.

❖ الطبقة الثالثة **العمارة**(وتعني الحي العظيم): وهي ما انقسم فيه انساب القبيلة (كقريش وكنانة) وتجمع على عمارات وعمائر.

❖ الطبقة الرابعة البطن: وهي ما انقسم فيه انساب العمارة (كبنى عبد مناف

وبنى مخزوم) ويجمع على بطون وابطن.

❖ الطبقة الخامسة الفخذ وهي ما انقسم فيه انساب البطن (كبنى هاشم وبنى

امية) ويجمع على افخاذ.

❖ الطبقة السادسة الفصيلة (العشيرة) وهي ما انقسم فيه انساب الفخذ (كبنى

العباس وبنى عبد مناف - ابو طالب -)

هكذا رتبها الماوردي رحمه الله في الاحكام السلطانية وعلى نحو ذلك جرى

الزمخشري في تفسيره ، في الكلام على قوله تعالى: "وجعلناكم شعوباً وقبائل" الا انه

مثل للشعب بخزيمة وللقبيلة بكنانة وللعمارة بقريش وللبن بقصي وللبن بهاشم

وللفصيلة بالعباس.

اما الدكتور صالح احمد العلي فيقول في كتابه الموسوم (محاضرات في تاريخ

العرب ، ج1، ص126) مانصه: (والغالب ان القبائل الكبيرة تنقسم الى اجزاء

تدعى: العشيرة ، البطن ، الفخذ ، الفصيلة ، الرهط ، الحي (اي بأضافة الرهط

والحي) لتصبح طبقات النسب ثمان طبقات.

واعلم ان اكثر مايدور على الالسنه من الطبقات الست المتقدمة : القبيلة ثم البطن،

وقل ان تذكر العمارة والفخذ والفصيلة ، وعبروا عن كل واحد من الطبقات الست

بالحي ، اما على العموم مثل ان يقال حي من العرب ، واما على الخصوص مثل

ان يقال حي من بني فلان.

وبالجملة فالرهط يجمع الاحياء والفصيلة تجمع الارهاط، والفخذ يجمع الفصائل،

والبطن يجمع الافخاذ ، والعمارة تجمع البطون ، والقبيلة تجمع العماير ، والشعب

يجمع القبائل . (1)

(1) العارضي، محسن جبار، بنو عارض...نسب وتاريخ ومواقف ، بغداد 2003م، ص35-37.

ينظر: السويدي ، الشيخ ابي الفوز محمد الامين البغدادي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل وتاريخ وانساب العرب،

1-المطلب الثاني :

اهمية النسب عند العرب قبل الاسلام وبعده (1)

اولا : اهمية النسب عندالعرب في الجاهلية :

لقد قيل في النسب "انه علم ينفع وجهل يضر "

الامر الذي جعل العرب يولونه اهتماماً كبيراً في العصر الجاهلي لانهم كانوا يعدونه بمثابة المرأة التي تظهر نقاوة دم الفرد وارتباطه بالقبيلة.

لقد ظل الاهتمام بالنسب على ما هو عليه حتى بعد مجئ الاسلام حيث اصبح اساساً للتنظيم المدني والاجتماعي في الامصار العربية ، عند العرب وغيرهم ، لان الاعاجم كثيراً ما اضطروا عند سكناهم الامصار الى الانتساب الى القبائل العربية بأعتبارهم موالي ، ثم اصبح كثيراً منهم على مر الايام صرحاء في النسب.

(1) العارضي، محسن جبار، بنو عارض...نسب وتاريخ ومواقف ، بغداد 2003م، ص39-41.

ينظر:♣ الاندلسي ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج1، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت - لبنان 1983م ، ص4-5.

♣ العلي، د. صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج1، بغداد 1968م ص129.

♣ الجاحظ، عمر بن بحر ، البيان والتبيين ، مكتبة النهضة بغداد ،ص 161 -170.

ثانيا: اهمية النسب عند العرب بعد الاسلام:

لقد زاد الاهتمام بالنسب في صدر الاسلام ، ولو لم يكن ذلك مهماً في حياة المسلمين فمن غير المعقول ان يأخذ مجالاً واسعاً من اهتمامات الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فنراه يتحدث عن الموضوع كلما وجد موقفاً مناسباً لذلك ، يؤكد من خلاله اهمية النسب في حياة الناس .

ولقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يتكلم في النسب يقول : نحن بنو النظر بن كنانة ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يردد دائماً لاسيما في معركة احد وبعد ان اشتد القتال بين المسلمين والمشركين : "انا النبي لاكذب انا بن عبد المطلب" ومن خلال احاديثه ذكر افخاذ الانصار (رض) اذ فاضل بينهم فقدم بني النجار ثم بني عبد الاشهل ثم بني الحارث بن الخزرج ثم بني ساعدة، ثم قال وفي كل دور الانصار خير . ثم ذكر بني تميم وبني عامر بن صعصعة وغطفان، واخبر (صلى الله عليه وآله وسلم) ان : "مزينة وجهينة واسلم وغفارا" خير منهم يوم القيامة .

اما موقف الصحابة من النسب فقد كان واضحاً لانهم انما يسيرون بذلك على خطى الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الجانب ، الامر الذي جعل ذكر البعض منهم يتقدم على سواهم لشدة رسوخهم في العلم ، لانهم اصبحوا من اعلم الناس في الانساب وفي المقدمة من هؤلاء : ابو بكر الصديق وابو الجهم بن حنيفة العدوي وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وسعيد بن المسيب وابنه محمد بن سعيد والزهري (رض).

ولقد تميز ابو بكر عن هؤلاء (في هذا الجانب) لاسيما بعد ان امر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حسان بن ثابت ان يأخذ عنه ما يحتاج اليه من علم نسب قريش .

اما الجاحظ فالنسب عنده اربعة:

" دغفل بن حنظلة ، عميرة ابو ضمضام ، صبح الحنفي، ابن الكيس النمري".
قال الاصمعي : دغفل بن حنظلة النسابة الكبرى .

ومن النسابين العلماء: عتبة بن عمرو بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، اما عقيل بن ابي طالب (رض) فقد كان ناسباً عالمياً بالامهات.

وبناءً على ما تقدم ، يمكن القول ان الاهتمام بعلم النسب وقتئذ امر مفروغ منه لانه ساعد على معرفة انساب الانصار، حيث اصبحت عملية معرفة من يجب له حق في الخمس من ذوي القربى ميسرة، وكذلك معرفة من تحرم عليهم الصدقة من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ممن لاحق له في الخمس، ولا تحرم عليه الصدقة ، وكل ما ذكرنا ، فهو جزء من علم النسب.⁽¹⁾

ومجمل القول فأن الاهتمام بالنسب بعد مجئ الاسلام اصبحت يشغل مكانة كبيرة ، لان الكثير من الامور ، كانت تحسم بحسب النسب ، ومنها: ⁽²⁾

- علاقة الناس بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه (رض) الذين اصبحت الانتساب اليهم فخراً.
- العلاقة بالخلفاء والولاة الذين قد يؤدي الاقتراب منهم الى بعض المنافع.
- الارث الذي كان يتقرر حسب النسب، ومن هنا تأتي اهمية النسب بالوراثة.
- الزكاة التي كانت تعطى الى الاقربين الذين هم اولى بالمعروف ، المعروف الذي يحسن بالاغنياء ان يدفعوه الى الاقرباء، تبعاً لامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ قال: " تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم"

(1) الاندلسي ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج1، ط1، بيروت - لبنان 1983م، ص3.

(2) العلي، د. صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج1، بغداد 1968م ص130.

وبالاضافة الى ماتقدم ، فإن الاهمية الزائدة التي كانت تحيط بالانساب في صدر الاسلام جعلتها تمتد الى غير العرب، فرتبت لهم على مر الايام مشجرات اوصلتهم بأجداد العرب القدماء جداً.

2-المحور الثاني: بنو ربيعة* في التاريخ :

تنتسب قبيلة ربيعة الى ربيعة ثاني ابناء نزار الاربعة في انساب عدنان ، وربيعه هذا اعطي الخيل الدهم من ميراث ابيه فقبل له (ربيعة الفرس) وذلك من الدلائل الواضحة على قدم الفروسية في الفرع عند العرب .

تعد ربيعة من امهات قبائل العرب عامة والعراق خاصة، واليها تنتسب (ديار بكر) و(دير ربيعة) وهي الجزيرة.(1)

وبناءً على ما تقدم ، قال صاحب المعلقة الشاعر الفارس عمرو بن كلثوم التغلبي مفاخرًا بقدم ربيعة وكثرة رجالها:

ملأنا البر حتى ضاق عَنَّا ونحن البحر نملؤه سفينا(2)

ولعظم قبائل ربيعة وتباعد بطونها اصبح الكثير ممن ينتسب اليها لايتلقب بالربيعي، فقد كانت القابهم كثيرة منها:

* ونعني بذلك ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م ،ص7.

(2) نفسه،ص3

(التغلبى، العتابى، الحمدانى، العنزى ، السدوسى، الرقاشى، البكرى، العجلي، الحنفى، الضبعى، الليثى، الشيبانى، الذهلى، العبدى، الوائلى، الربعى) وهناك القاب كثيرة أخرى.⁽¹⁾

وعن القبائل العظام كتب ابن حزم الاندلسي في كتابه الموسوم (جمهرة انساب العرب، ص488) قائلاً:⁽²⁾

وقد وجدنا القبائل العظام من عدنان ثلاثاً وهم : تميم بن مر ، عامر بن صعصعة ، بكر بن وائل. ووجدنا قابل اليمن ثلاثاً وهم : الازد" بعد اسقاط الانصار وملوكهم من كندة ولخم وغسان " ، "حمير" بعد اسقاط ملوكهم "، مذحج فتعارض كل قبيلة من هذه قبيلة من تلك . وقبل هذا كان ابن حزم قد كتب في ص 487 من الكتاب نسه، قائلاً:

وقد قيل ان :

- رصفات العرب :شيبان، تغلب، بهراء، اياد.
- الجفان: بكر، "تميم اصل الجف: العدد الكثير ، الجماعة من الناس".
- الارحاء: تميم ، اسد ، بكر، عبد القيس، كلب ، طيء.
- الجماح(نقلا عن ابن الكلبي) ،كنانة ،تميم ، غطفان، هوزان، بكر، عبد القيس، الازد، مذحج، طيء، قضاة.
- الروقان: بكر، تغلب" والروقان تعني الحي العظيم".

ولقد قيل ان العرب تألفت من اربعة هي كهلان و حمير " القحطانيّتين" ومضر وربيعه " العدنانيّتين" ومن هذا نفهم ان ربيعة هي ربع الامة العربية وعمرها يمتد

(3) نفسه، ص350، ينظر: ❀ ضيف، د. شوقي، تاريخ الادب العربي(العصر الجاهلي) ، ط4، دار المعارف، مصر 1960م، ص333.

(4) العارضي، محسن جبار، بنو عارض...نسب وتاريخ ومواقف ، بغداد 2003م، ص34-35.

لاكثر من ثلاثة آلاف سنة .⁽¹⁾ كانت قد تميزت بظهور الكثير من الفرسان القادة من بين ابنائها ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- **المتنى بن حارث الشيباني:** هو المتنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاب بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني الربيعي.

منازل قومه في البحرين والعراق وهو بطل شديد الاخلاص للعرب والاسلام ولما انتهى من معاونة العلاء الحضرمي في حروب الردة، سار بقواته الى القطيف وجنوب العراق ووصل مصب نهر الفرات وازال الفرس من تلك المناصب وتعاهد مع القبائل العربية المجاورة له ثم قاد بني شيبان ومعه قطبة بن قتادة السدوسي لقتال الفرس فسار يقاتلهم مع الابله جنوب العراق واستمرت غاراته اكثر من عام الى ان وصلته توجيهات من الخليفة " ابي بكر " بأن ينضم الى قوات خالد بن الوليد ويكون تحت قيادته فسار خالد بن الوليد الى جنوب العراق وتوقف في النباح حتى التحق المتنى وجيشه وقد اعطى المتنى لخالد وصفاً جغرافياً شاملاً لطبيعة المنطقة واحوالها.⁽²⁾

- **موسى بن نصير:** هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد بن بكر بن وائل من ربيعة. كان بمثابة الوزير والمشير لبشر بن مروان ابان توليه امرة البصرة ، الامر الذي جعل بشراً يعطيه خاتم الامارة ويمنحه جميع السلطات . تولى بعد ذلك بلاد افريقيا خلفاً لحسان بن النعمان حيث بسط نفوذه عليها جميعاً حتى وصل طنجة ففتحها ويقال عنه انه اول من عني بتعليم القرآن الكريم للبربر. فقد قال ابن خلدون: ارتد البربر في افريقيا عن الاسلام اثنتي عشرة مرة الا في عهد موسى بن نصير فأن الاحوال كانت مستقرة.⁽³⁾

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م ،ص366.

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م ،ص127.

(2) نفسه، ص129-132.

ولان الشعر والفروسية كانتا متلازمتين في حياة العرب كانت ربيعة من بين القبائل التي انجبت الشعراء من اصحاب المعلقة وهم:

- عمرو بن كلثوم التغلبي هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم من تغلب بن وائل.
كان عمرو بن كلثوم شاعراً فارساً ويعد من المعمرين ، يروى انه عاش 150 عام ولما حضره الموت جمع بنيه وقال لهم : " يا بني كفوا عن الشتم فإنه اسلم لكم، واحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم ، واذا حدثتم فأوجزوا، فأن مع الاكثار يكون الاهدار". اشتهر بمعلقته التي مطلعها:

الاهبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا⁽¹⁾

الاعشى ميمون: هو الاعشى ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل ، يكنى ابا بصير وكانوا يسمونه صناجة العرب لجود شعره .

قال ابو عبيدة عنه: الاعشى رابع الشعراء المتقدمين " امرئ القيس، النابغة، زهير"⁽²⁾ مما روي عنه وهو يهجو اياداً لأنها تعتمد على الزراعة ، قوله⁽³⁾

لسنا كمن جعلت اياد دارها جعل تكريت تنتظر حبها ان يحصدا
الاله طعامنا في مالنا مثل رزقا تضمنه لنا لن ينفدا فاذا تراع
الهضاب جزارة لسيوفنا ضمنت لنا فأنها لن تطردا وضروعهن لنا
اعجازهن من قدورنا . الصريح الاجردا .

(3) نفســـــــــــــــــه، ص148.

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م، ص155.

ينظر: ❖ ضيف، د. شوقي، تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ، ط4، مصر 1960م، ص333-334.

(2) ضيف، د. شوقي، تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ، ط4، دار المعارف، مصر 1960م، ص334.

ـ **طرفه بن العبد:** هو طرفه بن العبد بن سفيان بن مالك بن ضبيعة بن بكر بن وائل " وطرفه بالتحريك في الاصل واحد الطرفاء وهو الاثل وبها لقب طرفه " واسمه عمرو ، وهو من الشعراء بعد امرئ القيس ومرتبته ثاني مرتبة ، اذ بلغ بحدائثه سنه مابلغ القوم في طول اعمارهم ، فقد بلغ نيافاً وعشرين سنة ، وقيل عشرين سنة فخب وركض معهم ⁽¹⁾ الامر الذي جعل ابن سلام يكتب عن شعره وما كان يتضمن من تضمين وحكمة قائلاً: وهو من هذه الناحية يشبه النابغة وزهيراً على انهما يتقدمانه ويفضلانه .

ـ اشتهر بمعلقته التي مطلعها: ⁽²⁾

لخولة اطلالٌ ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ونحن اذ نتحدث عن دور الشعر والفروسية في حياة ربيعة ولكي يكون الحديث متكاملًا لايمكن ان نغفل الاجواد من ابناء ربيعة ودورهم المميز في الجاهلية والاسلام. ⁽³⁾

فمن اجواد ربيعة في الجاهلية :

- يقظان بن يزيد بن ارقم الحنفي : كان يقال له (مباري الريح) لجوده.
- عامر بن عمر بن ابي ربيعة بن ذهل الشيباني (الخصيب) سمي بهذا الاسم لجوده.
- قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة الشيباني

وكانت له مائة ناقة للاضياف اذا انقصت اتمها وفيه يقول الشماء :

فأدفع بلبنانها عنهم كما دفعت عنهم لقاح بني قيس ابن مسعود

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م ،ص155.

(1) ضيف، د.شوقي، تاريخ الادب العربي(العصر الجاهلي) ،ط4، دار المعارف، مصر 1960م ،ص430
(2) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م ،ص181-182.

- هوزة بن مرة الشيباني حلف ليظمن ماهبت الريح شمالاً وله يقول رفاع بن اللجلاج

منا الذي حلى البحيرة شاتياً واطعم اهل الشام غير محاسب
اما اجود ربيعة في الاسلام ، فمنهم:

- الحارث بن مرة العبدي : قسم في يوم واحد الف رأس وحمل على خمسمائة فرس.

- عبد الله بن سواد بن همام العبدي: كان في ثغر السند ومعه اربعة الاف رجل، فلم تكن توقد مع ناره نار، فنظر ليلة فاذا رجل يطبخ ، فسأل عن النار ، فقالوا: رجل ولدت امرأته هذه الليلة فعمل لها خبيصاً، فأمر صاحب طعامه: ان يطعم الناس مع الطعام الخبيص.

ولاهمية النسب في حياة العرب كما اسلفنا، تصدى بعض الربيعيين للتعاطي معه، فكان منهم من يشار له بالبنان وهم: (1)

- دغفل بن حنظلة بن زيد بن شيبان بن ذهل الشيباني الذهلي النسابة: قال ابن سيرين : كان عالماً ولكن اغتلبه النسب. وقال عنه الاصمعي: دغفل بن حنظلة النسابة الكبرى .

- قتادة بن دعامة السدوسي البصري الضريع الاكمه كان رأساً في اخبار العرب وانسابها.

- خراش بن اسماعيل الشيباني العجلي ، اخذ عنه محمد بن السائب الكلبى وهو احد النسابين في مجالين : الاول اخبار ربيعة وانسابها .الثاني النسب العتيق في اخبار بني ضبة.

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م ،ص180.

اخيراً نقول: قد يطول بنا المقام اذا ما حاولنا الحديث عن مفاخر ربيعة ، الامر الذي يفرض علينا ان نتحدث بالاجمال ونذكر بعض المفاخر التي كانت ومازالت محفورة في ذاكرة التاريخ ومنها:

- **معركة ذي قار** :⁽¹⁾ التي كانت قد تأججت نيرانها بعد ان اتخذت بنو شيبان وبعض بطون بكر من عجل ويشكر موقفاً موحداً ضد الفرس بعد اغتيال **النعمان بن منذر** ، فقد غضبت بنو شيبان لاغتياله واخذت تشن غاراتها على اطراف مملكة الفرس. ولكن الامر لم ينتهي عند هذا الحد بل نراه يذهب ابعد من ذلك ، عندما ارسل كسرى الى **اياس بن قبيصة الطائي** يأمره بأن يرسل اليه تركة النعمان من خيل وسلاح، فكتب الى **هاني بن قبيصة الشيباني** يعلمه بما كتب اليه كسرى من تسليم تركة النعمان ، فأبى هاني ان يسلم امانته، وكان جوابه: **(انما انا حد رجلين : اما رجل استودع امانة فهو حقيق ان يردها الى من اودعه اياها ، ولن يسلم الرجل الخير امانته، او رجل مكذوب فليس ينبغي ان نأخذه بقول عدو او حاسد).** وبعد استعداد الفرس للحرب، واستعداد بني شيبان لها، بدأ القتال فكانت النتيجة ، هزيمة منكرة للفرس في هذه المعركة التي تعد واحدة من ابرز معارك التاريخ الحاسمة بين العرب والفرس.

- **ومن مفاخر ربيعة ايضاً... الدولة الحمدانية**:⁽²⁾ التي يمتد تاريخها نحو مائة عام ، اي منذ قيام امارتهم في الموصل عام 905م وحتى سقوطها في حلب عام 1001م، حيث قامت بدور محوري في حماية حدود الدولة الاسلامية وصد غزوات الروم البيزنطيين ايام اميرها الفارس الشاعر **(علي بن ابي الهيجاء بن حمدان)** الذي عرف فيما بعد بأسم **(سيف الدولة الحمداني)** الذي يرجع نسبه الى

(1) نفسه، ص217-221.

ينظر: ❦ ضيف، د. شوقي، تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ، ط4، دار المعارف، مصر 1960م ، ص333.

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م ، ص283.

جده الاعلى (ابي العباس حمدان بن حمدون التغلبي الربيعي)، ولقد قال فيه الخليفة العباسي:

ارى الناس في وسط المجالس يشربوا وذاك بشجر الشام يحفظ دولتي

اما مفخرة ربيعة الكبرى فتتمثل بـ: وائل بن ربيعة (وهو كليب المشهور)⁽¹⁾

ولقد قيل قديماً: ما اجمعت العرب على رجل مثلاً اجمعت على كليب بن ربيعة ، هذا الرجل الذي استطاع ان ينقذ قبائل ربيعة، ويوحدها مع اختها مضر في معركة خزازي الشهيرة وينقذها من ظلم التباينة واحلافهم من القحطانيين.

ان الحديث عن مفاخر ربيعة ، لايمكن ان يكون مستوفياً شروطه، مالم نخرج على دورها في حركة التحرر الوطني العراقية في التاريخ الحديث* ، والذي كان ظاهراً

(2) نفسه، ص343-349.

* فلقد كان الفريق الركن محمد نجيب الربيعي واحداً من الذين يشار لهم بالبنان في هذا الجانب، وفيما يلي ترجمة مجملة لشخصيته، فهو رئيس مجلس السيادة (1958-1963م) ولد في بغداد عام 1904م من ابوين كريمين ومن عائلة الربيعي التي تمت بالنسب الى ربيعة. بعد ان تخرج في الثانوية ، التحق بالكلية العسكرية الملكية التي تخرج فيها يوم 1/تموز/1927م ، بعد ان حاز على رتبة ملازم ثان في الجيش العراقي. وقد اثبت وهو في سلكه العسكري انه ضابط مطبوع يمتاز بالسرية التامة والصبر والشجاعة والاستقامة فوق ماله من ميول علمية واستقصاء وتحرر دقيق، وكان ينال دائماً الدرجات الفائقة على اقرانه في صفوفه الدراسية ، وخاصة الدورات التدريبية التي مر بها ، ومنها كلية الاركان العراقية درجة (آ) وكلية الاركان في كوتيا وغيرها.

استمر في الجيش يمارس فنونه بكفاية تامة، وتغلب فيه حتى بلغ رتبة فريق في 1957/11/2م منح خلال فترة تقلبه في رتب الجيش المختلفة قدماً ممتازاً لمدة سنتين ولقد وسام الرافدين من الدرجة الثالثة ومن النوع العسكري. اما المناصب التي اشغلها سيادته فهي: آمر فصيل مشاة ، آمر سرية مشاة ، آمر فوج مشاة، معلم في كلية الاركان ، ضابط ركن اول وضابط ركن ثان لفرقه، مدير شعبة التدريب في مديرية الحركات العسكرية ، سكرتير وزارة الدفاع، آمر لواء مشاة، قائد فرقة ، كما عمل سفيراً للعراق في المملكة العربية السعودية.

لم يكن لديه ميول سياسية محددة ، لكنه متعاطف مع حركة الضباط الاحرار ويحظى بأحترام شديد بين اعضائها ، الامر الذي جعل الضباط الاحرار يجمعون على اختياره يوم 14/تموز/ 1958م رئيساً لمجلس السيادة الذي كان يملك صلاحيات رئيس الجمهورية ، وضم ثلاثة اعضاء هم: الربيعي، محمد مهدي كبة، خالد النقشبندي بموجب البيان المرقم (2) في 14/تموز/ 1958م . واستمر في منصبه حتى قيام حركة 8 شباط 1963م الانقلابية (التي =اغتالت ثورة 14/تموز/ 1958م وقائدها الزعيم الشهيد الفريق الركن عبد الكريم قاسم) حيث اجبر على التقاعد يوم 8 شباط 1963م بموجب قرار ما يسمى بالمجلس الوطني لقيدة الثورة ذي الرقم (16) في 8 شباط 1963م والقاضي بأقصاء رئيس واعضاء مجلس السيادة من مناصبهم ، والغاء مجلس السيادة ومنصب القائد العام للقوات المسلحة.

جلياً من خلال اشتراكها في الحركة الجهادية لمقاومة الاحتلال البريطاني عام 1914م⁽¹⁾ وعن هذا الجانب نقول : لقد كانت عشائر ربيعة آنئذ بزعامة الامير محمد الحبيب الذي عاش فترة خطرة وحساسة لمس فيها الصعوبات الكثيرة، حيث وصل الفاو على ظهور الخيل ترافقه عشائر : ((كريش، بنو عمير، مياح، السراي*، بنو عتاب)) وهناك اطلق عليه لقب محمد ابو الدهن لانه كان كريماً سخياً يشتري من ماله الخاص كميات كبيرة من السمن ويسكبه بيده على الرز الذي كان يقدم للمجاهدين كوجبة طعام يومية بأعتبره المادة الاساسية في ذلك الوقت ولقد ذهب الكثير من عشائره شهداء في الجهاد. ثم عاد من الجهاد وبقي ينتظر نتائج المعارك بين الاتراك والبريطانيين حتى حوَصر البريطانيون في الكوت حصاراً شديداً ذاقوا خلاله الامرين ، عرف فيما بعد بحصار الكوت الذي كانت تتعرض خلاله القطعات البريطانية وبشكل دائم للسطو الليلي (من قبل عشائر ربيعة) الذي يعد بالعرف العسكري اشبه ما يكون بحرب الاستنزاف التي ارهقت القوات البريطانية

يبدو من مجريات الاحداث التي مرت على العراق بعد حركة 8 شباط 1963م الانقلابية ، ان الوضع الجديد كان له تأثير سلبي بالغ الخطورة على صحة صاحب الترجمة ، فنراه يفارق الحياة عام 1964م وبرحيله فقد العراق واحداً من ابرز القادة العسكريين الذين كان الجيش العراقي ولايزال يفتخر بهم وينحني اجلاً وأكباراً للخدمات التي قدموها للجيش والشعب والوطن .

ينظر:- درويش ،أ. محمود فهمي ، والدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960م، دائرة معارف علمية ،تاريخية، جغرافية، اجتماعية، صناعية، زراعية، تجارية،ص14.

- الزبيدي، د. حسن لطيف، موسوعة الاحزاب العراقية ،بيروت- لبنان 2007م ، ص397.

- بطاطو، حنا، العراق،مج3، ترجمة عفيف الرزاز ، منشورات فرهاد،ط1، ايران - قم 2006م ،ص122.

- حميدي، أ.د.جعفر عباس، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري (1958-1963م)،ج6،ط2،

بغداد 2005م،ص15.

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م ،ص155،ص361-363.

ينظر: * الطاهر، د. عبد الجليل ، العشائر العراقية، ج1، لبنان - بيروت 1972م ،ص20-21.

* حيث اشترك الشيخ كصاب (شيخ السراي) مع القائد التركي محمد فاضل الداغستاني في معركة سابس الشهيرة مع عشائره كافة ضد الانكليز المحتلين اثناء الحرب العالمية الاولى وعلى اثرها اجلاء الانكليز الى البصرة ثم اعيد الى الناصرية ، ثم اعفي عنه واعيد الى اهله.

ينظر: ♦ العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م ،ص419.

واجبرتها فيما بعد على الاستسلام للجيوش العثمانية. ولكن البريطانيين وبعد ان اعدوا تنظيم قواتهم ، لاسيما بعد وصول امدادات جديدة لهم من الخارج، تمكنوا من احتلال بغداد بعد انسحاب العثمانيين منها بتاريخ 11 /3/1917م . وبعد ان تقدمت قواتهم باتجاه الموصل تمكنت من اجتياحها اواسط شهر تشرين الثاني /1918م . وبذلك هيمن البريطانيون على العراق، واتضح للشعب ان البلد يعاني من احتلال جديد، الامر الذي دفع زعماء الفرات الاوسط لاعلان الثورة في 30/حزيران/1920م بوجه المحتلين الجدد ، ثم ارسلوا وفداً الى الامير محمد الحبيب يدعونه الى الاشتراك في الثورة ، فوافقهم على ذلك، ولكنه لم يتمكن من الاشتراك الفعلي في الثورة للظروف الموضوعية التي احاطت به ، لاسيما بعد ان وصلت الى مسامع الحاكم البريطاني لمدينة الكوت اخبار الرسالة التي جاء بها وفد ثوار الفرات الاوسط الى الامير ، يطلبون فيها منه المساهمة في الثورة ، الامر الذي دفع الانكليز على تجنيد كل ما يملكون من امكانيات لمنع ذلك التواصل، لالشيء، الا لعلمهم ان الامير محمد الحبيب كانت له الباع الطويلة للتاثير على عشائر الجنوب، حيث وصفت السلطة البريطانية المحتلة موقف امير ربيعة من عدم دفع ما تبقى بزمته من ديون(اذ كانت بزمته 86507 روبية ، دفع منها 10000 روبية فقط) بأنه تعبير عن المقاومة السلبية فالبرغم من قدرته على دفع الديون الا انه لم يقم بتلك المحاولة لانه يشعر بأن السلطة البريطانية لم تعامله معاملة حسنة. ورأت السلطة البريطانية عدم اللجوء الى ارغامه على الدفع ظناً منها انها تعرض العلاقات البريطانية بأمير ربيعة الى الخطر. لاسيما وان امير ربيعة هو الشخص الواسع النفوذ ذو السطة في الكوت، وهو الشخصية العشائرية البارزة التي تخشى جانبيها العشائر الاخرى. لهذا حاول الحاكم السياسي ومستشاره البريطاني عدم تعريض الادارة المحلية الى سلسلة من المشكلات، هي في غنى عنها ، لانه ثبت بالدليل الملموس (وكما يعتقد

الشيخ محمد رضا الشبيبي)* ان الضغط والاستغلال الاقتصادي كان واحداً من اهم
الاسباب الداخلية لثورة العشرين التحررية الوطنية في 30/حزيران/1920م.

* العارضي، محسن جبار، تسعون عاماً على ثورة العراق التحررية الوطنية في 30/حزيران/1920م ، بغداد 2010م
ص63، 21.
ينظر: الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920م ، تصدير للشيخ محمد رضا الشبيبي، ص4- 14.

1- المحور الثالث: بنو ربيعة اليوم (1)

عشائر ربيعة من العشائر القديمة ولا تزال تستمد من الجزيرة الى وقت ليس بالبعيد، ونالت في ازمان عديدة مكاناً مقبولاً، وحلت محلاً فائقاً ونطاقها ما بين الحلة والبرس وانحاء عديدة ، ورد ذكرها في تاريخ العراق بين احتلالين في مختلف صفحاته. كانت في قوة مرة و ضعف اخرى . وان انتشار عشائرها في المنتفك وفي محافظة ميسان وفي محافظات اخرى كالبصرة والحويزة ، مما يعين الحالات التي اعترتها، او الاوضاع التي اصابها ودعت الى تفرقها وانتشارها ولكنها في كل احوالها حافظت على مجموع كبير منها ، فلم يختل امرها بحيث يؤدي الى بعثتها ، والآن مجموعتها كبيرة ، تكونت منها محافظة واسط ومركزها مدينة الكوت (التي كتب عنها الشيخ رسول الكركولي) في كتابه الموسوم "لوحه الوزراء في تاريخ وقائع بغداد - الزوراء" قائلاً: سميت "كوت العمارة" نسبة الى شط العمارة المتفرع من نهر دجلة الى شط الحي وشط العمارة. اما تسميتها (كوت الامارة) نسبة الى عشائر ربيعة "الامارة" وانما نسبت اليهم لانهم اول من سكن في هذه المنطقة . وقد اجاد د. عادل البكري عندما كتب في كتابه الموسوم " تاريخ الكوت" عن مدينة الكوت قائلاً: وبعد ان سكن امراء ربيعة في تلك المنطقة سميت المنطقة بكوت الامارة ، ومعنى كلمة الكوت هو القلعة⁽²⁾ وان عشائر ربيعة خارج محافظة واسط ليست بالقليلة، وفي بعض المواطن تعد من العشائر الكبيرة.

والقبيلة موضوع البحث، تعرف بـ(ربيعة الفرس) ورئيسها الآن ربيعة الامير بن محمد الامير بن حبيب الامير. نخوتها (سعدي) ويقال: ان امرأة من بني عكبة (من اولاد صمعاية بن زمام) اخفت الامير لما اصابه خطر، فصاروا ينتخون بها.

(1) العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956، ص162-165
(2) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م، ص373

ونخوتها الاصلية (تغالبة) وهي نخوة الامراء، مما يشير الى ان الامراء من (تغلب) والنخوة العامة (عامر).

بعد الحوادث التي حصلت بين عبادة (ايام رئيسهم مكن بن جعفر) وربيعه (ايام رئيسها علي بك بن سلطان) كانت الغلبة (وبعد كر وفر) لرئيس ربيعة الذي تمكن من قتل رئيس عبادة (مكن بن جعفر) وبهذه الواقعة قويت شوكتهم، ثم وقعت بينهم وبين المنتكح حروب. كان سكن ربيعة في البرس في الجزيرة قرب سوق الشيوخ (غير البرس الذي هو قرب الكفل "ع" ومكانه قرب السيد الرفاعي)، ولقد كانت الوقائع التاريخية ومازالت تشير الى المشادة بين ربيعة وعبادة، والحرب بينهما سجال، وبين خفاجة والمنتكح.

وعن اوصاف ربيعة قال البسام: ((ربيعة كرام الطبيعة، ذوو القباب الرفيعة، والاكف المنيعه، منازلهم من واسط الى بغداد، وقد عمرها السخاء وشاد، افتخروا على امثالهم، وقصر كل نوال عن نوالهم، سقمناهم الفان، وفرسانهم مائة وعشرون))

وفي (سياحتهما حدود) ذكر ربيعة في الجانب الغربي من دجلة في انحاء الغراف بأتصال عشائر المنتكح، ولا يزالون، واما اماره ربيعة فقد كانت تسكن في الجهة اليمنى من الغراف، والسراي والمياح في الجهة اليسرى، ويمتدون، الا ان عشائرتهم في هذه الايام تتكون منها محافظة واسط. قال الحيدري: ((وهم من اولاد ربيعة، بطن من بكر بن وائل، من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، على ما هو مشهور عندهم، والناس مأمونون على انسابهم)) والامراء يرتفع نسبهم الى الشاعر الفارس عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وصولاً الى ربيعة بن معد بن نزار بن عدنان.⁽¹⁾ ثم ذكر اماره ربيعة في الجهة الشرقية من بغداد وآخرون منهم في الجهة الغربية منها. وعشائرتهم كثيرة، فلا

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، بغداد 2010م، ص 365

يعرف اتصالها ببعضها. ولكل واحدة رئيس على حدة، ونخوتها عامر وهي النخوة العامة، ولكل عشيرة نخوة خاصة. وبالجملـة فأن امارـة ربيعة في محافظة واسط وما جاورها تتكون من ثلاثة اـلاث هي:
اولا:

الثـلث الاول: الامارة⁽¹⁾ وما يتصل بها

1- الامارة : يراد بها ربيعة ، وتعد من افضل الامارات العربية في قدرتها ومنعتها وكفاءة امرائها، كانت ولا تزال في ركـون الى السلم والطمأنينة ، لالجبـن فيها، او خور في عزائمها، بل لانها لاتميل الى الشر، وتتوقى الفتنة بقدر الامكان، فلا توازيها عشائر كثيرة ، وبيت الامارة يتكون من:

- بيت مير خان

- بيت كركوش

- بيت سلطان

- بيت سليمان

- بيت خلف

- بيت غالب

- بيت حمد: ومن البو حمد هؤلاء " السميلات" الذين هاجروا من ديارهم من كوت الامارة قبل قرنين من الزمان بأتجاه بغداد لحادثة ارتكبها احد اجدادهم وسكنوا منطقة هور عكركوف مقاطعة 18 " السميلات وسعدان"، بجوار بني تميم وزوبع، بعد ان صارت بحوزتهم واحدة من اهم مقاطعات المنطقة التي تبلغ مساحتها حوالي 7000 دونم مطوبة بالطابو ومنها ملك صرف ، وهي ارض البساتين ، ولكن الامر لم ينتهي عند هذا الحد ، لان الوضع الاقتصادي لم يكن على ما يرام ، الامر الذي

(1)العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956،ص165.

ينظر: ❖ العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م، ص 370-371.

دفع البعض منهم على ترك المنطقة والنزوح ثانية باتجاه مدينة الكاظمية لمزاولة التجارة والاعمال الحرة الاخرى، وذلك بعد ان سكنوا محلة التل"احدى محلات مدينة الكاظمية الاربعة" حيث اصبحت تلك المنطقة التي سكنوها وقتئذ ، تعرف فيما بعد بـ (طرف السميلات) الذي لايزال يحمل هذا الاسم ويعد واحداً من اطراف مدينة الكاظمية المقدسة ، والجدير ذكره في هذا الصدد، نزوح البعض من هؤلاء باتجاه اطراف مدينة الكاظمية (منطقة حي الجوادين - محلة 450- من اعمال ناحية الشعلة) نذكر منهم الوجيه طلال صالح سعيد السميلى (ابو غسان).⁽¹⁾

نعود مرة ثانية لبيوت الامارة، لنقول: جميع هؤلاء يتصلون بجدة اعلى ، وقد استقرت الامارة في بيتها الخاص. والامير المحتفى به هو : ربيعة بن محمد بن حبيب بن نصيف بن درويش بن مذكور بن كركوش بن " علي بك" بن سلطان بن محمد بن ربيعة بن " علي بن سلطان". جد اعلى . بن حبيب بن علي بن ماك بن ربيعة (وعلي بك هذا غير الامير " علي بن سلطان خان". جد اعلى . وهو الذي كان صاحب النفوذ العظيم والمكانة الكبيرة.

وباقى بيوت الامارة متفرعون عن هؤلاء ، ومن البيوت الاخيرة المتكونة من كركوش:

- بيت مذكور ومنهم ابو صجم
- بيت مشكور
- بيت كاطع
- بيت علي باشا
- بيت حمود

(1) افادني بالبعض من المعلومات اعلاه، الوجيه ماجد صالح سعيد بتاريخ 2010/12/13م.

ينظر: ❁ العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م، ص372.

نخوة هؤلاء "تغالبية" والامير محمد والد الامير المحتفى به اشهر من ان يذكر ،
فلقد صار وزيراً وعيناً، وله الزعامة المعروفة .⁽¹⁾

2- عشائر بنو عمير: ⁽²⁾ تجمع كبير من عشائر ربعة نخوتهم "عامر" يسكنون
بين دجلة والغراف من انحاء الكوت في الجانب الايمن من دجلة في قرية الفيصلية
، يأمترون بأمر الامير مباشرة . فهو شيخهم المباشر وفرقهم:

- العابد
- ابو شربها
- ابو غربي
- ابو جناني
- الهليجية
- الدريسات
- العطاطفة
- الغنيمة
- الجودة "اليودة"
- ابو جابر " ابو يابر"
- الزركان
- الجعيفرية (اليعيفرية) اصلها من عشيرة عبادة المضرية المعروفة
- الكدس
- الحركان
- بيت صافي
- ابو موسى

(1) العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956،ص166.

(2) العتايي، عبد الحسين خلف، بنو ربعة في التاريخ ، بغداد 2010م، ص379-396.

ينظر: العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956،ص174-175.

- البو نعمة

3- عشائر كريش:⁽¹⁾ نخوتهم "يتيم" ويسكنون في جانبي دجلة في انحاء البغيلة (النعمانية) وفرقهم:

- الحجي (نوتهم اولاد اليتيم) وهم اشبه بالحلف، والفرج كذلك.
- الفرج(فري) ونخوتهم (الرضاوي) ويقال انهم من بقية العباسيين ويرجعون في نسبهم الى هارون الرشيد بالذات، انحدروا مع بقية من عشائر قريش الى اليمن ووجدوا من يعاديهم فغادروا اليمن الى الشام واستقروا في الجولان ، ثم توجهوا الى العراق فتوزعوا بين سامراء وبغداد " صوب الرصافة- الاعظمية-" وواسط وان العشائر السبع التي تقطن سامراء هم اخوة " ابناء عمومة" وهم (البو عباس، البو بدري، البو اسود ، البو نيسان، البو دراج،البو باز، البو عيسى) وبالاجمال نقول ان العشائر المتفرعة من (فرج) هي:

- عشيرة السراي في النعمانية

- عشيرة اولاد فرج(مهلهل،دراي)

- عشيرة الجفانات

- عشيرة البو هلال

- عشيرة الروضان

- عشيرة البو مرشد

- عشيرة البو لحي

- عشيرة الخماس

- عشيرة اليسارجة

- عشيرة البو عطية

(1) العتايي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م، ص399-416.

ينظر: العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956، ص171-173.

- عشيرة اليريعات

- عشيرة الرويعيين

- عشيرة الايلوخ

- اولاد بركة

- السوالم

- الجلايز

ثانياً:

الثالث الثاني: عشائر السراي⁽¹⁾ من عشائر ربيعة المهمة والمعروفة والتي لها علاقة تاريخية جيدة مع بيت الامارة (امير ربيعة) نخوتهم "حمدة" وقيمون في الكوت والارض الممتدة بين مدينة الكوت ومدينة الحي على الجانب الايسر لنهر الغراف المتفرع من نهر دجلة ، فضلاً عن تجمع كبير في ناحية واسط وشيخ سعد وبغداد ومناطق متفرقة اخرى من محافظتي البصرة وميسان، وفرقهم:

- عشيرة بيت جليب (وفيهم الرئاسة - الشيخ كصاب) ولهم مصاهرة مع عشيرة الامارة، فهم اخوال الامارة ، والعلاقة متينة بينهما منذ زمن بعيد.

- بيت حاجم (وهؤلاء يلتقون مع اولاد دلي بن جساس"من عشيرة بيت جليب" بجد اعلى)

- عشيرة بيت وادي

- عشيرة البيجاويين (واصل هذه العشيرة من الباوية المنحدرة من اراضي الحويزة)

- ابو خليفة

- الدهام (يرتفع نسبهم الى الزهيرية ، فهم من قبيلة قيس المعروفة)

- ابو حسين

(1) العتايي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م، ص419-449.

ينظر: العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956، ص168-170.

- عشيرة ابو رحيل
- عشيرة ابو كشي (ترتبط مع عشيرة ابو جليب بجد اعلى)
- الحبجية (واغلب الظن انهم من الفضول)
- عشيرة الفراطسة (يرتفع نسبهم الى قبيلة الغزي في البطحاء)
- عشيرة بيت سويري
- عشيرة ابو رحمة (وهؤلاء اخوة ابو كشي)
- الجروخ (وهم اخوة ابو حسين والابو خليفة وبيت جلاية والابو عطية) وهم من الباوية من ربيعة .
- بيت جلاية وهم من الباوية
- ابو سوط (وهؤلاء يقولون انهم من ظاهر بن دلي بن جساس) اي انهم اخوة اسرة بيت خلاطي التايه الذي كان يسكن اراضي حصان ابو طبرة وراضي الدجيله.
- الضياع (وهؤلاء اصلاً من عشيرة العبودة الربعية في الشطرة)
- الشريقات (وهؤلاء ينحدرون من محافظة ذي قار) اي من عشائر الشريقات التي كانت ضمن عشائر المنتفك.
- عشيرة الدلفية (وهؤلاء بطن من بكر بن وائل بن ربيعة)
- سراي العمارة (وهؤلاء لهم قرابة واضحة مع سراي الكوت على اعتبار ان الصبيح ،هم من عشائر ابو عذار) فهم اخوة بيت كصاب وبيت خلاطي، وفرقهم:
- بيت اثويني
- الاخشاب
- اهل الثلث
- عشيرة الجيازنة من عشائر السراي في العمارة وتتبع مجموعة الاخشاب.
- عشائر اخرى من ربيعة، وهي:
- عشيرة الداخنة
- عشيرة بيت واوي

- عشيرة بيت اشليش
- عشيرة بيت امجدي
- عشيرة ابو فهد
- عشيرة الرجيب
- عشيرة الفواودة
- عشيرة بيت ارميض
- عشيرة الحنيفات
- عشيرة ابو ينزير
- عشيرة ابو ربح
- عشيرة بيت افعيوة
- عشيرة المسلم (ابو حمزة)

ثالثاً:

الثالث الثالث : المياح (1)

رئيسهم الشيخ عبد الله الياسين صار نائباً عدة مرات واخوه الشيخ بلاسم من الزعماء المعروفين، كما ان اخاهما الشيخ سعدون معروف المكانة . وقد قيل لي (والكلام هنا للاستاذ عباس العزاوي) ان الرؤساء من ربيعة من (بيت الامارة) نخوتهم "اولاد مياح" و"اخوة شيخة" يسكنون في جانبي الغراف وكانوا في الضفة اليسرى. وبالإضافة الى ماتقدم هنالك مياح دياالى (قرية زاغنية) ومياح القرنة والبصرة . والجدير ذكره في هذا الصدد ، ماكتبه الباحث عبد الحسين خلف العتابي في كتابه الموسوم (بنو ربيعة في التاريخ، ص453) قائلاً: لقد اتضح ان عشائر ربيعة التي تقع ضمن تجمع مياح هي اربعة:

(1) العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956، ص166-168.
ينظر: ♣ العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م، ص 453-490.

- اولاد زيد ومنهم الشحمان اي ان الشحمان اشتقوا من زيد وجدهم الاعلى حسين الاشحم بن زيد.

- الظواهر : عشيرة خاملة متفرقة على نفسها.

- الزواهد

- الجامع(اليامع)

ان هذه العشائر من ربيعة وهم اما اقارب او اخوة اما باقي عشائر المياح فأنها تجمع يجمعها الولاء لقبيلة ربيعة العدنانية المعروفة. وبالاجمال نقول ان عشائر المياح هي:

• عشيرة الشحمان وقد انحصرت الرئاسة العامة فيها على عشائر مياح منهم بيت ناصر الرؤوساء ويلتحق بهؤلاء شحمان جصان كما هو معروف.

• عشيرة بيت جريم (كريم) ويلتحق بهؤلاء شحمان سامراء الذين كانوا قد غادروا مدينة الحي لظروف خاصة ليستقر بهم المقام فيما بعد في ناحية امكيشيفة (من اعمال قضاء سامراء).

• عشيرة الزواهد

• عشيرة الجامع(اليامع)

• عشيرة الذهبيات

• عشيرة البو بدر : هي من عشائر مياح من ربيعة ولكن هذه العشيرة الكبيرة ماهي الا تجمع يضم عدة عشائر تجمعت تحت اسم بدر، وباقي العشائر التي سميت بأسم بدر، هي ليست من بدر،ولكن اسم بدر شملها فأصبحت كلها راية واحدة ولها رئيس عام يرأسها.

• عشيرة آل يوسف

• عشيرة بني عكبة

• **عشيرة آل غريب :** من عشائر مياح الكبيرة وهي في الحقيقة تجمع لان فيها اناساً ليسوا اصلاً من الغريب . وعشيرة آل غريب تنتسب اصلاً الى عشيرة الغزي المعروفة في ذي قار - البطحاء - التي كان يرأسها منشد الحبيب.

• **عشيرة آل ظاهر**

• **عشيرة اليبضان**

• **عشيرة ابو حياي**

• **عشيرة الكويشات :** اصل هذه العشيرة من بني سالة فهم من ذرية رجل معروف عندهم هو نصار وقد جعل الامير حبيب بن نصيف من الكويشات والبو صياد وآل شاوش ثلثاً من عشائر مياح.

• **عشيرة الدبات :** وهي من عشائر مياح الا ان اصلها من طيء ومن (سنبس) لكنها مع راية مياح .

• **عشيرة ابو صياد** تعد هذه العشيرة من عشائر مياح الا ان البعض اكد ان اصل هذه العشيرة من بني حليم، غير ان البعض الاخر اكد ان اصلهم من بني تميم، وهم يعدون من عشائر مياح.

• **عشيرة الهاشم:** وهي من عشائر مياح لكن اصلها من قبيلة خفاجة لان عشيرة الهاشم وعشيرة الخشيمات وعشيرة ابو جنابي "التي هي من بني عمير اليوم" هو اخوة يرتفع نسبهم لجد واحد هو (محمد السلمان الخفاجي).

• **عشيرة بيت منيهل:** البكرية الربعية فهم وشيوخ مدينة الحي وكوام الكوت (الوهليين) وعشيرة الشواعل كلهم يعود الى اصل واحد، فهم بكريون من ربيعة وليسوا من عشيرة عنزة كما يزعم اكثرهم.

• **مياح في شهربان (وادي الحصان)** نخوتهم العامة (الشيخة) وهم اقارب الشحمان في سامراء ،كانوا معهم في سامراء ، ويلتقون معهم بالجد(حسين) الا انهم غادروا سامراء وسكنوا منطقة وادي الحصان التي تبعد عن الحدود الايرانية (20 كم) وتقع

على الطريق الذي يبدأ من شهربان الى مندلي وهي اقرب الى شهربان وتابعة ادارياً لها.

• **مياح في منطقة زاغنية :** وكان اول من سكن هذه المنطقة من مياح ، هو الشيخ لطيف صبح بن يونس بن رمح، وهو من بيت ناصر ومن الشحمان، كان يرافقه اخويه حسين وسلمان واخوه من امه جواد خلف.

• **عشائر عكيل :** وان اصل عشائر عكيل يعود الى عامر صعصعة من مضر. وهم احلاف عشائر ربیعة.

• **مياح في البصرة والقرنة** ويرأسهم الشيخ جياذ بن عبد الله الذي يدعي انه من اصل شحمانى ويرجع بنسبه الى ناصر، كما يوجد في الهارثة الكثير من العائلات التي تدعي الانتساب الى مياح ويرأس هذه المجموعات عبد المحسن بن مصبح بن اسود الذي يرجع بنسبه الى علي خان بن ناصر الشحمانى.

2-المحور الرابع: بنو عتاب وعشائر ربيعة الاخرى

اولاً: بنو عتاب⁽¹⁾ وهؤلاء من العشائر الربيعية القديمة، اذ انها تنتسب الى عبد الله بن شريح بن مرة بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير من تغلب بن وائل ، وهكذا يتضح لنا انها غير (العتاب،وعتبة) اي لا توجد صلة قرابة بينها وبين العتاب وعتبة. سكنت العشيرة ابتداءً (بعد الانتصار الذي حققته ربيعة على عبادة) بين شط الكار وارض الكوت حالياً.ولكنها وبسبب المنازعات المستمرة على الاراضي والغزوات وسيطرة العثمانيين تفرقت في مناطق مختلفة كالفرات الاوسط والناصرية والبصرة وديالى وبغداد،فضلاً عن وجود لافتي في سوريا والسعودية . اما فروعهم فهي :

- عشيرة النواصر
- عشيرة بيت اسعيد
- عشيرة اولاد شيخ حسين
- عشيرة ابو لايح
- عشيرة ابو حميد
- عشيرة الوكاد
- عشيرة العباس
- عشيرة ذيايه
- عشيرة العناترة
- عشيرة ابو فارس
- عشيرة ابو غلام
- عشيرة ابو فرج

(1) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ ، بغداد 2010م، ص 493-496.

- عشيرة ابو حميدي
 - عشيرة ابو حسون
 - عشيرة ابو مالش
 - عشيرة آل شاهين
 - عشيرة ابو نصيف
 - عشيرة ابو محمد (ليست بو محمد العزة)
 - عشيرة ابو وادي
 - عشيرة ابو علي والبو حسين
 - عشيرة ابو كاظم
 - عشيرة شربة
 - عشيرة ابو سماكة
 - عشيرة آل حامد العلي
 - عشيرة عتوب الموصل
 - عشيرة ابو سحاك
 - عشيرة بيت عباس
 - عشيرة ابو صباح
 - عشيرة بيت عبيد (وهم اخوة حميد، ضمن عشيرة بنو عتاب)
- ثانياً: عشائر ربيعة الاخرى، وهذه كثيرة ومنها كبيرة جداً ومنتشرة في محافظات عديدة فضلاً عن تواجد لافق في اقليم الاحواز (امارة الشيخ خزعل الكعبي ومركزها مدينة المحمرة) الذي ضمته ايران اليها بالقوة عام 1925م واشهر هذه العشائر:
- مجموعة كبيرة في انحاء الحويوة تعرف بـ(ربيعة) تسكن السواحل الشرقية من نهر كارون.
 - جنانة(كنانة): (هم وكعب) يرجعون الى ربيعة ويعدون من عشائرها وهم في انحاء عديدة من العراق.

- **الدفاعة** : نخوتهم (عروس) يدعون انهم من عبادة ، وبعضهم يقول انهم من عبودة من (العجرش) وهم اولاد محمد العروس جد الدفاعة، ونجاد جد النجادات ، وحميد جد الحميدات .

- **ربيعة وبنو ويس**: نخوتهم (حمدة) ويرجعون الى حمير وكانوا في الشام ويقال انهم من اوس وتساكنهم طوائف من ربيعة الا انهم عند الاطلاق يقال عنهم من ربيعة او (ربيعة وبنو ويس)

- **الانباريون**: نخوتهم اولاد علي كانوا يسكنون **كرود قزاق*** على الفرات في انحاء المسيب ثم اقاموا في **الحركاوي** عند فتح نهر اليوسفية يدعون اصلهم من ربيعة من جنانة(كنانة)، ومنهم من يقول : كانوا في الانبار ايام الامام علي (عليه السلام) فكانوا وكلاءه.⁽¹⁾

منهم **البو شهاب** الذين نزحوا من ديارهم واستوطنوا في الجهة الغربية من مدينة الكاظمية المقدسة في منطقة كانت تعد من اطراف محلة الشيوخ من جهة واطراف محلة التل من جهة اخرى . حيث اصبحت فيما بعد ترف بـ**(طرف الانباريين)** الذي يعد واحداً من اطراف مدينة الكاظمية ولايزال.⁽²⁾ يرأسهم شاكرا الحاج ناصر ،وجاسم محمد ، وجواد سلمان العمران.⁽³⁾

هذا ويطول بنا ذكر عشائر ربيعة المنتشرة في الانحاء العديدة .والمشهور ان (عشيرة العبودة)منهم، وان عشائر ربيعة تولت رئاسة اكبر عشائر القرنة والهارثة وبنو خيكان كما هو الشائع.⁽⁴⁾

* قزاق من الاوقاف القادرية

(1) العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956،ص176-180.

(2) افادني بالمعلومات د. داود سلمان جواد الانباري بتاريخ 20 /1/ 2011م.

(3) العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م، ص 696.

ينظر: ❀ المرادي ،د.عباس كاظم، اضواء على عشيرة الانباريين ،تقديم ،د. حسين علي محفوظ،مطبعة الحافظ.

(1) العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956،ص180.

والجدير ذكره في هذا الصدد، الحديث ولو بشكل موجز عن العشائر والقبائل العربية التي تسكن الجزيرة العربية ويرتفع نسبها الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، ومنها:

قبيلة اكلب بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وقد تسمى يكلب وهي قبيلة معروفة في نواحي بيشة . ويقال: انه اكلب بن عفير بن خلف بن انمار بن اراش.⁽¹⁾
- **قبيلة بنو حنيفة** بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اهل اليمامة.⁽²⁾

- **قبيلة جميلة (الجميلات)** واليها ينتسب آل صباح (امراء الكويت) وهم من الاسر التي تنتسب الى عنزة ومن الجميلات ايضاً (آل غرير) الذين ينتسبون الى جدهم غرير بن حماد بن فيصل الجميلي .⁽³⁾ وهؤلاء غير (الغرير) الذين يعدون من ابناء عدي بن حاتم الطائي ومنهم: الجراح، المقبل، ومن ثم صار من سلالتهم : الغانم والعويض.⁽⁴⁾

- **قبيلة عنزة**: وعنزة من ربيعة وهم من عنز بن وائل (اخو بكر وتغلب) والقسم الاكبر من عنزة منازلها تمتد من نجد الى الحجاز فوادي السرحان والجوف فالحماد فالعراق فالبادية السورية حتى حمص وحماة وحلب. والموجود الآن من عنزة هو اسم يشمل بكر وتغلب وبني شيبان وحنيفة، اما قبيلة عنزة في هذا العصر فتتقسم الى قسمين : ضنا بشر وضنا مسلم. ومن ضنا بشر قسمين : العمارات (ومنهم "الجبل والسلقا") والدهامشة، اما ضنا مسلم فمنهم الجلاس وبني وهب.⁽⁵⁾

- آل سعود: منهم امراء وملوك المملكة العربية السعودية وهم من المقرن من المردة من المصاليخ من المنابهة من بني وهب من ذراري مسلم من قبيلة عنزة"عنز بن

(2) الزبيدي، الشيخ ماجد ناصر ، انساب قبائل الجزيرة العربية، ط2، بيروت- لبنان 2010م ،ص37.

(3) نفسه، ص355.

(4) الزبيدي، الشيخ ماجد ناصر ، انساب قبائل الجزيرة العربية، ط2، بيروت- لبنان 2010م ،ص512-514.

(5) نفسه، ص749.

(1) الزبيدي، الشيخ ماجد ناصر ، انساب قبائل الجزيرة العربية، ط2، بيروت- لبنان 2010م ،ص924.

وائل" من ربيعة.⁽¹⁾ ولقد عد صاحب معجم انساب قبائل الجزيرة العربية (الشيخ ماجد ناصر الزبيدي) ، 1431 بطناً يرتفع نسبها الى قبيلة عنزة.⁽²⁾

مصادر البحث :

- العارضي، محسن جبار، بنو عارض...نسب وتاريخ ومواقف ، بغداد 2003م.
- العامري ، ثامر عبد الحسن ، تصدير للدكتور عماد عبد السلام ، موسوعة العشائر العراقية ج5، بغداد 1993 م .
- المشهداني ، د.محمد جاسم حمادي ، عشيرة المشاهدة تسميتها نسبها افخاذها، ج1،بغداد1992م.

(2) نفسه،ص 1135.

(3) نفسه،ص 1271.

- المسعودي، نبيل كاظم، قبيلة المسارة في العراق وسلالات طيء الاخرى، بغداد1992م، ص15.
- السويدي ، الشيخ ابي الفوز محمد الامين البغدادي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل وتاريخ وانساب العرب.
- الاندلسي ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج1، ط1 ، بيروت - لبنان 1983م.
- العلي، د. صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج1ن بغداد 1968م
- الجاحظ، عمر بن بحر ، البيان والتبيين ، مكتبة النهضة بغداد .
- العتابي، عبد الحسين خلف، بنو ربيعة في التاريخ، تقديم الامير ربيعة محمد الحبيب ، بغداد 2010م.
- ضيف، د. شوقي، تاريخ الادب العربي(العصر الجاهلي) ، ط4، دار المعارف، مصر 1960م .
- الطاهر، د. عبد الجليل ، العشائر العراقية، ج1، لبنان - بيروت1972م
- العزاوي، المحامي عباس، عشائر العراق، ج4، لندن1956.
- الزبيدي، الشيخ ماجد ناصر ، انساب قبائل الجزيرة العربية، ط2، الفرات للنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان 2010م-1431هـ.

مجلس الخاقاني الثقافي
الكاظمية المقدسة

قضايا عربية! التوأمان ... العنصرية والحركة الصهيونية*

قضايا عربية! التوأمان ... العنصرية والحركة الصهيونية

كتبت هذه المحاضرة في ربيع العام 1975م اثناء انعقاد مؤتمر بغداد الفكري الذي تقرر عقده آنئذ في العاصمة العراقية بغداد بعد اتخاذ الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها التاريخي باعتبار الصهيونية حركة عنصرية.في حين تم تنقيحها في مطلع العام 2003م بعد ان اضيفت اليها بعض الملاحظات التي استجبت مؤخرًا ولها

* القيت المحاضرة اعلاه من على منبر مجلس الخاقاني الثقافي/الكاظمية بتاريخ 10/شباط/2003م الموافق 9/ذي الحجة/1423هـ.

علاقة بموضوع البحث (الذي كتب اصلا في العام 1975م كما اسلفنا)حيث اعتمدت ضمن منهاج المركز الثقافي الاسلامي/حي الشعلة،كمحاضرة ثقافية كنت قد القيتها بتاريخ 2003/11/21م الموافق 26/رمضان/1424هـ وذلك للاحتفاء بيوم القدس العالمي الذي يوافق اخر يوم جمعة من شهر رمضان من كل عام حسب الدعوة التي اطلقها الامام روح الله الموسوي الخميني(قدس) تضامنا مع الشعب العربي الفلسطيني المضطهد.

توطئة:

موضوع البحث،يحمل عنوان"التوأمين:العنصرية والحركة الصهيونية"وهي مقالة كتبتها في ربيع عام 1975 وقد تزامنت كتابتها مع انعقاد المؤتمر الفكري الاول في بغداد وقتئذ بعد ان اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في العام المذكور قرارا يساوي بين الصهيونية والعنصرية وقد وجدت من المناسب في الظروف الراهنة التي تعصف بالعالم بوجه عام وبقطرنا العزيز بوجه خاص نتيجة الهجمة الشرسة التي

تقودها العدوانية الامريكية للنيل من صمود شعبنا وحقوقه الوطنية ان نطرح هذا الموضوع في الاوساط الثقافية والادبية للتعبير من خلالها عن رفض شعبنا لجميع الطروحات التي نسمعها يوميا من هنا وهناك. والتي تدعو الى ما يتعارض كليا مع الثوابت الوطنية التي عرف بها شعبنا المجاهد منذ العام 1917 بعد ان دخل الجنرال مود الى بغداد معلنا بانه قد جاء محررا وليس فاتحا. ولكن وبعد ان استقرت الظروف وتوضحت الصورة، انتفض شعبنا المجاهد من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال ومن الحدود الغربية الى الحدود الشرقية بثورة عارمة كانت شرارتها الاولى في الثلاثين من حزيران عام 1920م من مدينة الرميثة الباسلة لتحطيم الغطرسية الانكليزية في معارك متعددة استمرت حتى نهاية شهر تشرين الثاني من العام نفسه⁽¹⁾، وكان من اهمها اربع معارك ابتداء من معركة العارضيات الخالدة التي كانت قد بدأت احداثها يوم 3/تموز/1920م واستمرت لغاية الثاني والعشرين منه مرورا بمعركة الرارنجية و معارك القطار بين الديوانية والحلة (ومنها معركتي العرقوبية والجربوعية) وانتهاء بمعركة السوير بتاريخ 12/11/1920م التي استطاع الثوار من خلالها فرض شروطهم على القائد الانكليزي المهزوم آنذاك. حيث اجبرت العجوز المتصانبة (بريطانيا) العظمى كما يسمونها" على القبول بمطالب شعبنا المجاهد المتمثلة بالحرية ونيل الاستقلال الناجز، وتأسيس الحكم الوطني الذي اصبح حقيقة واقعة بعد اختيار الشريف فيصل بن الحسين ملكا على عرش العراق.

ان الوضع الدولي الجديد الذي فرضته المتغيرات الجديدة التي حصلت في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبروز الاحادية القطبية التي تمثلها الولايات المتحدة الامريكية مقرونا ذلك بفقدان التوازن الدولي جعل الولايات المتحدة الامريكية تفكر بما يخدم مصالحها الاستراتيجية لترتيب الاوضاع في العالم وبالاخص منطقة الشرق الاوسط من خلال فرض الحلول الاستسلامية على الشعب الفلسطيني

(1) العارضي، محسن جبار 90 عاما على ثورة العراق التحررية الوطنية في 30/حزيران/1920م، بغداد

المجاهد واعادة العمل باتفاقية"سايكو بيكو"جديدة لتقسيم الوطن العربي مرة اخرى كغنيمة حرب للسيطرة على ثرواته الطبيعية وفي المقدمة منها النفط، وللاستفادة من موقعه الجغرافي الهام لوقوعه على ممرات مائية مهمة تمنح الجهة التي تسيطر عليها قدرة مميزة من الحركة مع السيطرة على خطوط التجارة العالمية ونعني بذلك (مضيق جبل طارق،قناة السويس،مضيق باب المندب،مضيق هرمز)⁽¹⁾ مع المحافظة على امن الكيان الصهيوني والايعاء له بان يتصرف وكأنه الدولة الاعظم والاكثر تحضرا في المنطقة.

ولان الطريقة التي تنادي بها امريكا حاليا لحل المتعلقات بين العراق والامم المتحدة عن ما يسمونه اسلحة الدمار الشامل لاتختلف عن تفكير الدول الاستعمارية التي نشطت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر واستمرت حتى منتصف القرن العشرين والتمثلة بالاحتلال العسكري المباشر، نجد من المفيد ان نطرح هذا البحث الذي يناقش الترابط الجدلي بين الاستعمارية والنازية والصهيونية ويخرج باستنتاج واحد لاغير،يقول:بان الثلاثة هي حركات عنصرية تتعامل مع شعوب العالم الاخرى من خلال النظرة الشوفينية المتعصبة الاستعلائية التي طرحتها الدولة القومية حين نشوئها في القارة الاوربية نهاية القرن التاسع عشر.

وبما ان الفترة الزمنية التي مرت على الصراع العربي الصهيوني اخذت وقتا طويلا مستوعبا القرن العشرين بأكمله،يبدو ومن مجريات الاحداث ان هذا الصراع سوف يستمر طويلا نتيجة التناقض الكبير بين التطلعات العربية في الوحدة والتحرر والاطماع الصهيونية في احتلال الارض وطرد سكانها الاصليين منها(من المسلمين والمسيحيين الذين يبلغ تعدادهم وقتئذ 650 الف او يزيد،وفي المقابل لم يكن فيها اكثر من 50 الف مواطن يهودي يدينون بالديانة اليهودية،يعيشون بالمدن والقرى

(1) الرشيدات،شفيق،فلسطين...تاريخا وعيرة ومصيرا،ص41 . 44

ينظر: *الكياي،د.عبد الوهاب،تاريخ فلسطين الحديث،ص25.

*السامرائي،د.نوري وآخرون،تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر،ص401.

الفلسطينية، كما يعيش مواطنهم من الديانات الاخرى⁽¹⁾ وقيام كيان يجمع اشتات اليهود من جميع بقاع الارض عليها. ولكن، وبالرغم من ان هذا الهدف قد تحقق من حيث المبدأ حيث قامت دولة "اسرائيل" بشكل رسمي ومعترف به دوليا في 15/آيار/1948م⁽²⁾ لكن الصراع ظل مستمرا، لا بل نراه قد اتخذ منحى آخر تمثل برغبة هذا الكيان بـ :

(1) التوسع على حساب الاقطار العربية المجاورة لفلسطين وتحقيق حلم الصهيونية الكبير المتمثل بانشاء دولة اسرائيل الكبرى والتي تشمل حدودها الاراضي الممتدة من النيل الى الفرات.⁽³⁾

(2) السيطرة الكاملة والمطلقة على اقتصاديات دول منطقة الشرق الاوسط (العربية منها، وغير العربية).

(3) منع العرب من تحقيق اهدافهم الكبرى في اقامة دولتهم الموحدة⁽⁴⁾

ولان هذا الموقف المبني على هكذا اعتبارات كان سببا رئيسيا في خلق جو مشحون بالتوتر المستمر، قامت ثلاث حروب اقليمية في المنطقة العربية بين هذا الكيان والدول العربية في الاعوام 1956م / 1967م⁽⁵⁾ / 1973م ناهيك عن حرب الانقاذ التي قامت في العام 1948م لمنع قيام دولة "اسرائيل"⁽⁶⁾ ولكن دون جدوى للأسباب المعروفة في حينها.

ولكي يكون الموضوع الذي يتناول هذه المهمة المتمثلة بالربط بين العنصرية والحركة الصهيونية اكثر وضوحا ومستوفيا لشروط البحث العلمي الذي يحاول ان

(1) الرشيدات، شفيق، فلسطين... تاريخا وعبرة ومصيرا، ص56، 90.

(2) نفسه، ص22.

(3) نفسه، ص32.

(4) نفسه، ص45.

ينظر: *الكياي، د. عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص28، 79.

(5) الرشيدات، شفيق، فلسطين... تاريخا وعبرة ومصيرا، ص417، 434.

(6) نفسه، ص289، 298.

يضع النقاط على الحروف ويساعدنا على اخذ الدروس والعبر من الحقبة الزمنية التي مضت لم نجد بدا من ان نحاول جاهدين تلمس الطريق الصحيح الذي نستطيع من خلاله تحقيق ما يمكن تحقيقه من الاهداف المرجوة على المدى المنظور وصولا الى الغاية القصوى في المستقبل والمتمثلة بقيام دولة فلسطين وعاصمتها القدس الشريف.

عليه توزعت موضوعات البحث على ثلاثة محاور:

- 1 . المحور الاول:يتحدث عن اسلوب حياة الجماعات اليهودية قبل ظهور الحركة الصهيونية مروراً بالحركات اليهودية التي سبقت ظهور الحركة الصهيونية ثم الظروف التي ساعدت على نشوء الحركة الصهيونية والتفكير في اختيار وطن قومي لليهود. وصولاً الى تاشير الفوائد التي ينتظرها الغرب من الحركة الصهيونية.
 - 2 . المحور الثاني:ويتحدث عن الربط الجدلي بين الاستعمار والنازية والصهيونية، ثم الانتقال الى تحديد الحقائق التي تقند ادعاء الحركة الصهيونية بالالتزام بالاشتراكية واثبات بطلان ذلك من خلال الحديث عن سمات التمييز العنصري داخل الكيان الصهيوني والسمة العدوانية لهذا الكيان.
 - 3 . المحور الثالث:يتحدث عن ادانة المجتمع الدولي للصهيونية. وموقف العرب بعد اتخاذ قرار الادانة من خلال رصد بعض الظواهر وكيفية التعامل معها حاضراً ومستقبلاً مع التاكيد على الجانب الاعلامي الذي يعتبر ضرورة من ضرورات المرحلة. ثم ناتي على نهاية المحور الثالث بالحديث عن انسانية القومية العربية.
- واخيراً، تم اضافة ملحق تضمن شرحاً موجزاً لبعض المصطلحات التي وردت في مطاوي البحث.

1 . المحور الاول:

اسلوب حياة الجماعات اليهودية:من المعروف ان اليهودية ديانة سماوية تعتنقها جماعات تنتمي الى قوميات مختلفة.ولكن،وبالرغم من الانتماء القومي لتلك الجماعات فانها بقيت وعلى مرور الزمن منغلقة على نفسها منعزلة عن ابناء القومية التي تعتبر جزءا منها،مما ادى ذلك الى انفرادها ببعض العادات والتقاليد التي تختلف اساسا عن عادات وتقاليد ابناء البلد الذي تعيش فيه،فضلا عن قيام الجمعيات الصهيونية التي ظهرت بعد فشل الحركة الاندماجية المعروفة باسم "حب صهيون" بدراسة احياء (اللغة العبرية)التي نزلت بها كتبهم السماوية ونعني بها الواح

موسى(على نبينا واله وعليه السلام)والتي تعرف بالتوراة لتصحيح لغة غالبية اليهود عوضاً عن اليديشية*.

وبالاضافة الى ماتقدم،فان انغلاق اليهود على انفسهم واشتغالهم بمهن تتحكم بمصائر الناس مثل التجارة والربا ادى الى نمو نوع من الحقد والكراهية في نفوس ابناء القومية التي ينتمون اليها وفي ذلك البلد بالذات⁽¹⁾.

. الحركات اليهودية التي سبقت ظهور الصهيونية:لقد بقيت حالة اليهود هذه كما هي،ولم تتغير حتى قيام الثورة الصناعية وظهور الدول القومية في اوربا،حيث ظهر مفكرون يهود امثال(لاسال)الالمانى الذين اخذوا ينادون(بالحركة الاندماجية)اي اندماج اليهود مع باقي افراد المجتمع الذي يعيشون فيه،باعتبارهم جزءاً لايتجزأ منه يجب عليهم خدمته،عليهم واجبات ولهم حقوق كباقي افراد الشعب.وقد لاقت الحركة الاندماجية آنذاك بعض النجاح،ولكنها فشلت بعد ذلك فشلاً ذريعاً،لاسيميا بعد حادثة اغتيال القيصر الروسي"الاسكندر الثاني"عام 1881م وما تلاها من اضطهاد لليهود هناك وظهور حملة معادات السامية التي تعتبر اليهود من ارذل الاجناس.⁽²⁾

- الظروف التي ساعدت على ظهور الحركة الصهيونية:بعد حملة الاضطهاد الموجهة ضد اليهود في روسيا اخذوا يهاجرون الى اوربا الغربية وبذلك حصل التناحر بين البرجوازية الغربية والبرجوازية اليهودية التي نقلت معها اموالها وخبرتها التجارية.وخوفاً من المزاحمة التي ستحدثها البرجوازية اليهودية لبرجوازية اوربا الغربية وخوفاً من المزاحمة التي سيحدثها العمال اليهود المهاجرين من اوربا الشرقية للعمال في اوربا الغربية مما يؤدي ذلك الى نوع من البطالة،عمدت البرجوازية الغربية الى اضطهاد اليهود المهاجرين الى بلدانها وقد تزامن ذلك مع ظهور حملة

* اليديشية كانت لغة يهود اواسط اوربا وهي اقرب الى الالمانية وان احتوت على العديد من العبارات العبرية"

ينظر: * الكيالي،د.عبد الوهاب،تاريخ فلسطين الحديث،ص30.

(1) الرشيدات،شفيق،فلسطين...تاريخاً وعبرة ومصيراً،ص26 . 27.

(2) الكيالي،د.عبد الوهاب،تاريخ فلسطين الحديث،ص30

ينظر: * السامرائي،د.نوري وآخرون،تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر،ص335.

معاداة السامية، وذلك بسبب انتشار الافكار التي تدعو الى التعصب القومي آنئذ، حيث ادت كل هذه العوامل الى فشل الحركة الاندماجية وظهور الحركة الصهيونية كرد فعل ظاهري لانقاذ اليهود من الاضطهاد الموجه اليهم⁽¹⁾، اما هدفها الباطن فيرمي الى تحقيق الاطماع السياسية للبرجوازية اليهودية والتي هي بالاساس تضطهد الكادحين اليهود.

. **التفكير باختيار وطن قومي لليهود:** وخلال تلك الاحداث بدا التفكير باختيار وطن قومي يجمع يهود العالم لانشاء دولة قومية لهم تجمع الاشتات الموزعة على شعوب العالم.

لحد الان لم يقع الاختيار على فلسطين، ولكن وبعد المشاورات والمناقشات المستفيضة اثناء المؤتمر اليهودي الاول المنعقد في مدينة بازل السويسرية في 28/آب/1997م ومن بعده المؤتمر اليهودي الثاني الذي انعقد عام 1898م⁽²⁾ وجد المفكرون الصهاينة ان احسن وانسب مكان لقيام دولتهم القومية هو فلسطين لما لها من علاقة بالديانة اليهودية.

. **الفوائد التي ينتظرها الغرب من الصهاينة:** لقد جاء هذا الاختيار متوافقا مع اهداف الامبراطوريات الاستعمارية لانه يحقق هدفين للبرجوازية الغربية:

الاول: التخلص من البرجوازية اليهودية والايدي العاملة اليهودية لانها سوف تنتقل الى فلسطين (الوطن القومي الجديد لليهود)⁽³⁾

الثاني: ان هذا الكيان المصطنع الغريب على الوطن العربي والامة العربية سوف يلعب دور الحارس الامين لمصالح الدول الاستعمارية في هذه المنطقة ذات الموقع الاستراتيجي الهام، التي تحتوي ارضها على خيرات كبيرة خصوصا النفط الذي سوف يصبح عصب الحياة الاقتصادية خلال القرن العشرين، ولعدة قرون اخرى من

(1) الكيالي، د. عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص 29.

(2) الكيالي، د. عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص 33 . 37.

(3) نفسه، ص 25، 29.

بعده. وسوف يكون هذا الكيان الاداة الطيعة التي تبذل كل جهدها لعرقلة اي اتجاه وحدوي ينمو في الوطن العربي الذي قسمته معاهدة بطرسبرج بين "بريطانيا وفرنسا وروسيا في 1916/3/4م ومن ثم اتفاقية سايكس بيكو في 1916/5/16م بعد اقرارها (من قبل بريطانيا وفرنسا) الى دويلات متعددة متناحرة فيما بينها⁽¹⁾، وهذا ما يريده الغرب. لماذا؟

لان وحدة الامة العربية معناها نهاية الامبراطوريات الاستعمارية وهذا ما روج له فلاسفة الغرب الاستعماري في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فضلا عن ادراج تلك التصورات في تقرير لجنة كامبل بنرمان* الاستعمارية الذي اعتمد كدليل عمل منذ العام 1907.⁽²⁾

2 . المحور الثاني

الربط الجدلي بين الاستعمار والصهيونية والنازية: بعد هذا العرض الموجز نصل الى حقيقة ثابتة تؤكد لنا التوافق التام بين الاستعمار والصهيونية وبامكاننا ان نذهب اكثر من ذلك، لنقول: ان ماتتادي به الصهيونية، نادى به النازية ايضا. وهذا الربط بين الاطراف الثلاثة يبدو واضحا من خلال ما كانت تروج له الدول الاستعمارية من افكار ومفاهيم تعطي الرجل الابيض المتحضر (كما يسمونه في حينها) الحق في استعمار الشعوب الاخرى على اعتبار افضليته التي تؤهله على تبوأ مركز القيادة لشعوب العالم الاخرى المختلفة (من وجهة نظر المستعمرين انذاك). اما النظرية النازية فانها كانت تنص على افضلية العنصر الالمانى ووجوب قيادته لجميع شعوب العالم، كما تنص ايضا على ان كل انسان من اصل الماني وان كان يعيش في مجتمع اخر يعتبر مواطنا المانيا يجب ان يعمل من اجل خدمة المصالح العليا

(1) الرشيدات، شفيق، فلسطين... تاريخا وعبرة ومصيرا، ص 62 . 64.

* في العام 1907م سقطت حكومة حزب المحافظين وجاءت الى الحكم وزارة من حزب الاحرار برئاسة المستر كامبل بنرمان . ينظر: * الرشيدات، شفيق، فلسطين... تاريخا وعبرة ومصيرا، ص 37.

(2) الرشيدات، شفيق، فلسطين... تاريخا وعبرة ومصيرا، ص 35 . 45.

للدولة الالمانية. اما الحركة الصهيونية ومن خلال قراءة سريعة لبروتوكولات حكماء صهيون والتي اجملت الفكر العنصري الصهيوني نجد التشابه والتوافق الكبير بين النازية والصهيونية من خلال ترويج الحركة الصهيونية وتاكيدها على اعتبار ان اليهود هم شعب الله المختار الذي تقع عليه مسؤولية قيادة العالم⁽¹⁾ وذلك كرد فعل سلبي على حركة معاداة السامية التي تعتبر اليهود من ارذل الاجناس. وبالإضافة الى ذلك، فان الصهيونية وكما نادى النازية فيما بعد، تعتبر كل يهود العالم هم مواطنون يحملون جنسية الكيان الصهيوني الذي قام بمساعدة الغرب الاستعماري في فلسطين المحتلة عام 1948م. واليك مجموعة اقوال للبعض من المفكرين. الصهاينة تدعوا لمثل هذه الافكار والمعتقدات⁽²⁾:

* **لقد كتب "سوكولوف" عن الصهيونية قائلاً:** (ان اهم اهداف موسى هو تامين مستقبل الامة اليهودية على ارض الميعاد الى الابد، ولاسبيل الى المكابرة في هذا وعبثا يحاول بعض اليهود اقناعنا بان اليهودية ليست امة بل مجرد دين) واستطرد ليقول: (ولايمكن فصل الدين اليهودي عن الامة اليهودية مالم تظهر تورا جديدة)

* **اما بينسكر فقد اصدر كتابا اسماه "التحرر الذاتي" جاء فيه:** (ان العالم يحتقر اليهود لانهم ليسوا امة، ولانهم اجانب في كل بلد يعيشون فيه، وليس من علاج لهذا الداء الا بايجاد قومية يهودية لشعب يعيش على ارض الوطن)

* **وفي العام 1888م اعلن فجاة زعماء اليهود في العالم من امثال: ايدروجاكسون، وتشيلوف، ولاندو، وسيلانسكي، قرارا خطيرا اثر اجتماع عقده اليهود جاء فيه:** (ان فلسطين يجب ان تكون وطنا للشعب اليهودي، وان بالامكان نقل اهل فلسطين العرب الى الاقطار العربية المجاورة لانها بلاد واسعة وقليلة السكان.

* **وبعد هذا القرار اعلن "اسرائيل زانكويل" مؤسس المنظمة الصهيونية للاستعمار والاراضي:** (ان فلسطين بلا شعب فيجب ان تعطى لشعب بلا وطن، وان واجب

(1) الرشيدات، شفيق، فلسطين... تاريخا وعبرة ومصيرا، ص 28 . 29.

(2) نفسه، ص 30 . 33

اليهود في المستقبل ان يضيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطربهم الى الخروج منها)

*اما (وايزمن)اليهودي الانكليزي والصهيوني المعروف، ورئيس اول دولة يهودية في فلسطين، فلقد كتب في مذكراته "التجربة والخطا" مايلي: (كنت اتحدث دائما مع الدكتور بارنيس فكان على الرغم من يهوديته يدعوا الى امتزاج اليهود بالامم الاخرى التي يعيشون فيها، ولقد سألني مرة عن جنسيتي فقلت له: انا يهودي... فتعجب لاجابتي وحاول اقناعي بان اليهودية دين لاقومية فافهمته ان اليهودية دين وقومية... وكتب ايضا: (عرفت في سويسرا لينين وتروتسكي وبلتكوف وكانوا من اليهود "!!!") وكنت احتقرهم لانهم يحتقروننا نحن دعاة الصهيونية، ويرددون دائما، ان اليهودي يجب ان يصلح وطنه الذي يعيش فيه اولا لا ان يهاجر منه ويتركه ويبرر ذلك بانه يهودي...!)

اذن والحال هذه نستطيع القول ان الاستعمار والنازية والصهيونية هما نتاج النظرية القومية الشوفينية المتعصبة المبنية اساسا على التمييز العنصري والتي تزامن نشؤها وتطورها مع قيام الثورة الصناعية وقيام الدول القومية في اوربا الغربية اولا ومن ثم في عموم القارة الاوربية فيما بعد، وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث بقيت الاحداث تتفاعل في القرن التاسع عشر الى ان استقرت حدود الدول القومية في القارة الاوربية مطلع القرن العشرين. علما ان هذه الدول التي كانت تحكمها العقلية الاستعمارية، كانت قد احتظنت الحركة الصهيونية في حينها و هيأت لها جميع الظروف والعوامل المساعدة على تنفيذ مخططاتها لاغتصاب فلسطين وقيام كيانها الصهيوني الاستيطاني على جزء حيوي من الاراضي الفلسطينية وبشكل رسمي في 15/آيار/1948م.⁽¹⁾

(1) الرشيدات، شفيق، فلسطين... تاريخا وعبرة ومصيرا، ص293.

ان الملاحظات التي اشرنا اليها في اعلاه تؤكد وبشكل لايقبل الشك التوافق التام بين الصهيونية والاستعمار العالمي.

ولكن، و لكي تكون الصورة اكثر وضوحا لابد لنا ان نعود بالذاكرة الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث دخلت الراسمالية في اوربا الغربية مرحلة الامبريالية اما في اوربا الشرقية فقد كانت في مراحلها الاولى حيث اخذت تنمو وبشكل يتلائم مع الامكانيات المحلية وماتوفره الاستثمارات الاجنبية لرؤوس الاموال التي اخذت تتجه نحوها.

وفي ظل هذه الظروف (التي تعد وبكل المقاييس بيئة خصبة) نمت الحركة الصهيونية، وقد ساعدتها على النمو السريع تفاعلات المرحلة آنفة الذكر والتي تميزت بالمظاهر التالية:

- 1 . سيطرة البرجوازية اليهودية على قطاعات البنوك والتجارة والصناعة في اوربا الشرقية.
- 2 . نمو البرجوازية الوطنية في اوربا الشرقية بوتيرة شجعتها على العمل من اجل ان تحتل المكان المناسب لها في اقتصاديات بلدانها ناهيك عن اقتصاديات البلدان الاخرى.
- 3 . ومن اجل تحقيق ما ورد في ثانيا بدات البرجوازية الوطنية تزاخم البرجوازية اليهودية وتتذرع بشتى الحجج لكي تضطهدا، لذلك نراها تستغل حادثة اغتيال القيصر على احسن وجه⁽¹⁾.
- 4 . اما في اوربا الغربية فقد استطاعت الراسمالية ان تضع الحلول الناجعة لمشكلتها المتمثلة بنقص المواد الأولية، والاسواق الخارجية لتصريف منتجاتها الصناعية، حيث بدات بالتفكير في حينها بالبحث عن مراكز استعمارية ثابتة في المناطق الحساسة من العالم.

(1). الكيالي، د. عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص30

وقد تحقق لها ذلك من خلال الحملات العسكرية الاستعمارية نحو افريقيا واسيا والعالم الجديد⁽¹⁾. وفي ظل تلك الفترة وتحت تاثير هذه الظواهر التي ذكرنا آنفا نمت الحركة الصهيونية التي استغلت حملة معادات السامية التي اوجدتها برجوازية اوربا الشرقية في حينها لتبرير عدائها للبرجوازية اليهودية.

ولتوضيح ظاهرة نمو الحركة الصهيونية نقول: ان اللاسامية التي ظهرت في اوربا الشرقية ساعدت الحركة الصهيونية على النمو السريع لانها اجبرت الكثير من اليهود بالهجرة الى اوربا الغربية اولا وبشكل مؤقت، ومن ثم الى فلسطين العربية حيث استقر بهم المقام فيها وبشكل نهائي فيما بعد، لاسيما بعد قيام الكيان الصهيوني عام 1948م⁽²⁾

5 . لا يخفى علينا الدور الذي لعبته النازية وكيفية مساعدتها للحركة الصهيونية على النمو السريع وتحقيق طموحها في اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين من خلال الاحداث التي حصلت في المانيا وماجاورها خلال العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين بعد ان اصبح الحزب النازي على راس السلطة هناك. حيث قاد الحزب المذكور حملات التطهير والاضطهاد والتهجير والتصفية الجسدية (الهولوكوست) لليهود الالمان او غيرهم من امم اوربا الشرقية بعد ان سادت المنطقة في حينها حمل معادات السامية وبشكل غير مسبوق، وليس له مثيل. فكان من نتيجة هذا الموقف، ان قدمت النازية خدمة كبيرة (وعلى طبق من ذهب) الى الحركة الصهيونية التي استطاعت ان تستغل ذلك بذكاء ومكر كبيرين، اذن نستطيع ان نستنتج واستنادا الى ما تقدم، لنقول: ان الحركة الصهيونية ظهرت آنئذ لكي تنقذ الراسمال اليهودي من تهديدات البرجوازية في اوربا الشرقية، التي كانت تطمح هي الاخرى بالسيطرة على اقتصاديات بلدانها وقتئذ، ولكنها وبعد ان تيقنت بان هذا

(1) الكيالي، د. عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص 25

ينظر: * السامرائي، د. نوري وآخرون، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر، ص 390 . 401.

(2) الرشيدات، شفيق، فلسطين... تاريخا وعبرة ومصيرا، ص 293.

الهدف لايمكن ان يتحقق بسبب قوة البرجوازية اليهودية،عمدت الى القيام ببعض الممارسات التي تمثلت بمزاحمة البرجوازية اليهودية اولاً،واضطهادها ثانياً،وطردها ان لزم الامر ثالثاً.

وهذا ما حصل فعلاً كما ورد ذكره في مطاوي البحث .

ومن خلال هذا الاستنتاج نستطيع القول:بان مخططات الحركة الصهيونية جاءت متوافقة مع ما توصلت اليه الرأسمالية العالمية(ونعني بها الغربية)من حلول استعمارية لمشاكل توفير المواد الاولية والاسواق الجديدة(الخارجية)لتصريف المنتجات الصناعية.

. ادعاء الحركة الصهيونية الاشتراكية :

ان ما تدعيه الحركة الصهيونية اعتماد الاشتراكية كمنهج للحياة ودليل عمل لكيانها الاستيطاني الغاصب لارض فلسطين المحتلة فهو محض افتراء تهدف من ورائه كسب عطف وتأييد الحركات الاشتراكية في العالم وخصوصاً (الاشتراكية الدولية)والدليل على ذلك انها لاتؤمن اصلاً بالصراع الطبقي الذي جاءت به الحركة الاشتراكية،التي تعتبره مرتبطاً جديلاً بحركة التاريخ.بل تدعو هذه الحركة (الصهيونية)الى تعاون الرأسمالي والمتقف والعامل اليهودي لبناء وخدمة وتقديم كيانها الاستيطاني الغاصب لفلسطين المحتلة،وهي بهذا تلنقي مع النازية التي كانت تنادي بتعاون الجميع للمحافظة على بناء الدولة الالمانية الكبرى،ولاتؤمن اساساً بان هناك تناقضاً بين مصالح العمال والرأسماليين الالمان.وهذه الافكار كان الحزب الاشتراكي الوطني الالمانى(النازي)يدعوا اليها خصوصاً بعد ان تولى قيادته ادولف هتلر في عام 1933م ومن ثم تولى منصب المستشارية للدولة الالمانية في العام نفسه.

اما منادات الحركة الصهيونية بتجربة الكيبوتزات،("اي المزارع الجماعية"،ولكي يكون التعبير اكثر دقة نطلق عليها اسم "المستعمرات اليهودية")،فهي ستار تتخفى من وراءه لتغطية اضطهادها لسكان الاراضي الاصليين(ونعني بهم العرب).لان هذه

الكيبتوزات قائمة اساسا على الاضطهاد والقهر، وذلك باغتصابها الارض من الفلاحين العرب وطردهم منها بعد هدم بيوتهم وقراهم، وبالإضافة الى ذلك، فهي لا تسمح للعمل بها الا لليهود الغربيين فقط دون غيرهم وهي بذلك اكد عنصريتها باعتمادها على الانحدار العرقي والقومي⁽¹⁾ وهذا مرفوض في المبدأ الاشتراكي الذي يدعوا الى تكافؤ الفرص لكل القادرين على العمل.

وعن اهمية الكيبتوزات، والهالة التي احاطتها بها الحركة الصهيونية نقول: ان عوائدها لا تشكل سوى 4% من خزينة الكيان الصهيوني الغاصب الذي يعتمد اساسا على المساعدات التي ترد اليه من الدول الاستعمارية وخصوصا (امريكا) والشركات الاحتكارية التي يسيطر عليها التجمع الصهيوني العالمي.

. سمات التمييز العنصري داخل الكيان الصهيوني: (2)

وبما ان الصهيونية هي بالاساس حركة عنصرية، نرى ان المجتمع الذي قام في فلسطين المحتلة منتصف العام 1948م قائم على اساس عنصري عرقي بالرغم من ان معظم* اطيافه وشرائحه من اليهود. وذلك يبدو واضحا من خلال توزيع المهام والمناصب داخل هذا الكيان، فنرى ان وظائف الدولة العليا وقيادة الجيش والحقوق المدنية و السياسية الكاملة ممنوحة لليهود الاشكناز^Φ المهاجرين من اوربا الغربية (وهؤلاء يحتلون المرتبة الاولى).

(1) الكيالي، د. عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج1، ط1، 1979، ص173

(2) لقاءات ومقابلات ذات طابع سياسي اجرتها اذاعة بغداد وقتئذ مع د. فائز الصائغ.

* لم نقل جميع اطيافه وشرائحه لوجود تجمعات عربية داخل الاراضي الفلسطينية التي احتلت عام 1948م تصل نسبتها الى مايقارب الـ 20% من المجموع الكلي للسكان.

^Φ الاشكناز: اصطلاح يرمز الى التجمع اليهودي بشكل متماسك في شمال غرب اوربا، ثم اصبحت يعني يهود شرقي اوربا/روسيا وبولندا الذين يتحدثون اليديشية. ونظرا لاختلاف المؤثرات الحضارية والاجتماعية اصبحت الثقافة اليهودية المرتبطة بهذه المجموعات والمتحدثين منها ذات صبغ دينية مختلفة نوعا ما عن صبغ السفارد. يهود المشرق. وقد انقسم المستوطنون الصهونيون منذ البداية الى اشكناز وسفارد، الا ان الهيمنة كانت ولاتزل محصورة في الشكناز، وان كان السفارد يشكلون حاليا غالبية اليهود في فلسطين المحتلة.

ينظر: * الكيالي، د. عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، 1979، ص205، 204

يأتي بعدهم اليهود الشرقيون(السفارد)المهاجرون من الوطن العربي وآسيا وأفريقيا(وهؤلاء يحتلون المرتبة الثانية)وأما سكان البلاد الاصليين (ونعني بهم العرب من المسلمين والمسيحيين)والذين لا يزالون يعيشون داخل فلسطين المحتلة عام 1948م فهم مواطنون من الدرجة الثانية ويشكلون بذلك (الموقع الثالث)داخل الكيان الصهيوني الغاصب،وهم بالطبع محرومون من جميع الحقوق السياسية والمدينة،ومفروضة عليهم الاشغال الشاقة،حتى الاجور والتامين والضمان الاجتماعي فهذه لها تشريعات خاصة بهم غير مساوية لليهود الغربيين ولا ثبات وتوضيح ذلك نذكر الملاحظات التالية:

+ في الستينات من القرن العشرين اتخذت لجنة الانتخابات للكنيست الصهيوني قرارا بسحب التراخيص الممنوحة لحزب(حركة الارض) من المشاركة في الانتخابات.علما ان هذه الحركة هي واحدة من الاحزاب السياسية العربية القليلة جدا التي تشكلت في الاراضي العربية المحتلة بعد النكبة عام 1948م من اجل تحقيق البعض من المطالبات المشروعة للسكان العرب الذين لا يزالون متمسكين بارضهم بالرغم من كل اساليب البطش والارهاب التي مارستها السلطات الصهيونية تجاههم،والغرض منها دفعهم على ترك اراضيهم والهجرة الى خارج الوطن(فلسطين)ولكن دون جدوى.

+وفي العقد الاول من القرن الحادي والعشرين* وبالتحديد في انتخابات الكنيست الصهيوني التي اجريت في 2003/1/28م اعاد التاريخ نفسه مرة اخرى حيث اخذت لجنة الانتخابات برئاسة القاضي ميخائيل حيشن قرارا بسحب التراخيص الممنوحة لحزب (التجمع الوطني الديمقراطي) ورئيسه الدكتور عزمي بشارة من المشاركة بالانتخابات بحجة تاييد د.عزمي بشارة المقاومة الفلسطينية ومبادئه وافكار تدعو الى العلمانية والغاء الصفة اليهودية عن الدولة الصهيونية.علما ان الاضطهاد

* تقارير سياسية وندوات فكرية بثتها اذاعة مونتكارلو واذاعة لندن وقد تزامن ذلك مع الانتخابات الصهيونية يوم 2003/1/28م.

الصهيوني المنوه عنه في اعلاه.لم يتوقف عند هذا الد بل توسع ليشمل حزب (الحركة العربية للتغيير) برئاسة السيد احمد الطيبي وحرمانه من المشاركة بالانتخابات ايضا.

+وهذه الاجراءات التي اتخذتها السلطات الحاكمة في الاراضي المحتلة تمثل الخطوة الاولى لمرحلة الترانسفير السياسي الذي يعتبر مقدمة للترانسفير الجسدي⁽¹⁾ وتعطي الدليل الواضح على عنصرية هذا الكيان وبطلان ما يدعيه من انه يمثل واحة للديمقراطية في الشر الاوسط.

وبالاضافة الى كل ما تقدم،نتذكر جميعا ما كانت عليه العلاقة سابقا من القوة والمتانة بين الكيان العنصري الصهيوني في فلسطين المحتلة والكيان العنصري في روديسيا وتوأمه الكيان العنصري في جنوب افريقيا لان المصالح واحدة والاهداف واحدة والمبادئ واحدة حيث ينادي الجميع بافضلية عنصر على عنصر اخر مع الاخذ بنظر الاعتبار كل ما يتعلق بامور الدين واللون والقومية.

. **السمة العدوانية للكيان الصهيوني:**لقد اصبح من البديهي فيما يخص هذا الكيان الذي يعتمد الصهيونية نظرية سياسية له،ولغرض تصنيفه نقول :هو كيان عدواني لايمكن ان يحيد عن هذه السمة بمرور الزمن لكننا وللأسف الشديد نرى بعض الاوساط العربية المتخاذلة تقول انه بالامكان ان نتعايش سلميا مع هذا الكيان الان وفي المستقبل.والجدير ذكره في هذا الصدد،توقيع جميع الاقطار العربية على لائحة حقوق الانسان وعلى اتفاقية منع انتشار الاسلحة الذرية،بينما لم يوقع هذا الكيان لحد الان ،ولن يوقع عليها في المستقبل المنظور على الاغلب.

اضافة الى ذلك وقوفه ضد كل القرارات الدولية التي تدعو الى منح الاستقلال وحق تقرير المصير للشعوب المضطهدة،وكذلك وقوفه سابقا ضد كل القرارات التي اتخذها المجتمع الدولي والقاضية بادانة الكيانات العنصرية في القارة

(1) ونعني به الترحيل الجماعي خارج الاراضي العربية المحتلة (فلسطين)

الافريقية(روديسيا،ناميبيا،جنوب افريقيا)كل هذه الدلالات وغيرها (ممن لم تذكر) تؤكد عدوانية وعنصرية الكيان الصهيوني القائم حاليا في الاراضي العربية المحتلة.

3 . المحور الثالث

ادانة المجتمع الدولي للصهيونية:للاسباب التي اوردنا بعضا منها، وبعد ان اخذ الضمير العالمي المتحرر يتفهم عدالة قضايا الشعوب المضطهدة ادان وبشكل صريح الحركة الصهيونية واعتبرها شكلا من اشكال التمييز العنصري،وذلك في العام 1975م.

والجدير بالاشارة هنا،ان القرار المذكور، الذي ادان الحركة الصهيونية،كان قد اتخذ من اعلى سلطة دولية الا وهي الجمعية العامة للامم المتحدة،حيث اعتبر في حينها،انتصار للقضية العربية.علما ان هذا القرار ما كان ان يتخذ لولا التضحيات التي قدمها الشعب العربي الفلسطيني المجاهد على مذبح الحرية منذ بداية القرن العشرين وحتى الان*

. الموقف المطلوب من العرب بعد اتخاذ قرار الادانة:يتوجب علينا نحن العرب بعد اتخاذ قرار الادانة ان نعمل الكثير حتى نكسب المستقبل من خلال مواجهة الحملة الاعلامية الصهيونية المكثفة التي تريد ان توضح للعالم بان العرب هم اناس قتلة. ولكي يكون العمل منظما ومتميزا بالدقة والعلمية علينا ملاحظة الامور التالية:

1 . عندما اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في ربيع عام 1975م قرارها التاريخي باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية تكونت لدينا صورة واضحة المعالم توحى بان هذا القرار اتخذ من اعلى سلطة دولية ولايمكن الرجوع عنه مستقبلا (ولكن العكس هو الصحيح حيث تم التراجع عنه في العقد الاخير من القرن العشرين بعد الضغوط التي مارسها الولايات المتحدة الامريكية على المنظمة الدولية

* ومن الجدير ذكره في هذا الصدد، الدور البطولي للانتفاضة الباسلة التي انطلقت شرارتها الاولى في 28/ايلول/2000م واستمرت لعدة سنوات

بحجة اتفاق الطرفين على التفاوض لحل القضية الفلسطينية بموجب الافكار التي طرحها مؤتمر مدريد،ومن بعده اتفاقات اوسلو).

ولكن المطلوب من العرب وبالرغم من كل المالبسات التي حصلت والتي لم تكن بالحسبان،استمرار العمل الدؤوب لكي يقطفوا ثمار هذا القرار التاريخي وذلك من خلال الربط الخلاق بين الظروف التي سبقت اتخاذ هذا القرار والظروف الحالية التي اوجدتها الانتفاضة الباسلة اعتبارا من 2000/9/28م والتي لازالت قائمة*.

2 . وبما ان قرار الامم المتحدة آنف الذكر لم يتخذ ولم يظهر بهذه الصيغة لولا العمل الدؤوب والمتواصل الذي سبقه،لذلك يجب ان نفهم بان اي قرار نرغب بطرحه مستقبلا باعتباره مكملا للقرار الاول يجب ان يسبقه تحضير كاف حتى لايفشل ويتحول من فائدة لنا الى خسارة علينا.

3 . اننا اذا اردنا لقرار الامم المتحدة ان يبقى ذا مفعول مستمر يجب ان نعمل على تعميق مفهومه على مستوى الدول النامية التي بدات تتفهم قضيتنا العادلة وتتجاوب معها وتتاضل من اجلها،وذلك لوجود قواسم مشتركة بين شعوب العالم الثالث التي عانت الامرّين من سيطرة الدول الاستعمارية على مدى قرنين من الزمن.

اذن، يجب ان يكون العمل من اجل ان يرتفع شجب دول وشعوب العالم الثالث للحركة الصهيونية من مستوى المجاملة والمصالح المتبادلة والعلاقات الشخصية بين رؤساء الدول الى قضية مصيرية بين شعوب البلدان النامية حتى لا يخالجنا الشك يوما ما،من ان هذه المواقف سوف تتراجع،خصوصا بعد ان حصلت شعوب زيمبابوي وناميبيا وافريقيا الجنوبية على حقوقها،وينحسر نضال شعوب افريقيا خاصة،والعالم الثالث عامة،ضد العنصرية وبالتالي ينسون او يتناسون ما يحدث من اضطهاد عنصري في فلسطين على ايدي الصهاينة مثلما حدث في فترة الستينات من جزر في عملية النضال ضد الاستعمار القديم وذلك بعد ان اوشكت

* ان التصورات المطروحة في اعلاه،كانت قد طرحت للمناقشة وانتفاضة 2000/9/28م لما تزل قائمة،لذا وجب التنويه.

الامبراطوريات الاستعمارية على الاندثار تقريبا نتيجة النضال المتواصل لحركة التحرر الوطني التي عمت شعوب العالم الثالث مطلع القرن العشرين واستمرت حتى بداية النصف الثاني منه.

4 . ولكن هذا الافتراض يعتمد بالاساس على العمل الاعلامي الموجه والمدرّس الذي يعتمد الاسلوب العلمي الدقيق الذي يدفع بضمير العالم الى تفهم قضائنا العادلة اكثر فاكثر كي نوسع من دائرة انصارنا وبالمقابل نعمل على تضيق دوائر مؤيدي الصهيونية.

5 - ولكن المعروف للقاصي والداني، ان غالبية العرب وبعد ان اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها التاريخي آنف الذكر خلدوا الى الراحة والاستكانة ولم يواصلوا عملهم حتى يكسبوا المزيد من الانصار . بل على العكس من ذلك نرى الصهيونية قد وسعت من دائرة عملها لكي تقف ضد الحملة التي قادها العرب ضدها والتي ادت الى اتخاذ مثل تلك القرارات العادلة. حيث اقتصرت اعمال العرب على عقد مؤتمر طرابلس، ومؤتمر بغداد الفكري. ولغرض تقييم العمل ومدى استجابته لمتطلبات المرحلة نقول: ان هذه الاعمال تعتبر قليلة وغير متناسبة مع اهمية الحدث لكونها عقدت على ارض عربية ولم تتحرك آنذ الى خارج حدود الوطن العربي، ونعني بذلك الساحة الدولية التي تحتكرها الحركة الصهيونية العالمية من خلال وسائل الاعلام الكثيرة والمتنوعة والتي تساعدنا بالطبع على ايصال صوتها الى معظم شعوب العالم.

6 . بعد هذا الايجاز علينا ان نتحرك صوب العالم الغربي المؤيد للصهيونية بشطريه الرسمي والشعبي فالجهات الرسمية وكما هو معروف تؤيد وسوف تبقى مؤيدة للصهيونية، وذلك بسبب التأثير الكبير الذي تمارسه الحركة الصهيونية العالمية ومركزاتها في الدول الغربية على مصادر اتخاذ القرار في تلك الدول. والذي نعول عليه هنا: القاعدة الشعبية في الدول الغربية (بما تمثله من احزاب ونقابات واتحادات

ومنظمات مهنية ومنظمات حقوق انسان ومنظمات السلم والتضامن والطفولة والمرأة والشباب وغيرها).

هذه القاعدة الشعبية العريضة والواسعة تستحق منا ان نركز عملنا عليها لكي نحاول وبالحوار الجاد والصريح والمستمر اقناعها والاتفاق معها على قواسم مشتركة تساعدنا على تغيير رايها كلياً او جزئياً وبالتالي نستطيع ان نوسع من دائرة مناصرينا ،يقابله في الطرف الاخر تضيق دائرة مؤيدي الصهيونية.

والجدير بالاشارة هنا ،القول:ان كل الملاحظات التي ذكرت في اعلاه مرتبطة بالعمل الاعلامي الموجه والمدرس والمستمر،الذي لاينقطع ولايشعر يوماً ما بالملل او التعب.وصولاً الى الهدف الاسمى الذي يناضل من اجله الجميع الا وهو حصول الشعب العربي الفلسطيني على حقوقه العادلة والمتمثلة بقيام دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف مسرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)واولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

- انسانية القومية العربية:الجدير ذكره في هذا الصدد،(وبعد تحدثنا عن عنصرية الكيان الصهيوني وعنصرية الحركة الصهيونية التي استطاعت وبدعم الدول الاستعمارية من اغتصاب ارض فلسطين وقيام دولة اسرائيل).ان نتحدث عن انسانية قوميتنا التي من مصاديقها القرار الذي اتخذه العراق في العام 1974م والقاضي بعودة اليهود العراقيين الذين هاجروا سابقاً وتحت وطأة ظروف خاصة خلقها الاستعمار وعملائه في الداخل الى ارض الوطن(العراق)متمتعين بكافة حقوق المواطنين العراقيين،حتى يساهموا في عملية بناء المجتمع،ولكي يتخلصوا من الاضطهاد العنصري الذي يلاقوه في فلسطين المحتلة حالياً.

ولقد حذا حذو العراق فيما بعد،القطر المغربي الشقيق،الذي اتخذ قراراً مماثلاً. ونتيجة لاتخاذ مثل هذين القرارين شاهدنا البعض من العوائل اليهودية والتي هي من اصول عراقية او مغربية تترك الاراضي المحتلة وتعود الى ديارها الاصلية.

ان اتخاذ مثل هذه القرارات من قبل جميع الاقطار العربية يعتبر تقنيد للدعاية الصهيونية التي تحاول ان توضح للعالم بان اليهود الموجودين حاليا في الاقطار العربية مضطهدين ولايستطيعون ممارسة ابسط حقوق المواطنة (بما فيها الشعائر الدينية).

ولكن هذه الادعاءات الباطلة قد تم تقنيدها بموجب تصريحات مسؤولي الطوائف اليهودية في البلاد العربية ومنهم السيد(روبين الياس)مسؤول الطائفة الموسوية في العراق.

ملحق البحث

ويتضمن شرح موجز لبعض المصطلحات التي وردت في البحث:

* لاسال(فرديناد):1825 . 1864⁽¹⁾

اشتراكي الماني،تلميذ هيجل،عارض ماركس،آمن باهمية الدولة القصى في تحقيق الاشتراكية.اسس في العام 1863 نواة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالمانى.من اهم مؤلفاته(العمل ورأس المال 1864).

*الاشتراكية:مجموعة كاملة من المفاهيم والمناهج والتنظيمات والوسائل التي تشترك في رفض المجتمع الراسمالي والايمان بالارادة الثورية لاقامة مجتمع اكثر كفاية وعدلا،بغية تحقيق المساواة الفعلية بين جميع الناس وبين جميع الامم وتحدد بمعايير رئيسية وهي:

1 . الموقف من الملكية،وموقف الاشتراكيين هو رفض الملكية الفردية والعمل على تحقيق الملكية العامة والاجتماعية دفعة واحدة او تدريجيا.

2 . الموقف من التنظيم الاقتصادي،اي العمل على تخطيط النشاط الاقتصادي تخطيطا شاملا وعلميا.

3 . الموقف من التنظيم الاجتماعي،اي العمل على الادارة الديمقراطية للاقتصاد في اطار اوسع حرية للنقد والمبادرة والخلق.

4 . الموقف من المساواة،اي الايمان بحق الناس جميعا في المساواة الفعلية وتحقيق هذا الهدف بخطوات ذاتية. ⁽²⁾

*امة:مجموعة تاريخية من الناس يتكلمون لغة مشتركة ولهم تاريخ مشترك وتراث نفسي مشترك ويعيشون على ارض واحدة وتربطهم مصالح اقتصادية مشتركة. ⁽³⁾ امبريالية:هي مرحلة الاحتكار في تاريخ تطور الراسمالية.

(1)موسوعة الهلال الاشتراكية،كامل زهيري وآخرون،ط1975،ص446

(2) نفسه،ص36

(3) نفسه،ص16

ويتضمن المظاهر التالية:

- . تركيز الانتاج ورأس المال الى درجة تبعث على قيام الاحتكارات الضخمة.
- . امتزاج رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي .
- . تصدير رأس المال الى الخارج بحيث يصبح اعظم اهمية بكثير من تصدير السلع.
- . قيام الاحتكارات الدولية التي تقسم العالم (مصادر ثروته واسواقه) فيما بينها.
- . اتمام التقسيم الاقليمي للعالم بين اكبر واقوى الدول الرأسمالية⁽¹⁾.
- * تعايش سلمي: اتفاق الكتلتين على الامتناع عن الحرب بسبب خطر الحرب الذرية والهيدروجينية. ولكن الاهم من هذا ظهور فكرة التعايش السلمي بين الامم والتي تقول (ان من مصلحة الامم الناهضة تجنب الحرب حتى يتجه المجهود الحربي الى العمل الاقتصادي والاجتماعي والانتاجي للقضاء على التخلف)⁽²⁾.
- * حركة: التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات او فئة اجتماعية الى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد محدد لتحسين احوالها الاقتصادية، ولتحقيق التقدم الاجتماعي لجميع افرادها، وللمساهمة الفعالة في السلطة السياسية. ولعل اهم الحركات في عالمنا المعاصر هي (الحركة العمالية، الحركة الفلاحية، الحركة الطلابية، الحركة النسائية، الحركة الثقافية)⁽³⁾.
- * حرية: الحرية من الناحية البيولوجية هي فقدان الارغام، ومن الناحية النفسية هي القدرة على الاختيار بين عدة حلول ومن الناحية الفلسفية هي الوجود نفسه، لان الموجود لا يتحدد الا بالحرية⁽⁴⁾.
- * دولية: التنظيمات العالمية التي تضم القوى الاشتراكية على اختلاف اتجاهاتها بغية توحيد هذه القوى او التنسيق بينها وتبادل الخبرات والمعلومات وهناك:

(1) موسوعة الهلال الاشتراكية، كامل زهيري وآخرون، ط1975، ص56

(2) نفسه، ص136

(3) نفسه، ص189

(4) نفسه، ص191

الدولية الاولى(1864 . 1873م)

الدولية الثانية(1881 . 1914م)

الدولية الثالثة(1919 . 1943م "التي حلها ستالن عام 1943 بناءا على طلب

الرئيس روزفلت وبغية توطيد التعاون الحربي مع الدول الحليفة الغربية")

الدولية الرابعة(1922 . 000)التي تاسست عام (1922 . 1923م)في برلين بهدف

واحد هو معارضة الدولية الثالثة وحكم ستالين وقد تبنت فيما بعد افكار

تروتسكي،وهي تنظيم ضعيف ولكنه لايزال في عدة مراكز وخاصة

في (باريس،بروكسل،سيلان،المكسيك،لندن،امريكا،وغيرها)

الكومنفورم(1947 . 1953م)والكلمة معناها،مكتب المعلومات الشيوعية،وقد تاسس

في وارسو عام 1947م لتنظيم تبادل المعلومات والخبرات بين الاحزاب الشيوعية

الاوربية.وذلك في بداية الحرب الباردة ولمواجهة مشروع مارشال وحلف شمال

الاطلسي .ثم نقل مركز الكومنفورم الى براغ،وكان يصدر في بوخارست صحيفة

باسم(في سبيل السلم والاشتراكية).بعده لغات وبعد حل الكومنفورم عام 1953م

تاسست لجنة ثقافية في براغ واصدرت مجلة باسم(مسائل السلم والاشتراكية)⁽¹⁾

* سوفخوز:كلمة روسية تطلق على مزارع الدولية التي تمتلكها في الاتحاد السوفيتي

سابقا⁽²⁾

*كولخوز:الاسم الروسي للمزرعة الجماعية وهي مزرعة تتكون من مجموع حيازات

الفلاحين المقيمين في قرية واحدة او منطقة زراعية واحدة ويقيمون بزراعتها بشكل

جماعي⁽³⁾

(1) موسوعة الهلال الاشتراكية،كامل زهيري وآخرون،ط1975،ص219 . 222

(2) نفسه،ص289

(3) موسوعة الهلال الاشتراكية،كامل زهيري وآخرون،ط1975،ص434

* نازية:مذهب الاشتراكية الوطنية وتفوق الجنس الآري واعادة تقسيم المستعمرات بالحرب وتقوية الدولة واذابة الفرد.والاضطهاد العنصري ضد الاقليات او الشعوب المختلفة⁽¹⁾

الصهيونية:حركة عنصرية استعمارية موالية للامبريالية العالمية ودولها المختلفة دون تحديد دائم ومستمر،دعت الى العمل من اجل العودة الى فلسطين واستعمارها بهدف اجلاء سكانها الاصليين(العرب)،لاقامة دولة يهودية قومية صرف⁽²⁾

وقد جاءت الفكرة الصهيونية كتعبير عن فقدان الامل بقيام مجتمعات اوربية تحررية عادلة قادرة على استيعاب اليهود اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا،وكاستجابة لرغبة الدول الاستعمارية الكبيرة في استخدام الجاليات اليهودية لاغراض استعمار الشعوب المتخلفة.

وقد لاقى ذلك تشجيعا من قبل كبار الراسماليين اليهود الذين كانوا يرغبون بنحويل سيل الهجرة اليهودية من اوربا الشرقية الى خارج اوربا لتجنب نتائج منافسة اليهود الوافدين للبرجوازية الصغيرة في اوربا الغربية،وعواقب البطالة في اشارة النعرات اللاسامية عند الطبقات الشعبية.

وفي مطلع الستينات من القرن التاسع عشر اخذ بعض المفكرين اليهود في الدعوة الى العمل من اجل (العودة) الى فلسطين واستعمارها،وكان اولهم الحاخام هيرش كالشير(1795 . 1874)وذلك في كتابه(البحث عن صهيون)(الصادر عام 1861م⁽³⁾

(1) نفسه،ص504

(2) الكيالي،د.عبد الوهاب ،تاريخ فلسطين الحديث،ص36

(3) الكيالي،د.عبد الوهاب ،تاريخ فلسطين الحديث ،ص29 . 30

مصادر البحث

* اعداد من جريدة الثورة البغدادية تزامن صدورها مع انعقاد المؤتمر الفكري في بغداد عام 1975م.

*لقاءات ومقابلات ذات طابع سياسي اجرتها اذاعة بغداد مع د.فائز الصائغ اثناء انعقاد المؤتمر الفكري في بغداد عام 1975م.

- * تقارير سياسية وندوات فكرية بثتها اذاعة مونتيكارلو واذاعة لندن وقد تزامن ذلك مع انتخابات الكنيست الصهيوني يوم 28/1/2003م.
- *العارضي،محسن جبار،90 عاما على ثورة العراق التحريرية الوطنية في 30/حزيران/1920م،بغداد2010م.
- *الكيالي،د.عبد الوهاب،تاريخ فلسطين الحديث،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت 1970م.
- *الكيالي،د.عبد الوهاب،موسوعة السياسة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ج1،ط1979م.
- *الرشيدات،شفيق،فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا،دار الكتاب العربي،مصر 1968م.
- *السامرائي،د.نوري وآخرون،تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر،بغداد 1985م.
- *زهيري،كامل وآخرون،موسوعة الهلال الاشتراكية،ط1970م.

الباب الثاني

في التراث الاسلامي

.الاعجاز القرآني واثره على موقف العرب من القرآن الكريم

- . قراءة في كتاب الخنيزي(ابو طالب..مؤمن قريش)دراسة وتحليل
- . شذرات من السيرة العلوية
- . الامام الحسن السبط"ع"..نفحات من السيرة العطرة.
- . الحرية في الحضارة الاسلامية..مفهوما وتطبيقا
- . مقاربات موضوعية بين الاسلام والديمقراطية

مجلس الخاقاني الثقافي
الكاظمية المقدسة

الاعجاز القرآني*

واثره على موقف العرب من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

اكاد اعتقد، ان موضوع البحث، الموسوم (الاعجاز القرآني واثره على موقف العرب من القرآن الكريم)⁽¹⁾ على قدر كبير من الهمية، لانه يتناول بالتفصيل موقف العرب من القرآن الكريم منذ نزول الوحي وحتى فتح مكة، من خلال محورين:

1 . المحور الاول: يتناول حياة العرب الفكرية، ومعتقداتهم الدينية، قبل الاسلام.

* القيت المحاضرة من على منبر مجلس الكاظمية (لآل الخاقاني) الثقافي مساء يوم الاثنين الموافق الثاني من آيلول/2002م، وقد ادار الندوة الاستاذ محمد الشيخ عيسى الخاقاني.

(1) الملا حويش، د. عمر، تطور دراسات اعجاز القرآن واثرها في البلاغة العربية، ط بغداد، 1972م.

وهذا المحور بجانبه (الفكري و العقيدي) يعد تمهيدا لابد منه ل:
2 . المحور الثاني: الذي يتناول موقف العرب من القرآن الكريم.

1 . المحور الاول: حياة العرب الفكرية والدينية قبل الاسلام*

للبحث في مثل هذا الموضوع لابد من التمهيد له عن طريق دراسة ومعرفة ركنين
هامين من حياة العرب قبل الاسلام.

* الملا حويش، د. عمر. تطور دراسات اعجاز القرآن واثرها في البلاغة العربية، ط بغداد 1972م، ص 10. 19.

الركن الول:يتمثل في حياة العرب الفكرية وما كانوا عليه من ذكاء القريحة وتذوق البيان في اساليب الكلام.

الركن الثاني:ويتمثل في الناحية الدينية وما كان يعتقده العرب في تلك الفترة. وفيما يلي نبذة تاريخية عن الركن الاول الذي يتحدث عن حياة العرب الفكرية قبل الاسلام:

كانت الامة العربية قبل الاسلام قبائل متفرقة مختلفة النزعات، وكل واحدة من هذه القبائل تكوّن وحدة مستقلة، لها مركزها بين القبائل الاخرى وكذلك لها حدود موطنها تدافع عنه وتقنى في حمايته.

وبالاضافة الى ما تقدم، كانت القبيلة تعتر بماضيها وتاريخ آبائها واجدادها وجهادهم من اجل القبيلة ورعاية افرادها، كما وتعتر القبيلة بحاضرها وذلك من خلال تمجيد شعراءها والافتخار بخطبائها فنراها تتغنى باشعارهم وتروي خطبهم لان الخطيب والشاعر آنذاك هو لسان القبيلة الناطق الذي ينشر ويتغنى بامجادها ولذلك كان هؤلاء ونقصد(الشعراء الخطباء)يتمتعون بمنزلة عالية في المجتمع العربي وقتئذ. وكنتيجة لذلك كان للشاعر والخطيب سوق رائجة لكونها وسيلة الاعلام الوحيدة التي تمتلكها القبيلة.

وقد كان التنافس قائم على اشده بين الشعراء والخطباء لان كل قبيلة لديها فريق منهم يحاول اظهار قبيلته بالمظهر اللائق بين القبائل الاخرى ثم تطور التنافس الى المباراة بينهم على قدرة التعبير وقوة المعاني وجزالة الاسلوب فكان من نتيجة ذلك ان توسعت مداركهم من الناحية الادبية فقطعوا اشواطا كبيرة في صناعة البيان والبلاغة والادب لم تستطع الاجيال التي تلتهم ان تجاريهم فيما وصلوا اليه.

لذلك نرى (محمد بن جرير الطبري)يصفهم في تفسيره بانهم(رؤساء صناعة الخط والبلاغة "وقيل"الشعر والفصاحة والسجع والكهانة، فخطيبهم بليغ وشاعرهم فصيح).

وقال عتبة بن ابي سفيان يصف كلام العرب ايضا "ان للعرب كلاما هو ارق من الهواء واعذب من الماء فسهولة الفاظهم توهمك انها ممكنة اذا سمعت، وصعوبتها تعلمك انها مفقودة اذا طلبت".

وللاحاطة بشكل اوفى بموضوع الشعر والنثر والخطابة والخطباء عند العرب يستحسن مراجعة كتابي (الحيوان، البيان والتبيين) للجاحظ، وكتاب (العمدة) لابن رشيق، وكتاب (زهر الاداب) للحصري، للوقوف على تلك النهضة الادبية التي كانت عند العرب قبيل نزول القرآن وما بلغوه من درجات عالية ان لم نقل القمة في البلاغة والادب.

اما اسواقهم الادبية فقد كانت مسرحا للشعراء والخطباء يتبارون فيها بذكر ايامهم وانسابهم ويحتكمون الى من عرف منهم بمقدرته على تمييز الحسن من الرديء وايهما اخطب او اشعر. * وقد نوه (الدكتور طه حسين) عن ذلك حيث اشار الى النهضة الادبية التي كانت عند العرب آنذاك (فيصفهم بسلامة الذوق وسداد النقد) كما قال في موضوع آخر (ان العرب في نهاية العصر الجاهلي اخذوا يخضعون صناعة الكلام لنقد اولي، ولكن في اغلب الاحوال سديد لانهم يعولون فيه على سلامة الذوق. بحيث وصل بهم الامر الى استكشاف بعض العيوب الفنية في النظم ووضعوا لها من النصيح والارشاد ما يفيد الخطيب والشاعر في صناعته.

وبعد هذا الايجاز عن حياة العرب الادبية قبيل الاسلام حري بنا ان نتعرف (الركن الثاني) الذي يتحدث عن الناحية الدينية وما كان يعتقده العرب في تلك الفترة.

لقد كانت الفترة الزمنية بين قيام الديانتين اليهودية والنصرانية على التتابع من جهة، ونزول القرآن الكريم على النبي الخاتم (ص) في مكة المكرمة من جهة أخرى طويلة نسبيا، بحيث كانت عاملا مساعدا على ابتعاد الناس عن التعاليم الحقيقية التي جاء بها (موسى وعيسى) . على نبينا واله وعليهما السلام . فتحول البعض منهم

* د. طه حسين، مقدمة نقد النثر .

ان لم نقل اغلبهم عن هاتين الديانتين الى عبادة الاصنام وصاروا في عداد المشركين ولكن فكرة الاعتقاد بوجود الخالق لهذا الكون لاتزال عالقة في اذهان الكثير منهم ولو ان بعضهم خرج بعيدا فانكر وجود الخالق اذن والحال هذه، نستطيع القول، ان اغلب المجتمع العربي كان عبدة اصنام. ومن اقر منهم بوجود الخالق كان يعتقد بان هذه الاصنام التي يعبدونها ويتقربون اليها بالقرابين انما تقربهم الى الله زلفى. وقد ورد ذلك في القرآن الكريم فقال تعالى:

(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) (الزمر/3)

وما الذين انكروا وجود الخالق فهم الذين لم يهتدوا الى سبب لوجود هذا الكون الا (الطبع المحي والدهر المفني) وهؤلاء هم (معطلة العرب) كما اسماهم الشهرستاني في كتابه الموسوم (الملل والنحل، ج2، ص224، ط مصر) وقد اشار القرآن الكريم الى هؤلاء ايضا، فقال تعالى:

(وقالوا ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) (الجاثية/24)

وهناك فئة ثالثة لم يطمئنوا الى ما كان عليه قومهم من الضياع وتخبط في العبادة وحيرة مسيطرة عليهم في العقيدة وهؤلاء كانوا يؤمنون بوجود الخالق كما يؤمن غيرهم من العرب غير انهم لم يطمئنوا الى الاحجار التي يعبدونها ويتوسلون اليها لتقربهم الى الله زلفى فكان هذا الشك وعدم الاطمئنان الى تلك الاصنام هو الذي يدفعهم الى البحث عن المنقذ من الحيرة المحيطة بهم ليهديهم الى الطريق القويم.

وفي كتب السيرة وقائع كثيرة تعطينا صورة واضحة عما كان يختلج في صدور هذه الفئة نذكر منها المثال الاتي: اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة يوما. فخلص منهم اربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض، قالوا اجل، وهم (ورقة بن نوفل ابن اسد بن عبد العزى، عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر، عثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى، زيد بن نفيل

بن عبد العزى) فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شئ لقد اخطئوا دين ابيهم ابراهيم، يا قوم التمسوا لانفسكم دينا فانكم والله ما انتم على شئ. فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية. دين ابراهيم.

وهذه بعض الابيات لزيد بن نفيل تعطي صورة واضحة للحيرة التي كان عليها العرب قبيل البعثة النبوية الشريفة:

ارياً واحداً ام الف رب عزلتُ	ادينُ اذا تقسمت الامورُ كذلك
اللات والعزى جميعا فلا العزى	يفعل الجلدُ الصبورُ ولاصنمي
ادين ولا ابنتيها ولاهبل ادين	بني عمرو ازورُ لنا في الدهر
وكان ربا ولكن اعد الرحمن	اذ حلمي يسيرُ ليغفر ذنبي
ربي فتقوى الله ربكم احفظوها	الرب الغفورُ متى ما تحفظوها
ترى الابرار دارهم جنان	لا تبوروا ولل كفار حامية سعيُرُ

وهذه الابيات تدلنا على ان هناك جماعة من العرب كانوا يميلون الى فكرة الاعتقاد بالوحدانية والحياة الاخرى والبعث بعد الموت والحساب والثواب. بينما كان غيرهم من العرب وهم الاغلبية ينكرون هذه الحقائق ويجاهرون في انكارها ويروى عن بعضهم قوله في ذلك:

حياة ثم بعث ثم نشر حديث خرافة يا ام عمر⁽¹⁾

وقد تناول القرآن الكريم ما كان يدور على السنة مشركي قريش من انكار البعث والحياة الاخرى، فقال تعالى: (قل من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم) ياسين/78.

وهذه اللوحة الموجزة تدلنا على ان العرب قبيل ظهور الاسلام لم يكونوا على عقيدة واحدة يدينون بها، فمنهم من اتخذ الاصنام الهة من دون الله ومنهم من تهود ومنهم

(1) الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص423.

من تنصر ومنهم من كان ينفر من كل ذلك فراحوا ينشدون الحنيفية دين ابراهيم الخليل(ع).

وهذا يعني ان مسألة البعث بعد الموت والحساب والجزاء كانت تشغل بال الاكثرية منهم ولذلك نرى القرآن الكريم حين يعالج مشكلة العقيدة يؤكد على ان الله واحد احد لاشريك له في ملكه،خلق كل شئ ويعود اليه كل شئ.والآيات القرآنية التي تؤكد ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى:(قل هو الله احد.الله الصمد.لم يلد ولم يولد.ولم يكن له كفوا احد)سورة الاخلاص.

وقال تعالى:(له ما في السماوات وما في الارض.ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون)الانبياء/19.الى قوله تعالى:(لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)الانبياء/22.

(لايسأل عما يفعل وهم يسألون)الانبياء/23

وقال تعالى:(انتم اشد خلقا ام السماء بناها.رفع سمكها فسواها.واغطش ليلها واخرج ضحاها.والارض بعد ذلك دحاها.اخرج منها ماءها ومرعاها.متاعا لكم ولانعامكم)النازعات/27 . 33

اذن والحال هذه،نستطيع القول :ان القرآن نزل في بيئة كانت احوج ما تكون اليه بعد ان اندرست التعاليم الحقيقية التي جاءت بها اليهودية والنصرانية وابتعد الناس كثيرا عن التوحيد وبذلك اصبحوا بحاجة الى من يوضح لهم امور العقائد ويهديهم الى الطريق القويم.

وفي هذه البيئة التي وصفناها ومن اشرف قبائل العرب وافصحها لغةً وبياناً ظهر محمد بن عبد الله(ص)من بينهم يدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له ونبذ عبادة الاصنام فصعبت عليهم الدعوة لانها سفهت احلامهم واوهنت آلهتهم وكفرت ابائهم واجدادهم(فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون)فصلت/4

ومما زاد في عنادهم واستغرابهم ان يكون هذا الرسول بشرا من بينهم ياكل مما ياكلون ويشرب مما يشربون وقد وصف القرآن الكريم ماكان يدور على سنتهم:

(ولئن اطعمتم بشرا مثلكم انكم اذاً لخاسرون) المؤمنون/34.

ولكنهم، ما لبثوا ان خضعوا لسلطان هذا التنزيل مذعنين لبلاغته وبيانه فأمنوا به عن ادراك بعد ان تذوقوا حلاوته ولمسوا اعجازه وحكموا عليه بفطرتهم السليمة وصراحتهم التي لاتعرف النفاق، بانه لايمكن ان يكون كلام مخلوق من البشر انما هو: (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود/1.

(لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فصلت/42.

(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) النساء/82.

2 . المحور الثاني: موقف العرب من القرآن الكريم*

وفي مثل هذه الظروف شاءت حكمة الله . سبحانه . ان ينزل القرآن على نبيه محمد(ص) وباللغة التي بلغ فيها العرب الذروة من حيث البلاغة والفصاحة والبيان ليكون شاهدا بين يدي النبي(ص) على صدق نبوته ويكون معجزته(الى ان يرث الله الارض ومن عليها) واقد امر الله سبحانه نبيه ان يقرأ القرآن على الناس ليدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له.

فكان من الطبيعي ان يتنكر الناس لدعوته شأنه في ذلك شأن من سبقه من الرسل والانبياء. لانه من الصعوبة بمكان ان يترك الانسان عقيدته التي ورثها عن ابائه ليعتق دينا جديدا مبنيا على الغيب.(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) البقرة/3 بعيدا عن الماديات كالاصنام والهيكل والذي زاد من انكارهم

* الملا حويش، د. عمر. تطور دراسات اعجاز القرآن واثرها في البلاغة العربية، ط بغداد 1972م، ص77 . 96.

للدين الجديد كون الذي بشرهم به رجل منهم لم تكتمل له سن الرياسة بعد. كما انهم استبعدوا ان يوحى الله سبحانه الى بشر مثلهم.

وقد ورد في القرآن "ذلك" على السنتهم فقال تعالى: (وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) الفرقان/7

لذلك نراهم يطلبون منه (ص) مرة بعد اخرى الادلة والبراهين على صدق دعوته كما ورد في قوله تعالى: (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الاسراء/90 (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا) الاسراء/92.

ولكن النبي محمد(ص) استمر في دعوته فامن به من امن وصد عنه من انكر دعوته وشك في صدقه. علما ان النبي وقتئذ لم يستطع المجاهرة بالدعوة بين قومه لقلة عدد المؤمنين به. لذلك نراه يخرج الى شعاب مكة بعيدا عن اعين الناس ليتعبد هناك. وذات مرة شاهد ابو طالب (رض) النبي (ص) ومعه علي (ع) يصليان، فقال للرسول: يا ابن اخي ما هذا الدين الذي اراك تدين به؟ فقال: اي عم هذا دين الله، ودين ملائكته ودين ابينا ابراهيم، بعثني الله به رسولا الى العباد.

وانت اي عم احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى، واحق من اجابني اليه واعانني عليه. فقال ابو طالب: اي ابن اخي والله لا يخلص اليك شئ تكرهه ما بقيت. وهنا نرى ابو طالب قد اقر النبي على دينه وتعهده له بالمساعدة والحماية من كل ما يكره.

لم يلتفت رؤساء قريش اول الامر لدعوة محمد(ص) وذلك لانهم اعتادوا على تعدد الاديان في مجتمعهم بالاضافة الى الوثنية التي كانوا يدينون بها. والاهم من هذا كله، انهم لم يلمسوا خطرا من اتباع هذه الديانات على زعامتهم ومركزهم الديني، وهم الذين عايشوهم لقرون عدة. ولهذا كان ظنهم اول الامر ان ما جاء به محمد(ص) لم يختلف عن اليهودية والنصرانية ولكنهم تبينوا بعد ذلك ان القرآن الذي يقرؤه محمد(ص) يطرق الاذان وينفذ الى قلوب العامة والخاصة على حد السواء. ولكن

عنادهم وكبرهم كانا يمنعانهم من الايمان بما استيقنته قلوبهم فوصفهم القرآن بقوله تعالى:

(وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (النمل/14) وتمادوا في غيهم. ولكن النبي (ص) مازال يقرع اسماعهم بالقرآن الكريم ليلا ونهارا فتميل اليه نفوسهم وتستسيغه اذواقهم العربية السليمة. ولانه لم تتوفر لديهم القدرة على مناظرته ومخاصمته وجدوا خير طريق للخلاص من تأثيره عليهم ان ينصرفوا عن سماعه ويمنعوا الناس ايضا. فنزل القرآن قائلا: **(وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)** (فصلت/26).

وها الاجراء الذي اتفقوا عليه، بحق العامة والخاصة منهم، انما يدل على مدى الذعر من تأثير القرآن عليهم ولانهم لم يقدرُوا على تحطيم قيود العادات والتقاليد المعروفة والتي شذتْهم الى الباطل بعد ان تبين الحق. ولكنهم لم يصمدوا على موقفهم، لذلك نراهم يهيمنون على وجوههم ليلا من بيوتهم ليستمعوا الى رسول الله (ص) وهو يتلوا القرآن الكريم قائما الليل، او في صلا الفجر.

ينقل ابن كثير في (البداية) عن البيهقي ما نصه:

ان ابا جهل و ابا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من الرسول (ص) القرآن وهو يصلي بالليل في بيته وقد اتخذ كل واحد منهم مجلسا دون ان يعلم بمكان صاحبه و باتوا ليلتهم يسمعون حتى اصبح الصباح تفرقوا، فجمعهم الطريق. فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لاتعودوا لمثل هذا فلو راكم بعض سفهائكم لاقعتم في نفوسهم شيئا. ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه و باتوا يستمعون الى ان طلع الفجر فتفرقوا فجمعهم الطريق حتى اذا كانت الليلة الثالثة اخذ كل رجل منهم مجلسا فباتوا يسمعون حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا لاتبرح حتى نتعاهد الانعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما اصبح ابن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى اتى ابا سفيان في بيته فقال اخبرني يا ابا حنظلة عن رايك فيما سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت اشياء اعرفها واعرف ما يراد بها. فقال الاخنس وانا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى اتا ابا جهل فدخل عليه في بيته. فقال يا ابا الحكم ما رايك فيما سمعت من محمد فقال: ماذا سمعت تتازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، اطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فاعطينا حتى اذا تجاثينا على الركب كفرسي رهان. قالوا منا نبي ياتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا؟ والله لانسمع اليه ابدا ولا نصدق. فقام عنه الاخنس بن شريق.

ان جواب ابي سفيان للاخنس بقوله: (والله لقد سمعت اشياء اعرفها واعرف ما يراد بها وتاييد الاخنس له واعتراف ابي جهل بقصورهم عن ادراك ماجاء به الرسول(ص) والمنزلة العالية التي منحها اياه ربه بتشريفه بالنبوة والرسالة لمصادق لقوله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) النمل/ 14 .

ولكن عنادهم وكبرهم وحسدكم حال دون التصديق بنبوة محمد(ص) والتسليم بما جاء به.

انتشرت دعوة الاسلام بينهم بالرغم من عناد ابي جهل وتجاهله لها هو ومن اتبعه، واتباع النبي(ص) يتزايدون يوما بعد آخر. مما دعى قريش الى الاجتماع والتشاور في الامر فقرروا ان يذهبوا الى عمه ابي طالب الذي لم يلمسوا منه انكار لهذه الدعوة بل كان يمنعهم منه. وكان ممن ذهب الى ابي طالب (عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وابو سفيان صخر بن حرب، وابو البختري العاص بن هاشم، والاسود بن المطلب بن اسد، وابو جهل عمر بن هاشم، والنبيه والمنبه ابنا الحجاج بن عامر، والعاص بن وائل). فقالوا يا ابا طالب: ان ابن اخيك سب الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه. فردهم ابا طالب ردا لطيفا وانصرفوا، بينما الرسول(ص) ماضي في دعوته بين الناس، والممثلة

في تلاوة آيات القرآن التي لها تأثير كبير على من يسمعونها فيعلن اسلامه مؤمناً بمحمد وبما جاء به من البينات.حتى مشركي قريش لم ينجوا من تأثير القرآن ولكن العزة بالاثم كانت قد اخذتهم فتمادوا في عنادهم وراحوا يقولون على القرآن بما هو منزله عنه وقد ورد ذلك على لسانهم فقال تعالى:(وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملئ عليه بكرة واصيلاً)الفرقان/5.

ولكن،لابد للحق ان يظهر والباطل ان يقهر،فنراهم يعودون ليعترفوا بعظمة القرآن بقولهم انه ليس من كلام البشر وانما تنزيل من رب العالمين.ثم يتمنون لو انزل هذا القرآن على رجل كبير السن من كبرائهم وذلك تأكيد منهم باحقية القرآن وعظمته،وقد تجلى ذلك في القرآن على لسانهم فقال تعالى:(وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)الزخرف/31.

وهنا يبدوا التناقض جليا في تصرفاتهم لانهم ينقضون انفسهم بانفسهم.من جهة يقولون عن القرآن انه اساطير الاولين،ثم يعودون هنا فيتمنون نزوله على احد منهم.ولقد نزلت هاتين الآيتين لتخبر الناس عما كان يفكر به(الوليد بن المغيرة)لانه كان يقول اينزل على محمد واترك انا لبيب قريش وسيدها ويترك ابا مسعود(عمر بن عمير الثقفي)سيد ثقيف ونحن عظيمي القريتين.

وهناك دلائل كثيرة تذكرها كتب السيرة تصور لنا تأثير القرآن في نفوس مشركي قريش واذعانهم له،بحيث كان هذا التأثير ينتزع منهم الاعتراف له والتسليم باحقية مكرهين لامختارين.فهذا عتبة بن ربيعة وكان مقدما في قومه يذهب الى الرسول مرة وقد حدث هذا بعد ان تبينت قريش ان اتباع محمد(ص) يزدون ويكثرون لاسيما بعد ان اسلم حمزة بن عبد المطلب(ع).ذهب اليه وهو جالس وحده في المسجد حتى جلس اليه فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من المكان والنسب والعشيرة وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم مزقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من ابائهم فاسمع مني امورا تنتظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.قال:قل يا ابا الوليد.قال يا ابن اخي ان كنت انما تريد مما جئت

به ما لا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا.وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رثيا⁽¹⁾ تراه لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه.فانه ربما غلب التابع على الرجل يداوى منه.

حتى اذا فرغ عتبة والرسول(ص) يستمع منه قال:اقد فرغت يا ابا الوليد؟ قال نعم.قال:فاسمع مني،قال،بسم الله الرحمن الرحيم(حم.تنزيل من الرحمن الرحيم.كتاب فصلت اياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون.بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم

لايسمعون)السجدة او فصلت/1 . 4 .

فلما سمعها عتبة انصت اليها والقي يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه ثم انتهى الرسول(ص)الى السجدة فسجد ثم قال:قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك،فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله،لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.فلما جلس قالوا ماذا وراءك يا ابا الوليد؟فقال:ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولابالسحر ولابالكهان.يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبا عظيم فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به.فقالوا:سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه.قال:هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

ولم يكن عتبة ابن ربيعة هو اول واخر من سحره القرآن وجذبه.فهذا الوليد بن المغيرة قد افزعه وفود العرب على مكة وقد سمعوا بامر محمد(ص)فبماذا سيواجهونهم،فاشار على قومه ان يجمعوا امرهم ويتفقوا على راي لا يكدب فيه بعضهم بعضا تجاه من يفد اليهم من العرب.

فاجتمعوا حوله ليسمعوا رايه في محمد والقرآن المنزل عليه.ولكنه رفض وقال:بل انتم تقولون.قالوا:نقول كاهن:قال والله ما هو بكاهن.لقد رأينا الكهان فما هو بسجع

(1) الرئي بفتح الراء وهمزة مكسورة وياء مشددة:التابع من الجن وقيل التابع المحبوب من الجن.

الكاهن. فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد راينا الجنون وعرفناه فما هو بتخالجه ولا وسوسته. قالوا نقول شاعر. قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله قريضه ومقبوضه ومبسوطه، رجزه وهزجه فما هو بالشعر.

قالوا: نقول ساحر، قال ما هو بالسحر، لقد راينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا ابا عبد شمس، قال: والله ان لقوله لحلاوة وان

اصله لعذق⁽¹⁾ وان فرعه لجناة⁽²⁾، وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرفت انه باطل. وان اقرب القول فيه ان تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وابيه وبين المرء واخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك.

واخذوا يجلسون في الطرقات خلال موسم الحج ليعترضوا الناس ويحذروهم من محمد(ص) ويذكروا لهم امره.

فانزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة قوله: (ذرني ومن خلقت وحيدا. وجعلت له مالا ممدودا. وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد. كلا انه كان لاياتينا عنيدا. سارهقه صعودا. انه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس ويسر. ثم ادبر واستكبر. فقال ان هذا الاسحر يؤثر. ان هذا الا قول البشر) المدثر/ 11 . 25.

وانزل الله في النفر الذين كانوا مع الوليد بن المغيرة، الذين يصنفون القول في رسول الله وفيما جاء به من عند الله، قوله: (الذين جعلوا القرآن عضين. فوربك لنسالنهم

اجمعين. عما كانوا يعملون) الحجر/ 91 . 92 . 93.

(1) * (العذق) بالفتح النخلة يحملها. (والعذق) بالكسر الكياسة

ينظر: * الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، ط بيروت 1967م، ص 421

(2) (جنى) الثمرة من باب رمى و (أجتناها) بمعنى التقط. قلت وفي الديوان وبعض النسخ من الصحاح (جنى) (الثمره جنى) و (الجنى) ما يجتنى من الشجر. يقال اتانا (بجناة) طيبة. ورُطِبَ جَنِّي حين جُني.

ينظر: * الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، ط بيروت 1967م، ص 114

ان هاتين القصتين تصور لنا مدى الحيرة التي وقع بها مشركو قريش وما كانت تغلي به صدورهم من اثر القرآن فيهم،حيث لايسعهم الا ان يؤمنوا به ولكن اخذتهم العزة بالاثم فراحوا يحاولون ان يجدوا مخرجا مما هم فيه ولكن دون جدوى.

اما الوافدون الى مكة من الخارج،فبالرغم من كل محاولات المشركين وتحذيراتهم المسبقة لهم من مغبة مقابلة الرسول(ص)واتباعه والاستماع اليهم،نرى هؤلاء(اي الوافدين من خارج مكة)لم يستمعوا لتلك التحذيرات،بل العكس من ذلك فتتبار الدعوة المحمدية التي عمادها القرآن الكريم لم يستطع ان يقف امامه من حاول الوقوف بكل ما يملك من امكانات لذلك نراهم(اي المشركين)يلجأوا الى الانتقام من محمد(ص)ومن الضعفاء من اتباعه مما جعل الرسول(ص)ياذن لهم بالهجرة الى بلاد الحبشة فهاجروا بدينهم تخلصا مما كانوا يلاقون.

وكانت هذه اول هجرة بالاسلام وكانوا(11)رجل و(4)نسوة،كان بينهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول(ص)والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف.وكان ذلك في منتصف رجب بعد مبعث الرسول(ص)بخمسة سنوات ولم يكن ابو بكر من ضمن من هاجر الى ارض الحبشة وربما ساعده في ذلك ماكان يتمتع به من مكانة بين قومه بالاضافة الى مركزه المالي والاجتماعي ولكنهم سرعان ماضاقوا به ذرعا لانه رجل بكاء اذا قرا القرآن لايملك نفسه فيبكي ويستبكي،فكان اذا شرع في الصلاة وجهر في قراءة القرآن تجمع حوله الناس والاولاد يستمعون اليه،الامر الذي جعلهم يشددون عليه الضغط حتى لم يعد باستطاعته البقاء في مكة فاستاذن الرسول(ص)في الهجرة فاذن له.

لقد كان تاثير القرآن في مشركي قريش عامّاً، فلم ينج منه كبير ولاصغير وقد تناولهم هذا التأثير على اختلاف درجات عقولهم بل لقد كان في رؤسائهم اشد وفي فصحاءهم وبلغائهم اقوى من عامتهم لانهم ادرى بفنون الكلام واساليبه ولو عرفوا في انفسهم القدرة على مناظرته لما لجأوا الى الاساليب العدوانية التي قابلوا بها الرسول(ص)وصحابته الكرام.

ولما تخاذلوا امام القرآن ولم يتمكنوا من الوقوف تجاهه مع كونهم فرسان ميدان الفصاحة والبلاغة اراد الله سبحانه ان يظهر عجزهم للملا. فانزل آيات التحدي صريحة تقرر اذانهم، ان ياتي احد منهم بمثل هذا القرآن، او بعشرة سور منه او باصغر سورة من سوره. ومنها قوله تعالى (ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون) الطور/33.

(فليأتوا مثله ان كانوا صادقين) الطور/43.

فلما ظهر عجزهم عن ذلك انزل الله تعالى قوله: (ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) هود/13.

والجدير بالاشارة هنا، ان التحدي لم يكن بكل القرآن، بل كان بعشر سور منه، وفي هذا تأكيد منه (سبحانه) للبشر على ان القرآن من عنده لامن غبره، وهو وحده القادر عليه دون بقية مخلوقاته. ولكنهم لم يستطيعوا، وبان عجزهم، فانزل الله تعالى قوله: (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين) البقرة/23.

(فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) البقرة/24.

وفي هذا الموضع نرى الله سبحانه قد تحداهم ان يأتوا بسورة من سوره ولم يخصص اي سورة منه، فيصدق التحدي هنا ان يكون باقصر سورة من سور القرآن القرآن الكريم وهذا دليل واضح على ان القرآن من عند الله وحده لانه تعالى قد تحدى المشركين في عدة مواضع منه. ثم اخبر بعد ذلك بانهم عاجزون على ان يأتوا بمثله او بمثل سورة من سوره وقد صدق الله وعده ونصر عبده فلم يتمكن احد من البشر ولا من غير البشر ان ياتي بمثل هذا القرآن منذ انزله الله تعالى على نبيه محمد (ص) حتى يومنا هذا، بل وحتى قيام الساعة مصداقا لقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الاسراء/88.

ولم يقتصر تأثير القرآن على المشركين من اهل مكة بل تعداهم الى اهل المدينة ايضا.وقد تجلى ذلك بوضوح حينما بعث رسول الله(ص)مصعب بن عمير وعبد الله بن ام مكتوم الى المدينة مع اهل بيعة العقبة الاولى ليبشرا بالاسلام هناك.وكان عماد دعوتهما القرآن الكريم يتلون شيئا منه على من يدعونهم الى الاسلام.وقد كتب الله لهما النجاح في مهمتهما واحداثا ضجة اثارى سعد بن معاذ سيد الاوس فقال لأسيد بن خضير اذهب لهما وانهما عما يقومان به.ولما وصل اليهما ومعالما الغضب على وجهه قال:ما جاء بكما الينا؟.اعتزلنا ان كانت لكما بانفسكما حاجة.فقال له مصعب:أو تجلس فتسمع،فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره.قال:انصفت.ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن.فقال ما احسن هذا الكلام واجمله.كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين ؟قالا:تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي.فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين.ثم قال لهما:ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه،وسأرسله لكما الان.ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا،قال:احلف بالله لقد جاءكم اسيد بن خضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.فلما وقف في النادي قال له سعد:ماذا فعلت؟قال:كلمت الرجلين فوالله مارايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا:نفعل ما احببت،فقام سعد من فوره متوجها الى الرجلين ليستوضح الامر بنفسه فلما وصل اليهما وهو مغضبا فقال له مصعب:أو تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته،وان كرهته عزلنا عنك ما تكره:قال سعد انصفت،ثم ركز حربته وجلس،فعرض عليه الاسلام،وقرا عليه القرآن،قالا:فعرنا والله في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم لاشراقه،ثم قال لهما.كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟قالا:تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين.قال:فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين.ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى قومه ومعه اسيد بن خضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا:نحلف بالله لقد رجع اليكم

سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم، قالوا: سيدنا وفضلنا رأيا قال: فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله قالوا: فوالله ما امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما او مسلمة.

اما اهل الكتاب فلم يكونوا في نجوة من اثر القرآن الكريم فيهم، وقد اخبرنا الله تعالى عن اثر القرآن الكريم في هؤلاء الكتابيين، فقال تعالى: (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امننا فاكثبنا مع الشاهدين) المائدة/83.

وقال تعالى ايضا في موضع آخر (قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا) الاسراء/107 فهؤلاء الكتابيون كانوا اذا سمعوا القرآن يتلى خشعت قلوبهم وفاضت من الدمع عيونهم وخروا من خشيته سجدا لما عرفوا من الحق مما ورد في كتبهم من اشارات ترشد الى مبعث الرسول(ص) والى ماسينزله الله عليه. تلك حالة اهل الكتاب واثر القرآن فيهم كما صورها لنا الله سبحانه وتعالى ومن اصدق من الله حديثا.

وبعد ان بينا موقف العرب المشركين تجاه القرآن الكريم واثره فيهم وفي اهل الكتاب منهم. يجدر بنا الان ان نبين بايجاز ما احدثه القرآن في نفوس الذين استجابوا لندائه فامنوا بمحمد رسول الله(ص) وبما جاء به.

لقد كان اثر القرآن الكريم في نفوس المؤمنين اقوى واشد من اثره في نفوس من تمادى في عناده ولم يؤمن وكنتم في نفسه ما عرف من احقية هذا القرآن وصدق رسالة محمد(ص). وقد كان تاثر المؤمنين بالقرآن من القوة بحيث حملهم على تغيير طباعهم واوزاعهم وترك ما ورثوه عن ابائهم واجدادهم من ديانات وتقاليد وعادات لم يقرها الاسلام. فزينبوا عبادة الاصنام ليعبدوا الله وحده لا شريك له ويؤمنون بمحمد رسول الله ونبوته.

واللافت ان تآثرهم بما جاء به الرسول من آيات بينات، لم يقف عند هذا الحد، بل راحوا يتنافسون فيما بينهم في حفظ القرآن، ويتدبرون آياته ويتادبون بأدبه. وهم بذلك يخرجون للعالم خلقا آخر بعد ان صهرهم القرآن وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى في قرآنه حيث قال: (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فماله من هاد) (الزمر/23).

وبالاضافة الى ما تقدم، فلقد بذل المؤمنون كل غال ونفيس في سبيل الدفاع عن هذا الدين ونشر دعوته، حتى اوصلوها الى اقاصي الارض، وهم بهذا الفعل يصدق عليهم قول الشاعر:

يجود بالنفس ان يظن الجود بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود

واخيرا اقول، شكرا لحسن الاستماع واعتذر عن كل خطأ لغوي او تاريخي حصل سهوا لان الانسان مهما بلغ من درجات العلم والمعرفة لا يستطيع الوصول الى الكمال، فالكمال من صفات الخالق (سبحانه) وحده.

كما واعلن باسمكم جميعا شكري الجزيل لمجلس الكاظمية الثقافي والقائمين عليه من آل الخاقاني وفي المقدمة منهم اخي العزيز ابو علي (محمد بن الشيخ عيسى بن عبد الحميد الخاقاني) لاتاحته الفرصة لي كي اتحدث امامكم من على هذا المنبر الموقر، الذي يعتبر صرحا علميا وثقافيا تقتخر به مدينتنا العزيزة (الكاظمية المقدسة)

مجلس الخاقاني الثقافي
في الكاظمية

قراءة في كتاب الخنيزي

ابو طالب مؤمن قريش

دراسة وتحليل

قراءة في كتاب الخنيزي ابو طالب مؤمن قريش - دراسة وتحليل*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

يبدأ الكتاب بمقدمة كتبت بقلم الاستاذ بولس سلامة يثني فيها على المؤلف وعلى الاسلوب الذي اتبعه من اجل الوصول الى الحقيقة التي اراد من خلالها ان يضع النقاط على الحروف فيما يخص شيخ الابطاح من النبي محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" والدعوة التي جاء بها. فنراه يقول في نهاية كلمته عن الخنيزي ما نصه: (ان المؤلف له من خصائص الاستدلال والقياس والخلوص من المقدمات الى النتائج ما يكفل له النجاح)

بعد المقدمة يأتي عنوان (على العتبة) الذي يورد فيه المؤلف مميزات الحياة العامة للعرب من ايام عبد المطلب بن هاشم مروراً بأيام الدعوة السرية والعننية العامة للعرب ثم الهجرة وصدر الاسلام فالحكم الراشدي والاموي والعباسي وما افرزته تلك الحياة من تداخل وتشابك في المواقف واختلاط بين الالوان جعل التاريخ يقف ذلك الموقف المناهض، حينما يتعرض لحياة ذلك البطل المغوار.

* القيت المحاضرة في مجلس الكاظمية الثقافي "الخاقاني سابقاً" يوم 13/ رمضان / 1423 هـ الموافق يوم الاثنين 18/ 11/ 2002 م . ولقد ادار الجلسة الاستاذ محمد الشيخ عيسى الخاقاني. ولقد القيت المحاضرة مرة ثانية في مجلس اور الثقافي/ بغداد المنصور يوم الخميس الموافق 9 / 6 / 2011م، وقد ادار الندوة الاديب السيد محمد الجابري.

ثم ينتقل المؤلف الى الجزء الاول من الكتاب الذي يتحدث فيه بأسهاب عن حياة شيخ الابطاح وعلاقته بوالده عبد المطلب وكفالاته لابن اخيه بعد وفاة جده عبد المطلب وما شاهده بأمر عينه من دلالات تخص ابن اخيه كان قد اشار اليها جده في حياته وكذلك البعض من الكهنة والرهبان.

ثم الحديث عن موقف شيخ الابطاح وهو في ذمة التاريخ وقد ابدع المؤلف هنا عندما اعطى هذا الموضوع عنوان (الذكر العطر) على لسان الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم"، واهل البيت "عليهم السلام" والصحابه (رض) وآخرين.

نكتفي بهذا المقدار من القراءة ونترك للقارئ الكريم قراءة مادار من حوار بين المؤلف والحديدي ورأي المؤلف برواة الاحاديث الثلاثة والنظرة الفاحصة التي تتناول من خلالها تفسير وتأويل الايات القرآنية (الانعام/25-27، التوبة/113، القصص/56) التي لها علاقة بموضوع البحث، لكي يثبت للقاصي والداني بأن تفسير وتأويل أولئك الموتورين لم يكن سوى تزوير مفتعل وتأويل مختلق، وذلك بعد ان وضع تفسيرهم على مطرقة النقد ، وتأويلهم تحت مجهر التحليل . وهو بهذا الموقف انما ينتصر للحق الذي لا يمكن الا ان يكون منتصراً ما دامت الحياة.

ونحن نعتقد ان المؤلف بموقفه هذا ، انما كان يترجم موقفنا (نحن اتباع مدرسة اهل البيت) الذي يقول: بأن التشيع وكفر ابي طالب، لا يجتمعان: لان القول به تكذيب للائمة الذين يقولون برجحان ايمانه . وكيف يكون شيعياً، من يخالف ائمة المذهب؟ لذلك فأن ايمان ابي طالب يعتبر من الضرورات المذهبية.

عرض محتويات الكتاب:

تمهيد

ونحن اذ نتصدى لقراءة كتاب عبد الله الخنيزي الموسوم (ابو طالب مؤمن قريش - دراسة وتحليل) قراءة متأنية ، نعتقد ان الامانة العلمية والواجب الاخلاقي يفرض علينا الالتزام بالمنهجية التي اتبعها الخنيزي في عرض محتويات الكتاب نصاً وروحاً، احتراماً له وللجهد الكبير الذي بذله والذي كان اشبه بالعاصفة التي كان من تداعياتها اعطاء الاوامر للجهات المختصة البدء بجمع اكبر عدد ممكن من النسخ التي وزعت من الكتاب لحرقها ، ومن ثم اعتقال المؤلف لمحاكمته ، لولا تدخل بعض المرجعيات الدينية والسياسية في حينها لتدارك الموضوع والتريث في تنفيذ الاوامر التي صدرت بحق الكتاب ومؤلفه.

وعود على بدء نقول، ان الخنيزي عندما اقدم على اصدار الكتاب ، انما كان يرغب من وراء ذلك الاصدار ، الوقوف بوجه التيار المنحرف الذي حاول وعلى مدى اربعة عشر قرناً ونيف من السنين ان يطعن بأيمان شيخ الابطح، لا لذنوب اقترفه الا لكونه اولد ذلك الرجل (علي "عليه السلام") الذي ظل يقاتل صناديد قريش حتى قالت (لا اله الا الله) فأستحق عن جدارة ما قيل بحقه يوم احد (لافتى الا علي لاسيف الا ذو الفقار).

ونحن نعتقد ان هذه التوطئة لايمكن لها ان تكون مستوفية للشروط التي كتبت من اجلها الا اذا تناولت ابتداءً الحديث عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط شيخ الابطح بالرسول الاكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" قبل الرسالة وبعدها، مروراً بالمثابات الهامة التي لها علاقة بالموضوع ، لاسيما الشخصية المتميزة لبيضة البلد.

شخصيته:

يعتبر ابو طالب صورة واضحة الخطوط، بارزة المعالم، لماض مشرق الحواشي ، وضّح السنّى، لامع النور ، ففيه من صفات عبد المطلب وجده هاشم واجداده الافذاذ ماجعلت منه تلك الصورة الواضحة الرائعة.

وكما كان ابو طالب نشأ تحت رعايته الرسول الاعظم "صلى الله عليه وآله وسلم" وقضى تحت جناحه شبابه الزاهر وهو اعظم مراحل عمر الانسان حراجه، واشدها فعالية واحساساً وتأثراً.

اذن والحال هذه فقد اجتمعت لابي طالب عظامية شامخة وعصامية ناصعة ازدوجتا فكان ابو طالب كافل محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" اليتيم اولاً ونصير الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" وحاميه والمؤمن برسالته ثانياً فهو شيخ البطحاء وبيضة البلد. ورث من ابيه ملامحه وخصائصه فكان الرجل المسامح بغير طلب والمعطاء بغير منة وانه يتحمل في سبيل ما تفرضه عليه طبيعته ان يثقل كاهله بالدين لنلا يدع معروفاً او خصيصة عريقة قام بها ابوه كانت له من بعده.

قام بعد ابيه بسقاية الحاج وانتهج منهجه فيها، بعد ان حفر زمزم فكان يقذف في الماء التمر والزبيب ليعذب منه المذاق في افواه الحجيج الضاربين في كبد الصحراء فيُنقَعُوا ذلك الظمّ اللاهب.

وان له بالتشريع لدراية ، فنراه يحرم على نفسه شرب الخمر ومقارفة الموبقات وكل ما حوله من ارجاس الشرك وآثام الوسط المنحط ويرتفع بروحيته الى افق واسع رفيع المستوى نقي الجواء على صفاء وطهارة .

فكان اول من سنّ (القسامة) في ام عمر بن علقمة فأقرتها (بعد) السنة النبوية الشريفة.

فما هو الا باقية ابراهيم وسلالة اسماعيل يدعو الله فتهمر السماء بقطراتها وتُفرش الارض بالنماء والخصب.

دلائل:

يقول الامام عبد الواحد السفاقسي:

((ان في شعر ابي طالب هذا دليلاً على انه كان يعرف نبوة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قبل ان يبعث لما اخبره به بحيرى الراهب وغيره من شأنه، مع ماشاهده من احواله. ومعرفة ابي طالب بنبوته "صلى الله عليه وآله وسلم" جاءت في كثير من الاخبار، زيادة على اخذها من شعره)).

يقول ابو طالب:

(ولقد كان ابي يقرأ الكتب جميعاً . ولقد قال ان من صلبي لنبياً ، لوددت اني ادركت ذلك فأمنت به فمن ادركه من ولدي فليؤمن به)
وهناك من الدلائل والبراهين الكثير ولكن فلنأخذ بعضها منها لنعرضه وليس هذا البعض الا كدليل على الكل:

1- نبع الماء :

ذكروا من بين الارهاصات التي سبقت بعثة الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" انه كان مع عمه ابي طالب بذى المجاز (وهو موقع على فرسخ من عرفة، كان سوقاً للجاهلية) اذ عطش ابو طالب وليس ثمة ماء، فذكر لابن اخيه ما الم به من العطش. فما كان منه الا اهوى بعقبه الى الارض او (في رواية) انه ركض (ضرب) صخرة برجله وقال (شيئاً) واذا بالماء يتدفق. فشرب منه الشيخ وعاد فركضها مرة اخرى لتعود سيرتها الاولى.

2- مع العائف (المتكهن بالطير):

ان رجلاً من (لهب) كان عائفاً فأذا ما قدم مكة اتته رجال قريش بغلمانهم لينظر لهم ويعتاف لهم فيهم. وكان ابو طالب من بين الحشد الذي اتاه ومعه الرسول. فنظر العائف للرسول. ثم كان لديه ما شغله عنه . ولما انتهى شاغله حتى قال:

الغلام .. عليّ به

ولما رأى ابو طالب حرص هذا العائف عليه حتى اوجس منه خيفة واحس شيئاً يفرض عليه ان يغييه، فلا تقع عليه هاتان العينان النافذتا البصر البعيدتا النظر. ولم يأبه لصياح العائف:

ويلكم ردوا عليّ الغلام الذي رأيته انفا. فو الله ليكوننّ له شأن.

3- انه مبارك:

شاهد ابو طالب ظاهرة بارزة منذ انحاز الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" الى عائلته بعد وفاة عبد المطلب، فابو طالب وهو المقل من المال كان كثير العيال. ولقد كان هذا الاقلال من جانب وكثرة العيال في الطرف الآخر سبباً فاعلاً لئلا تشبع العائلة ان جلست على المائدة، ان فرادى وان جميعاً. ومتى ضمت الرسول فأنهم ينهضون عنها وهم من الشبع على اكتتاز وفي الطعام فضلة فكان ابو طالب يقول لهم اذا حضر وقت الطعام ولم يجد بينهم ابن اخيه. كما انتم، حتى يأتي ابني.

وان الواحد من بين هؤلاء ليشرب (القعب) من اللبن ، ولكن ابا طالب يأخذ القعب ليبدأ الرسول فيشرب وتشرب العيال جميعاً من هذا القعب ذاته فيقول ابو طالب (انك مبارك).

4- الى الشام: وفي واحدة من رحلاته الى الشام اصطحب ابن اخيه بعد ان سمع منه هذه الكلمات : ياعم الى من تكلني؟ لا اب لي ولا ام . فكان جواب ابي طالب: (والله لا اخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابداً)

وعندما وصل الركب (بصرى) من ارض الشام اراد ان يسترد بالراحة تعب السير وكان هناك راهب يقال له (بحيرى) قد انتهى له علم النصرانية.

واذا بهذا الراهب يطل من صومعته ليشاهد الراكب ليلفت نظره من بين الراكب هذه الغمامة التي تظل واحداً من بين هؤلاء جميعاً واذا استقر بالراكب المكان لفت نظره مرة اخرى من بين هؤلاء ايضاً هذه الشجرة التي تهصرت منها الاغصان فتظل ذلك المستظل بالغمامة قبلئذ وتخصه من بين هؤلاء جميعاً بفيئها وظلالها. فأخذ العجب من ذلك، ولكن سرعان ما تلاشى حينما عادت اليه ذاكرته الى ما بين السطور من كتابه المقدس.

لذلك نراه بعد ان ينزل من صومعته يأمر بطعام يصنع الى الراكب ثم يقول اني صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش فأنا احب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرکم . وبعد اخذ ورد في الكلام نزلوا عند رغبته فأجتمعوا لديه ولم يتخلف من بينهم غير الرسول، فقد كان عند الرجال تحت الشجرة. ولكن وبعد ان طافت من الراهب نظره في القوم لم تقع على ما يشبع نهمه فكان بينه وبينهم حوار: يا بحيري ما تخلف عنك احد، ينبغي له ان يأتيك، الا غلاماً وهو احدث القوم سناً فتخلف في رجالهم.

ولم يتوقف الحوار لولا انه قام من بينهم من احتضن الغلام وجاء به فعادت من بحيري تلك النظرة الغامضة ثم ينظر الى اشياء من جسده نظرة بعيدة ليجد فيها صفات قرأها في الكتاب المقدس تخص هذا الغلام العظيم.

وبعد ان تفرق القوم عن الطعام راح بحيري يسأل الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" عن اشياء يهدف من ورائها ان يطبق علمه ويعمق منه الايمان.

وعاد لابي طالب يسأله:

ما هذا الغلام منك؟

ابني

ما هو بأبئك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حياً

فأنه ابن اخي، فما فعل ابوه؟

مات وامه حبلى به.

صدقت فأرجع بأبن اخيك الى بلده واحذر عليه يهود. فو الله لان رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبيغْنَ هـ شراً، فإنه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده. فعاد ابو طالب وهو اشد ما يكون عليه حذراً. ويحوطه ويغمره بغيض حبه ويحرسه بكل حيطة واحتراس.

انها لدلائل صارخة ليس له ان يخالجه فيها شك او يعترضه ريب. الى جانب ما كان يسمعه من ابيه عبد المطلب ومايشاهده هو من بركة ابن اخيه، ان البركة تفيض من انامله فيشبع الكثير من قليل الطعام. وان الماء يتدفق عذباً رويماً حينما ركض الصخرة برجله في قاحل الصحراء وان الغمامة لتقيه من بين الركب من وهج الشمس حتى اذا استقر بهم المقام رأى الشجرة قد تهصرت منها الاغصان لتظله.

وكل هذه الدلائل الى جانب الصفات والمزايا التي تحفل بها شخصية ابن اخيه من صدق في المقال ورفعة في الافعال ومثالية في الاخلاق وعذوبة في المنطق وفصاحة في اللسان، كل هذا كان يشهده من ابن اخيه الذي لم يكد يخطو من عقده الثاني الا قليلاً.

وكل هذا جميعاً لم يكن يشهد بعضاً منه في غيره من الذي تجمعهم واياء بلد واحد وتربطهم جميعاً عادات في هذه البيئة المنحطة، فلم يعلق به شئ من عاداتهم الدون ولم يشاركه في شئ من خصاله الرفيعة فما وجد فيه شيئاً ينكره عليه.

وما كان هو وحده بالذي لمس هذه الظاهرات من ابن اخيه بل ان مكة كلها لتعرفه (الصادق الامين) وترضى به حكماً، فيقول فتطيع، ويحدث فتصدق، ويأمر فتذعن.

5-زواج:

وفي حفل زواج ابن اخيه يقوم امام قريش وسيد العرب يوم ذاك ويقول (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد(الاصل والمعدن) وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس).

ثم يذكر صفات ابن اخيه الحميدة ليقول فيما بعد (وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم).

وهذه المقالة من ابي طالب نلمس منها ظاهرتين يقرهما ابو طالب:

لقد افتتح مقالته بحمد الله الذي جعلهم من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل فلم تتل منهم الوثنية المنحطة ولم تندسهم بأوضارها فكانوا عنصراً ممتداً وأشعاعه باقية تصل بالنور الاول وتبقى رمزاً ابدياً ودعوة ممتدة للحنيفية البيضاء وان هذه الظاهرة التي امتازوا بها جعلت منهم حصنة البيت الحرام الذي شاده (بأمر من الله) ابوهم الخليل فهم وحدهم سواس الحرم ، وبذلك كانوا حكام الناس غير ان هذا كله ليس الا مقدمة لما بعده.

فراح يشيد بقيمة ابن اخيه المعنوية فهو الراجح الكفة في ميزان القيم والمعنويات وهو بعد هذا سيبلغ ما لم يبلغه اليوم، فله بعد هذا ويقسم بعدئذ بالله وللقسم هنا معناه وقيمه فيما يذهب اليه.

(فله شأن عظيم وخطر جسيم).

وقد اعلن ذلك على الملا وفي هذه المناسبة بالذات ليُقرب منهم هذا الشأن ولئلا يفاجئهم او ليكونوا منه على ارتقاب.

فجر الدعوة:

وقد لمح ابو طالب بعينه فجر ذلك اليوم المنتظر.

فهذا ابن اخيه يذهب لعمة العباس ليقول له (ان الله قد امرني بأظهار الدين) ويطلب منه النصرة. غير ان العباس يقول له: قرب الى عمك ابي طالب فإنه اكبر اعمامك ... ان لا ينصرك.. لا يخذلك، ولا يسلمك.

ويصغي لاختيه العباس وهو يبسط له ماجاء به ابن اخيه وما دار بينهما من حديث فأذا به يقول: ولقد كان ابي يقرأ الكتب جميعاً . ولقد قال ان من صليبي لنبياً ، لوددت اني ادركت ذلك فأمنت به فمن ادركه من ولدي فليؤمن به.

ثم ينهي حديثه آمراً ابن اخيه ببث الدعوة: (اخرج ابن ابي) وهذه نقطة مهمة جداً فلو لم يكن بدعوته مقتنعاً ولصدقها مطمئناً لما كان يقول ما قال ولكننا نشهد منه موقفاً واهناً غير هذا الموقف المشجع.

يوم الانذار:

وفي يوم الانذار كان لابي طالب موقف آخر تجلى فيه عمق الايمان لدعوة ابن اخيه حينما قال له (قم سيدي وتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك فأنت الصادق الصدّيق) فهو لو لم يكن مؤمن بالدعوة مطمئن لصدقها لكان له حديث غير هذا . اذن فالايمن وحده هو الذي فرض على ابي طالب ان يقف موقفه هذا ولا يحيد عنه طيلة حياته.

وهذا موقفاً اخر منه حينما يرى ابنه علياً يصلي خلف الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" فيسأله عن ذلك لسمع منه جواب من اختاره الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" ليكون وصياً له (يا ابي آمن بالله ورسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته) فأجابه ابو طالب: (اما انه لا يدعوك الا الى الخير فألزمه) وماهي الا كلمة تنم عن ايمان مطلق واطمئنان عظيم في قلب قائلها لانه يؤشر من خلالها ان هذه الدعوة ليس الا الى الخير وعلى كل عاقل ان يلزم صاحبها لعله ينال نصيباً من خيره.

انها دليل على ايمان بيضة البلد لانه لو لم يكن كذلك لرأيناه ينهي ابنه علياً عن الانصياع لها وان يرفض ما جاء بها فهذا ابنه وهو اول من يبذل له النصيحة. فلو لم يكن يعرف ان ما جاء به ابن اخيه من السماء لما قال له قولته هذه ولزجره ونهاه وانبه وردعه.

وليس ما ذكرنا هو السطر الاوحد في هذه الصفحة المشرقة من تاريخ ابي طالب بل هناك سطور وسطور نذكر منها ما قاله امير المؤمنين علي "عليه السلام" قوله:

(قال لي ابي : يا بني الزم ابن عمك فأنتك تسلم به من كل بأس آجل او عاجل) ثم قال:

ان الوثيقة في لزوم محمد فأشدد بصحبته علي - يدىكا

وما هذا الايمان الا ايمان باليوم الآخر ليوم توفى كل نفس فيها اجرها وتقدم على فعلها . ومرة اخرى يرى الرسول وهو يصلي وعلي عن يمينه فيقع منه النظر على ابنه جعفر فيهتف به: (صل جناح ابن عمك ، فصلّ عن يساره). وهنا تتطلق حنجرته بهذه الابيات التي يذكر فيها ابنه علياً وجعفرأ وهما ثقتاه فيختارهما لمهمة فضلى الا وهي نصره ابن عمهما.

ان علياً وجعفرأ ثقتي	عند ملم الزمان والنّوب
لاتخذلا، وانصرا ابن عمكما	اخي لامي - من بينهم - وابي
والله لاخذل النبي، ولا	يخذله من بني ذو حسب

وهذه الابيات تحمل بين طياتها وبشكل واضح وضوح الشمس في النهار الاصرار على نصره الدعوة وعدم خذلانها فهو القائل : (والله لا اخذل النبي) ولايتوقف عند هذا فنراه يهتف بأخيه الحمزة - ابي يعلى - ويدعوه لاطهار دين الله وان يصبر على المكروه الذي سيلقاه نتيجة اظهار هذا الدين. وقد صور لنا ابو طالب ذلك في الابيات التالية:

فصبراً ابا يعلى! على دين احمد	وكن مظهراً للدين وفقت صابراً
وحط من اتى بالحق من عند ربه	بصدق وعزم لاتكن حمزاً كافراً
فقد سرتني اذ قلت أنك مؤمن	فكن لرسول الله في الله ناصراً
وناد قريشاً بالذي قد	جهارا وقل ما كان احمد ساحراً

اذن والحال هذه، فهو داعية اسلامية يختار الفرصة المناسبة ليعبر عما يكن صدره ويعرض ما يؤمن به.

وهو بذلك يبدو مسروراً عندما يسمع اخيه الحمزة اني مؤمن بما جاء به ابن اخي ليقول له عليك نصرته وما هي الا نصره الحق للحق من دون نظرة اخرى حتى لو كانت قرابة الدم فالدين قبل كل شئ والعقيدة فوق كل شئ.

ولابد لنا في نهاية هذا الفصل الذي يتحدث عن فجر الدعوة ان نختم حديثنا بما قاله البرزنجي من كلام يتناسب مع ما تحدثنا به.
(تواترت الاخبار: ان ابا طالب كان يحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدقه فيما يقوله ويأمر اولاده كجعفر وعلي بأتباعه ونصرته).

الجهاد:

وهذه صفحة اخرى مشرقة من تاريخ ابي طالب فتلك صفحة الايمان العميق وهذه صفحة الجهاد الصلب والحماية الفذة والبذل والنصيحة في سبيل المبدأ القويم والمعتقد الراسخ فيمنع الرسول من عتاة قريش ويفسح المجال امامه وسيعاً لينشر رسالته وبث دعوته فيحوط ويمنع من آمن بالدعوة من حيف قريش وتعذيبها له لترده لظلمة الشرك بعد ما اهتدى بنور الايمان.

فنشطت الدعوة وكثر المؤمنون بها فجهر الرسول بالدعوة . لذلك ساء قريش ان يعيب محمد اصنامهم التي يعبدون ولم يروا غير ابي طالب ينصفهم من هذا الذي جاءهم بالدين الجديد.

حينذاك مشى نفر من اشراف قريش لابي طالب يشكون اليه ما لاقوه من ابن اخيه. وفي هذه الفترة الحرجة نرى ابو طالب يقف بين تيارين عنيفين كل له اهميته وقوته واندفاعه . فهو يخشى ان يعلنها حرباً مع قومه. كما لا يستطيع خذلان رسالة السماء ولها في عنقه عهد النصره حسب وصية والده الشيخ في رmqه الاخير.

لذلك نراه يجمع امره ويصمم على ما كان يجيش في صدره من ايمان بهذه الدعوة فيقطع حبل الصمت ليقولها قوية مجلجلة : (اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء ابداً).

ثم هتف به منشداً هذه الابيات:

حتى اوسدَ في الترابِ دفيناً
وابشربذاك، وقرَّ منك عيوناً
ولقد صدقت وكنت - ثم - اميناً
من خير اديان البرية ديناً

والله لن يصلو اليك بجمعهم فأصدع
بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني، وعلمت: انك ناصحي
ولقد علمت بأن دين محمدٍ

وهذه الابيات انما يعبر من خلالها عن صورة رائعة زاهية الالوان بارزة الخطوط تعرض لنا ايمانه في لونه الثابت وخطوطه البارزة دون ان تمتد اليه يد بزيف او غرض بتشويهه.

ويستمر الجهاد حتى يصل الى ايام الهجرة الاولى الى الحبشة حيث يكتب ابو طالب ابياتاً الى النجاشي يبدو فيها الداعية الاسلامية الذي يعمل من اجل نشر الاسلام واعتناقه ديناً الاهياً وتصديق صاحب الدعوة رسولاً من السماء حيث يقول:

اتعلم (مَلَكُ الحبش) انَّ محمداً	نبي كموسى والمسيح ابن مريم
اتى بالهدى مثل الذي اتى به	فكلُّ - بأمر الله- يهدي ويعصم
وانكم تتلونونه بـكتابتكم..	بصدق حديثٍ ، لاحديث التَّرجُم
فلا تجعلوا لله نداً ، واسلموا	فأن طريق الحق، ليس بمظلم
وانك ما تأتيك منا ، عصاة	لقصدك، الا ارجعوا بالتكرم

وهذه الابيات يبدو فيها التصديق الشامل لما جاء من عند الله واعتراف بنبوة رسل الله. كل من محمد وعيسى وموسى . فمحمد قد اتى بالهدى كما سبق وان جاء به المسيح والكليم وليس هذا الهدى لديهم كلهم سوى هدى الله. ويدعم ذلك بالبينة التي لايردها المخاطب فلما كان النجاشي مسيحياً فإنه ليحجه بكتابه المقدس (الانجيل) لانه سيجد فيه ما يبشر برسول يأتي من بعد المسيح (اسمه احمد) وهنا نلمس جلياً احاطته بالنصرانية وبعد ذلك يدعوهم لتوحيد الله وان يدعوا للاسلام . فبعد كل هذا يقول البعض ان ابا طالب لم يسلم. وهو يدعو الناس للاسلام . استغفر الله . فلن يقول ذلك الا الضال الذي لا يخشى من قول الزور ولا يأثم من انتحال الباطل.

عند الاحتضار:

وهنا نراه يدير عيناه وقد اخذت جذوة الحياة منهما في الخمود لينبري بصوت خاشع تجلله هيبة الموت وخشوع الشيخوخة ليلقي عليه وصيته المعروفة لعل الله يهدي لدينه من يشاء من وجهاء قريش الذين ممن دعي اليه منهم ومن المقربين (يامعشر

قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع الواسع الباع واعلموا : انكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً الا احرزتموه ولا شرفاً الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب.

واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية (الكعبة) فأني فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطاة صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فأني صلة الرحم : منسأة في الاجل وزيادة في العدد.

واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم.

واني اوصيكم بمحمد خيراً فإنه الامين في قريش والصديق في العرب هو الجامع لكل ما اوصيتكم به. وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن. دونكم يامعشر قريش ابن ابيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة.

والله لايسلك احد سبيله الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة في اجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي). وهذه الوصية ماهي الا قطعة فذة من الايمان الذي لايقبل الشك ولا الريب لانها تفرض علينا الاعتقاد بأيمان قائلها وتبين لنل مذهبه ودينه فكل كلمة فيها نجدها صارخة بالايمان تدل على المعتقد الرسيخ.

نراه يوصيهم بوصايا لا تصدر الا عن مؤمن له احاطة بباطن التشريع وظاهره ومعرفة بأسراره وله عين تخرق حجب المستقبل لتتظر ما سيقع وتتنقل منه صوراً جليلة التقاطيع.

اوصاهم بالكعبة لانها بيت الله وحرمة وتعظيمها من شعائر الله وفي ذلك مرضاة للرب.

ويأمرهم بصلة الارحام لان فيها منسأة في الاجل وزيادة في العدد وينهاهم عن قطعها ففيه الضد مما في صلتها. وهذا ما اكده التشريع الاسلامي حيث يحض على صلة الرحم ولو بالسلام.

وينهاهم عن البغي والعقوق فهما معولا هدم في المجتمع يأتیان على قيم الانسانية. وامرهم بأجابة دعوة الداعي واعطاء السائل فهما يضمنان لهما شرف الحياتين الدنيا والاخرة . ففي الاولى الاسم الباق والثاء الخالد وفي الاخرى الجزاء الاوفى والكفة الراجحة في ميزان الاعمال.

وكل هذه قوانين انسانية وفروض اسلامية جاء بها دين الله الذي جاء به ابن اخيه. وهذا دليل على ان ابا طالب قد استقى من نبع التعاليم وانتهج هذه القوانين على انها دين الله.

وكانت رغبته ان يوصي بها وجهاء قريش في لحظاته الاخيرة ليكون ايمانهم بمحمد هو الخطوة الاولى للتصديق بما جاء به فهذه التعاليم التي جاء بها وكما رأوها تعاليم انسانية وقوانين رفيعة لاينالها النقد. ثم ينتقل الى منهج آخر حيث يقصر وصيته بمحمد الحامل للرسالة العظمى فيقول: أن محمداً هو الامين في قريش وليس الامين من يخون الله وهو الصديق في العرب وليس الصديق بالذي يقول الكذب على الله وان اعترافه له بالصدق والامانة هو اعتراف له بالنبوة والرسالة.

ومحمد هو الجامع لكل الخصال التي اوصاهم بها: فهو المعظم للبيت والوصول للرحم والتارك للبغي والعقوق المجيب لدعوة الداعي والمعطاء للسائل والصديق في العرب و الامين في قريش .

ولم يقف من اعترافه بنوة محمد عند هذا الحد فحسب بل اعقب ذلك بأعتراف اشد وضوحاً يبين عن موقفه من دين ابن اخيه في هذه اللحظة الحرجة وهي خاتمة الاعمال.حيث قال:

((وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن))

وقد اراد من هذه المقولة ان يفهم الجالسين ان محمد قد جاء بأمر والمراد به الرسالة وقد قبله الجنان فأمن به وانكره اللسان فلم يجهر بأقراره لغاية تفرض عليه هذا الموقف ليؤدي رسالته ويؤدي واجبه وينصر الرسالة النصر المؤزر، فقد انكره مخافة

الشنآن (وهو البغض) مع العداوة وسوء الخلق ليستطيع ان يؤدي رسالته والتي تمثلت بالرعاية الكاملة لرسول الاسلام.

وهذه الوصية شاء منها ان تكون عامة لقريش ليعلم من كان يظن بأنه على دينهم انه قد اهتدى بهدي الاسلام واستجاب لدعوة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فينالوا الخير والرشد.

(لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ، وما اتبعتم امره، فأتبعوه ، واعينوه، ترشدوا) " يامعشر بني هاشم اطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا" ثم خص من بني هاشم اربعة منهم ليبدلوا النصره والفداء للرسول"صلى الله عليه وآله وسلم":

اوصي بنصرة نبي الخير اربعةً: ابني علياً وعمّ الخير عباساً....

وحمزةً، الاسد المخشي صولته. وجعفرأ . ان تذودوا دونه الناسا

كونوا. فداءً لكم ، امي وما ولدت في نصر احمد، دون الناس اتراسا

بكل ابيض مصقول عوارضة. تخاله في سواد الليل مقباسا

اذن فليس من العقل ان الذي يدعو لاتباع دعوة محمد وتصديقه واعانته لان دعوته مصدر فلاح ورشد وخير . لم يكن ذلك المتبع المؤمن بالدعوة ومن جاء بها.

وليس من العقل: ان الذي يعترف بالدعوة بالرشد والفلاح والخير، يكون كافراً بها ولا يأخذ بهديها.ولهذا نستطيع القول بان ابا طالب اختتم صفحة حياته المشرقة الناصعة البياض بما تقدم من سطور نيرة ملتهبة بالايمان مضمخة بطيب المعتقد سافرة عن المبدأ.

اختتم صفحة حياته المليئة بالجهاد والتضحية في سبيل الدين الحنيف بكلمات يغمرها الايمان السافر والدعوة الطيبة والوصايا المكرورة لنصرة الرسول وحياطته.

فأي رجل مؤمن هذا؟

واي نصير فذ، وراع امين؟

في ذمة التاريخ:

(بعد الموت)

لقد كان اثر موت ابي طالب في نفس الرسول عميقاً لانه احس بالفراغ الذي سيخلفه عمه بعد حياته.

فقد حدّث (عبيد الله بن ابي رافع) عن علي "عليه السلام" انه لم يكذب يلقى عليه الامام نبأ الفاجعة حتى انهمرت عيناه بالدموع الغزار.

وبعد ان كفكف الدموع نبر بصوت خاشع ورنه حزينة يأمر علياً:

((اذهب فغسله وكفنه وواره - غفر الله له ورحمه))

وهذا دليل آخر على ايمان هذا الشيخ الكريم . فالرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" يأمر علياً بأن يُعَسِّلَ اباه وليس الاسلام بالذي يجيز للمسلم ان يُعَسِّلَ كافراً (ولانظن احداً يخالجه الشك في اسلام علي).

والرسول يستغفر الله لعمه ، يدعو له بالرحمة والغفران ، والنبي شديد على الكافرين بالمؤمنين وحدهم رؤوف رحيم.

وحينما انجز علياً المهمة وحملت جنازة نصير الاسلام عاد علي " عليه السلام " الى الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" ليخبره بذلك . فقام الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" واعترض الجنازة ليشيّع عمه بآيات المديح والاطراء ويفي له بحقه على الرسالة الاسلامية.

((وَصَلْتُكَ رَجَم - ياعم - وَجُزَيْتَ خَيْرًا فَلَقَدْ رَبَيْتَ وَكَفَلْتَ صَغِيرًا ، وَنَصَرْتَ وَآزَرْتَ كَبِيرًا)) وسار مع الجنازة حتى اذا لحد ، وقف عليه وقال: ((اما والله لاستغفرن لك ولاشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان)).

علماً ان الرسول ليس بالذي يشفع في كافر. وهذا دليل آخر على اسلام ابي طالب. ثم يتبع الرسول قولته التأبينية بهذه الندبة الحزينة.

(وا ابتاه وا ابا طالباه وا حزناه عليك يا عماه، كيف اسلوا عنك يامن ربيتني صغيراً واجبتني كبيراً وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد) وهذه الندبة - هي شهادة اخرى صريحة من الرسول على ايمان ابي طالب ((واجبتني كبيراً)) وفي غمرة من غمرات الحزن التي امت بالرسول بعد موت عمه ابي طالب واذا بالملاك "جبريل عليه السلام" يلقي عليه هذا الامر الصادع (اخرج منها " اي مكة" فقد مات نصيرك)

ذكر عطر

اولاً:

على لسان الرسول:

يقول الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" (يحفظ المرء في ولده) ومن اولى من الرسول من تطبيق اقواله على افعاله فنراه مرة يقول لعلي " عليه السلام " : ليس احد احق بمقامي ... لقدمك في الاسلام وقربك مني وصهرك لي، عندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين. وقبل ذلك ما كان من حماية ابيك - ابي طالب - وبلائه عندي، حين نزل القرآن وانا حريص ان ارعى ذلك في ولده ،بعده).

ومن هذا القول يبدو ان ابي طالب كان يتمتع بمنزلة عالية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " لبلائه حين نزول القرآن وهذه الميزة هي التي جعلت الرسول ينظر الى علي "عليه السلام" بنظرة تميزه عن الآخرين ، بحيث يراه احق انساناً بمقامه (وهو مقام النبوة) وبعدها ضمن ميزاته الاخرى:

من قديم سابقته وقربته ومصاهرته له، وييدي اليه حرصه على ان يرعى يد ابي طالب في ولده بعده ليفي بحقه وفضله ويجازيه على عمله الاسمي فليس من هو احق منه بعد كل هذه المميزات (الميزات).

ومرة اخرى يقول لعقيل:

(يا ابا يزيد اني احبك حبين: حباً لقربتك مني. وحباً لما كنت اعلم من حب عمي اياك) ويبدو ان هناك حباً طاعياً من الرسول لعمه ابي طالب بحيث نراه يحب عقيلاً لمساس رحمه به، ويحبه لانه يعلم بالغ حب عمه اليه فهو يرى ان حب عمه لشخص يفرض عليه هو ان يحبه. فمحبوب عمه محبوب لديه والقريب منه قريب اليه.

وهذه شهادة صادقة تدلنا على بالغ حب الرسول لعمه واي حب ارفع درجة من هذا الحب الرفيع الذرى. وفي يوم بدر عندما قطع عتبة بن ربيعة (وقيل شيبه) ساق ابو عبيدة بن الحرث انقض عليه سيفان من سيوف الله وهما (علي والحمزة) فأستقذا صاحبهما ثم احتملاه الى العريش حيث هناك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " واذا بالجريح يقول بصوت مرتعش.

(يارسول الله لو كان ابو طالب حياً لعلم انه قد صدق في قوله):

كذبتُم -وبيت الله- تُخلي محمداً	ولما نطاعن دونه ونناضل!
وننصره ، حتى نصرع حوله	ونذهل عن ابنائنا والحائل

فهاجت برسول الله ذكرى عمه فراح لسانه يلهج بالاستغفار له ولابي عبيدة معاً.
وهذا العباس بن عبد المطلب يسأل الرسول:

يارسول الله: اترجو لابي طالب؟

فما كان من الرسول الا جوابا بلهجة مطمئنة.

(كل الخير ارجو من ربي)

ان هذه الاحاديث تقرض علينا ان نقر بأيمان نصير الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" فهذا هو الرسول لا يذكره الا بعاطر الثناء ولا يجازيه الا بخير الجزاء فيدعو له ربه احر الدعاء. والرسول لا ينساق مع عاطفة ولا يذكر فرداً الا بعمله ان خيراً او شراً.

ولو كان ذكر الرسول واستغفاره لعمه (وهو لم يكن مسلماً) وهذا ما لا يجوز على الرسول بالطبع. لكان قد وقع الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" "واستغفر الله" في ما نهاه الله عنه في عدة آيات:

(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباؤهم او ابناؤهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان) المجادلة/22
اذن فالقرآن الكريم نفى وجود قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وتكون في قلوبهم ذرة من حب لمن يعادي الله ورسوله حتى لو كانت بين هذا المؤمن وذلك الجاحد روابط النسب، التي تشدها او اصر القربى.

وفي الاية 29 من سورة الفتح يقول تعالى : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم).

ثانياً:

على لسان الامام علي:

تمضي الايام بعد وفاة ابي طالب تباعاً فيرى علياً الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" في ضائقة وقد اشتدت عليه الامور وتأزم به الحال فلا يلبث ان يبث الشكوى والالم لفقد عمه الحنون.

ولهذا تطوف بعلي صورة ابيه وتمر به مواقفه من الدين وذبه عنه وحياطته للرسول ومنعته به فتثور به كوامن الوجد الدفين فتسيل منه الدموع في انسكاب وهو يتمتم بهذه الابيات:

ابا طالب! عصمة المستجير!	وغيث المحول ونور الظلم
لقد هـد فقدك اهل الحفاظ،	فصلى عليك ولي النعم
ولفأك ربك رضوانه	فقد كنت للمصطفى خير عم

ومرة كان الامام علي " عليه السلام " في الرحبة والناس حوله: اذ قام اليه رجل ممن وصل الى سمعه سوء القالة وزور الحديث، وقال له:(يا امير المؤمنين انك بالمكان الذي انزلك الله وابوك معذب في النار...) فتتطبع صفحة وجه الامام بالغضب ويجيبه بجواب يكشف له فيه عن كذب هذه القولة والجماعة التي رتبته وروجت لها. (مه !فضّ الله فاك!) والذي بعث محمدا بالحق نبيا! لو شفعَ ابي في كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله...

أ أبي معذب في النار ، وابنه قسيم الجنة والنار..* ان نور ابي طالب يوم القيامة ليطفئ انوار الخلائق الا خمسة انوار " وهنا يقصد الامام،الخمسة اهل الكساء:محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين " . فمن كان بهذه المنزلة الفضلى والدرجة السامقة حتى انه لهو " قسيم الجنة والنار " لا يكون من الفضل ، الا على اكتمال ... وانه لايليق لذلك ، الا من كان من الايمان ذلك العريق الجذور ... لم يُدنس بأدناس الشرك ولا بأوضار الدناءة.

* علي حبه جنة لكل الناس والجنة وصي المصطفى حقا قسيم النار والجنة

وانه لَمِمَّا ينقصه: ان لا يكون ابوه مؤمن القلب ، او ان يكون مدنّس الصفحة بالشرك... فإنه ليعلق به منه ما يُلملم من فضله ويُلاشي من قيمته ويخدش من منزلته.

ومرة اخرى يقول الامام "عليه السلام":

(والله ما عبد ابي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط)

والسؤال هنا... فما كانوا يعبدون؟

(كانوا يُصلُّون الى البيت، على دين ابراهيم "عليه السلام" متمسكين به) وحدّث ابو الطفيل (عامر بن واثلة) عن علي "عليه السلام" (ان ابي حين حضره الموت ، شهدته رسول الله"صلى الله عليه وآله وسلم" فأخبرني عنه بشئ ، خير لي من الدنيا وما فيها).

ومرة اخرى يقول ليوضح السر في كتم ابي طالب ايمانه:

(كان - والله - "ابو طالب" عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتُم ايمانه، مخافة على بني هاشم ان تتابذها قريش).

ومرة يقول:

(ما مات ابو طالب حتى اعطى رسول الله"صلى الله عليه وآله وسلم" من نفسه الرضا) وهذه الاقوال من الامام علي "عليه السلام" في حق ابيه الا شهادات سافرة عن ايمان شيخ الابطح ولو لم يكن كذلك لما تفوه بها امير المؤمنين ، وهو القائل فيه رسول الله"صلى الله عليه وآله وسلم":(علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار).

اذن فالحال هذه لايمكن ان نعزوها الى العاطفة الابوية وحمية الرحم دون ان يكون لها مساس بالواقع وصلة بالحق.

واذا كان هناك ثمة من يحمل اقوال الامام شيئاً من العاطفة فإنه ليطعن نبي الاسلام، حيث اشاد بفضل رجل تتغلب عاطفته على دينه ويفضل رحمه على مبدئه فينساق مع شهوة ليغير حقاً ويحق باطلا.

اذ ان واجبه المقدس ان ينفض يده من ابيه على فرض موته على الشرك ويبرأ منه وهو العدو لله ولايسدل على سواته سترأ فما حق الاب بأعلى من حق الله عليه. وله بسيرة ابيه ابراهيم الخليل "عليه السلام" خير نبراس فيما قص الله عنه: (فلما تبين انه عدو الله تبرأ منه) براءة/14

فليس له ان يوالي عدو الله اذا شاء ان يخلص العبادة لله وحده، ويوثق الصلة بينه وبين الخلاق العظيم وهو ولي النعم. وليس بين المسلمين من يداني علياً ايماناً واسلاماً وطاعة لله ورسوله ، من ضرب المثل الرائع في رسوخ المعتقد والفناء في جنب الله وتقديم الواجب الديني على العاطفة النسبية.

وان التاريخ ليقص علينا موقف عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول من ابيه حيث فاه ابوه بكلمات النفاق في غزوة بني المصطلق فأحدث في صفوف المسلمين الفساد فلا يسمع بذلك ابنه عبد الله وهو اقرب الناس اليه حتى يذهب الى الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" ليقول له: (يا رسول الله بلغني انك تريد قتل ابي فأنت فاعلاً فمرني به فأني احمل اليك رأسه. واخشى ان تأمر غيري بقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل ابي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار).

ولكن رسول الله يريحه من الاتنين فيعفو عن ذلك المنافق من اجل ابنه المؤمن. وهذه حادثة اخرى تدلنا على تغلب العاطفة الدينية على عاطفة الرحم: اذ خرج رجل من اهل الشام يطلب البراز فخرج اليه من يجيبه من اهل العراق ويقتل الرجلان ويشدد الصراع بينهما حتى اعتنق الرجل العراقي ذلك الشامي فيقعا تحت قوائم فرسيهما ويجلس العراقي على صدر الشامي ويكشف المغفر عن وجهه ليجهر عليه. واذا به يكشف عن وجه اخيه لابيه وامه. وفي حينها يسمع اصواتاً تتعالى من حربه وتدعوه (اجهز على الرجل) ولكنه يتأني ويجيب انه اخي ، فيسمع جواب اخر (اتركه) ولكنه لايقنع بذلك فما هو بالذي يقدم عاطفة الدم على واجب الدين وخدمة المبدأ فيجيب بأصرار:

(لا! حتى يأذن لي امير المؤمنين) وعندما يصل الخبر الى امير المؤمنين يعلن الامر الذي هو بمثابة الحد الفاصل لذلك الموقف (دعه) ولو لم يتلق ذلك المجاهد الامر من القائد البار لما دعاه يفلت من سيفه ولاورده حياض الموت. وليس هذا الرجل ومن قبله عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول اكثر تغانياً في سبيل المبدأ ممن قام الاسلام على ساعديه وممن اطاح بسيفه المرهف رؤوساً مشرقة شامخة وهد حصوناً في الشرك لها من القوة والمتانة الكثير الكثير.

وما هو بالذي يخرج عن الحق او يفترق عنه طرفة عين كي يفلت منه اللسان بغير حق ويذكر اباه بغير الواقع الصادق.

فلو لم يكن علي بأيمان ابيه ذلك العليم لما نفى عنه سوء القالة وكان الى جانب الثالبيين.

فأنه اولى بأن يقول الحق ولو على ابيه او نفسه وهو الاولى بعد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بأن يتمسك بما جاء بالقرآن الكريم وينتهي عما نهى عنه. وما علي بالذي يخالف القرآن في نهى او امر.

ومن المناسب جداً ان نتذكر هذه الفقرة من قوله القاها الامام في احد ايام صفين امام العدو والصديق:

(ولقد كنا مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" نقتل آبائنا وابنائنا واخواننا واعمامنا ، ما يزيدنا ذلك الا ايماناً وتسليماً ومضيئاً على امصّ الالم . وجدأً على جهاد العدو والاستقلال بمبارزة الاقران).

وهذه الصورة تكشف لنا عما كان عليه المسلمون من شدة وقوة وصلابة في احقاق الحق وازهاق الباطل حتى لو كان ضحية ذلك الآباء والابناء ، كما وصفهم لنا القرآن الكريم.

ثالثاً

على لسان اهل البيت:

• سأل الامام السجاد واحداً من هؤلاء الذين وصلت الى سمعهم ضوضاء الباطل التي اثرت حول ايمان ابي طالب فكان جواب الامام اشبه بصرخة مهتضم مظلوم مفتري عليه!

(واعجبا كل العجب ايطعنون على ابي طالب؟ وعلى رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ؟ وقد نهاه الله تعالى ان يقر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن. ولايشك احد ان فاطمة بنت اسد "رضي الله عنها" من المؤمنات السابقات فأنها لم تزل تحت ابي طالب حتى مات ابو طالب "رضي الله عنه").

ان قولة الامام هذه تعني ان القول بشرك ابي طالب ليس الا طعن على الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" الذي تهاون في انفاذ ما استته الله في كتابه . وينهى ان يظل امرأة قر في قلبها الايمان جناح رجل لم يطمئن قلبه بنور الايمان.

• وهذا الامام الباقر " عليه السلام" يسأل عن ذلك الحديث المختلق الذي يقول: ان ابا طالب في ضحضاح من نار . فيقول:

(لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في الكفة الاخرى لرجح ايمانه).

ثم يقول: (الم تعلموا من امير المؤمنين علياً " عليه السلام" كان يأمر ان يُحجَّ عن عبد الله وأمنة وابي طالب في حياته ثم اوصى في وصيته بالحج عنهم).

انه يقول: ان لايمان ابي طالب رجحاناً ذاتياً على رجحان الخلق فهو ايمان عارف لا مقلد ... ايمان نصير مكافح .

• اما الامام الصادق " عليه السلام" فيقول في حق جده مما يُدحض التهم الملتصقة به.

فقد اجاب سائلاً قال له:

(ان الناس يزعمون: ان ابا طالب في ضحضاح من نار)

فيقول الامام:

(كذبوا . مابهذا نزل جبرائيل) ثم قال:

ان مثل ابي طالب مثل اصحاب الكهف اسرّوا الايمان واطهروا الشرك فأتاهم الله اجرهم مرتين.وان ابا طالب اسرّ الايمان واطهر الشرك فأتاه الله اجره مرتين . وما خرج من الدنيا حتى انتته البشارة من الله تعالى بالجنة). ثم قال:

(كيف يصفونه بهذا ؟ وقد نزل جبرائيل ليلة مات ابو طالب فقال: يا محمد اخرج من مكة فما لك بها من ناصر بعد ابي طالب).

ان الامام يقول: ان الله قد اتى ابا طالب ضعفي المثوبة والاجر اذ استطاع ان يكتم ايمانه لمّا رأى الايمان هو الاصلح ، فله اجر الايمان واجر الكتم هذا ، فما كل مؤمن بقادر على كتم ما يؤمن به وان كان ذلك في صالح الدعوة.

وانه ليقول ذلك بعد ان مثله بأهل الكهف الذين حكى قصتهم القرآن الكريم.

ومرة يدور حديث بين الامام الصادق " عليه السلام" ويونس بن نباته ، يسأل فيه

الامام : يا يونس.. مايقول الناس في ابي طالب؟((فيجيبه يونس))

هو في ضحضاح من نار، يغلي منها ام رأسه . فيرد عليه الامام!

(كذب اعداء الله ان ابا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً).

ومرة يقول له سائل : انهم يزعمون ان ابا طالب كان كافراً ، فقال:

كذبوا . كيف وهو يقول:

الم تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطّ في اول الكتب

ومرة اخرى يقول : كيف يكون ابا طال كافراً ، وهو يقول:

لقد علموا ان ابننا لا مـكـذبٌ	لدينا ولا يعبا بقوب الاباطل
وابيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمأل اليتامى عصمةً للارامل

يقول الامام كيف يكون كافراً من يعترف للرسول بالنبوة والصدق . ويحدّث الامام

الصادق فيقول:

(كان امير المؤمنين (ع) يعجبه ان يروى شعر ابي طالب وان يدون وقال :تعلموه وعلموه اولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير). وهذا الحديث بالاضافة الى الشهادة السافرة من علي بأيمان ابيه يكشف لنا عن قيمة ابي طالب ومنزلته السامية . فأن الامام علي ليثير اعجابه ان يروى شعر ابي طالب. لذلك فإنه يأمر بتعلمه وتعليمه . فهو يحفل بالعلم الكثير وهو على دين الله وله احاطة ومعرفة بأديان الله.

- وهذا الامام موسى الكاظم " عليه السلام " يقول لـ (دُرست بن ابي منصور) ان ابا طالب (اقر بالنبي وبما جاء به ودفع اليه الوصايا)
- وهذا الامام علي بن موسى الرضا " عليه السلام " يكتب الى ابان بن محمود جواباً على رسالة بعث بها اليه تقول: جُعلت فداك اني قد شككت في اسلام ابي طالب . فما كان من الامام الا ان كتب اليه : (" ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى . ويتبع غير سبيل المؤمنين . نولّه ماتولى وتُصله جهنم وساءت مصيراً". النساء /115

- وبعدها : انك ان لم تقر بأيمان ابي طالب كان مصيرك الى النار). ان جواب الامام الرضا يدل على ان الشك في ايمان ابي طالب يتنافى والايمان بالرسول فأن ايمان ابي طالب من الوضوح والثبوت بحيث لايتسرب اليه شك . ومن كان منه على شك فانه يتعام عن الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وبذلك يكون مصيره الى النار والاكثر من ذلك فأن الشك في ايمان ابي طالب هو ايذاء للرسول الاعظم "صلى الله عليه وآله وسلم" وايذاء الرسول هو الاخر ذنب يستوجب النار لقوله تعالى : (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذاباً مهيناً) الاحزاب/57.

- وفي موضع آخر يقول سبحانه:(والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) التوبة/61
- اما الامام الحسن العسكري فيقول في حديث طويل يسنده لآبائه الاطهار: (ان الله تبارك وتعالى اوحى الى رسوله "صلى الله عليه وآله وسلم" اني قد ايدتك بشيعتين :

شيعة تنصرك سراً، و شيعة تنصرك علانية. فأما التي تنصرك سراً فسيدهم وافضلهم: عمك ابو طالب. واما التي تنصرك علانية فسيدهم وافضلهم ابنه علي بن ابي طالب " عليه السلام".

ثم قال: (وان ابا طالب كؤمن آل فرعون يكتم ايمانه) وهذا الحديث الذي اسنده الامام الى آبائه الاطهار والى جده الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" لانجد احداً يستطيع ان يظن به شيئاً غير الحق فيحمله على حمية النسب ورابطة الرحم بعدما جاء القران بطهارتهم:

(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) الاحزاب/33
وان القائل فيهم (عليهم السلام) مثل هذا القول متناول على مقامهم الذي هو مقام الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" ونائل من قدس الرسالة المحمدية وقداسة رسولها الكريم "صلى الله عليه وآله وسلم"...
رابعاً:

على لسان الصحابة (رضي الله عنهم) وآخرين:

- اننا لنجد بين الصحابة من يشهد لابي طالب بالايمان ويذكره خير الذكر...
- فهذا الخليفة ابو بكر الصديق يقول: (ان ابا طالب ما مات حتى قال : لا اله الا الله محمد رسول الله).
 - وكذلك قال العباس بن عبد المطلب بمثل ما قال ابو بكر.
 - وهذا عبد الله بن العباس يسأله رجل: يا ابن عم رسول الله اخبرني عن ابي طالب هل كان مسلماً؟ فيجيبه وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:
لقد علموا ان ابننا لا مكذبٌ لدينا ولا يعبا بقوب الاباطل
ان ابا طالب كان مثله كمثل اصحاب الكهف حين اسروا الايمان واطهروا الشرك فأتاهم الله اجرهم مرتين.

- وهذا ابو ذر الغفاري "رضي الله عنه" وهو الصحابي الجليل الذي لم يؤثر عليه بريق الذهب ولم يُرهبهُ البطش يقول: (والله الذي لا اله الا هو مامات ابو طالب "رضي الله عنه" حتى اسلم).
- وهذا حسان بن ثابت يقول:

فإذا ندبتم هالكاً فأبكوا الوفيّ اخا الوفيّ

- قال سبط ابن الجوزي :يعني " حمزة و ابا طالب".
- واخيرا وليس آخراً هذه كلمة حق اخرى تتطلق من حنجرة الخليفة العباسي عبد الله المأمون فقد كان يقول : اسلم ابا طالب والله بقوله:

نصرتُ الرسولَ رسولَ الملئِكِ	ببيضِ تلالا ، كلمع البروقِ
اذب واحمي رسولَ الاله	حمايةً حامٍ، عليه شفيقُ
وما إن أدبُ لاعدائِهِ	دبيبَ البكار، حذارِ الفنيقِ ⁰
ولكنْ ازيروْ لهم ساميًّا	كما زار ليئتُ بغيل مضيقِ

(1) البكار جمع بكر : الفتى من الابل
الفنيق: الفحل المكرم لا يؤذى ولا يكرب لكرامته.

الخاتمة:

وهنا اقف لاقول:

هذا هو ابو طالب كفيل المصطفى وعمه وحببيه ونصيره ووالد سيدنا امير المؤمنين
يعسوب الدين اسد الله الغالب علي بن ابي طالب.

ثم اضيف لاقول:

هذا هو الرجل العظيم الذي ربي هذين النيرين فأضاءا في سماء الدنيا والدين.
الى هنا اقف مكتفياً عند هذا الحد، بما قدمت من سيرة عطرة وتراث اصيل، بعد ان
طفت بالعديد من العصور والازمان تاركاً للقارئ الكريم ان يختار الموقف الذي
يجعل منه مدافعاً عن الحق بما يمتلك من ادلة وبراهين ليدحض بها الباطل اذ لا بد
للحق الصريح الواضح ان ينتصر على الباطل المزخرف.⁽¹⁾

(1) الخنيزي، عبد الله شيخ علي ابو طالب، مؤمن قريش " دراسة وتحليل " ط1381، 1هـ - 1961م منشورات دار
مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ص93-283

كلمة أخيرة:

بعد ان انهينا قراءة كتاب الخنيزي ، يمكننا القول انه بكتابه الموسوم (ابو طالب مؤمن قريش) وبما تضمنه من ادلة عقلية ونقلية غاية في الوضوح كان قد قدم للمكتبة العربية والاسلامية خدمة جليلة على قدر كبير من الاهمية ، لانها عالجت مسألة طالما اعبت الكثير من الباحثين ، لاسيما الذين حاولوا البحث فيها (لغاية في نفس يعقوب).

ونحن نعتقد ان الباحث (واعني به الخنيزي) كان جاداً وموفقاً في اختيار الادلة التي يحتاجها البحث. فالحديث عن شيخ الابطح لايمكن ان يكون مفيداً مالم يكن مؤيداً بالادلة العقلية والنقلية التي من شأنها وضع النقاط على الحروف ، والفراغ من هذه القضية التي ظل المعاندون يرددونها طيلة اربعة عشر قرناً من الزمان ، لالشيء الا لكون الشيخ الجليل(ابوطالب) كان قد اولد ذلك البطل المغوار (واعني به علي بن ابي طالب عليه السلام) الذي ظل يقاتل المشركين من قريش وغيرها حتى قالت (لا اله الا الله محمد رسول الله).

محسن العارضي

مجلس الخاقاني الثقافي
الكاظمية المقدسة⁽¹⁾

شذرات* من السيرة العلوية

(1) القيت المحاضرة لأول مرة في مجلس الكاظمية "لآل الخاقاني" الثقافي في شهر تشرين الثاني/2001م وقد ادار الندوة الباحث الاستاذ رفعت مرهون الصفار، ثم القيت مرة ثانية في جمعية النهوض الفكري/الكاظمية يوم الجمعة الموافق 18/حزيران/2011م، وقد ادار الندوة الدكتور عبد العزيز داخل عبد الكريم.
* شذرات وشذور: قطع الذهب تلتقط من معدنه. خرز يفصل به بين الجواهر في النظم. اللؤلؤ الصغيرة.
ينظر: *لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط35، طهران 1996، ص379.

شذرات من سيرة الامام امير المؤمنين اسد الله الغالب علي بن ابي طالب "عليه السلام"

استهلال:

لعله من المفيد جداً ان تتصدر بحثنا الموسوم (شذرات من السيرة العلوية) البعض من غرر الشعر العربي، التي قيلت بحق الامام الوصي (عليه السلام). ونحن نعتقد ان البحث في هذا الميدان قد يكون شاقاً ومضنياً، لان الذي قيل بحق فتى الاسلام كثير جداً، الامر الذي يزيد من صعوبة المفاضلة بين هذه القصيدة او تلك.

ولكننا، ولاهمية الموضوع، آلينا على انفسنا الا ان نبحت وندقق ، ومن دون كلل او ملل، حتى نصل الى الاختيار الذي يتناسب واهمية البحث الذي تصدينا له، فكانت النتيجة ،وبعد جهد جهيد، ان يقع الاختيار على ثلاث قصائد (هي بحق من غرر الشعر العربي الحديث) ، الاولى لشيخ بغداد الراحل أ.د. حسين علي محفوظ (طيب الله ثراه)، والثانية للاستاذ صادق اطيمش، شاعر المجالس الثقافية البغدادية، والثالثة لشهيد الموقف الحر والكلمة الصادقة ، الشاعر علي الرماحي.

النجف

حضرة علي (عليه السلام) حظيرة القدس*

شعر/شيخ بغداد أ.د.حسين علي محفوظ.... 1993/6/25م

هنا تسجدُ الشمسُ عند الصباح
هنا يخفضُ الفرقدان الجناح
تواضعُ للنَّجفِ النيرانُ
عنتُ للترابِ الطهورِ النجومُ
عنتُ للصعيدِ الاعزَّ الوجوهُ
ترابُ تمرغ فيه الزمانُ
صعيدُ اذا طيرته الرياحُ
ترابُ يروغُ حصاهُ الشموسُ هنا
حيدرُ (خاتمِ الاوصياءِ) طوى
الناسَ واديهِ طولَ الدهورِ
ويركعُ عند المساءِ القمرُ
وتجري هنا الشمسُ للمستقرِ
فهذي توارثَ وهذا استسرى
تخزُّ له سجداً والشجرُ
ترتدُ خاشعةً والبرصُ
تُعقرُ فيه الجبين العُصُرُ
درتْ سوافيه كحلَّ البرصِ
وتزري حباته بالدررِ
هنا (صفوة الله) (خير البشر)
وعانق فيه القضاء القدرُ

" جرح.. وشهادة.. وخلود "

"بمناسبة ذكرى جرح واستشهاد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

شعر/ صادق إطميش.... السبت 20/آب/2011م - 19/رمضان/1432هـ

جرحُ برأس الدهر بات شهيدا
سبحان ربِّ العز اعطى عزه
قتلوك غدراً حيث انت لهم كانوا
رؤوساً في قتال سواكم
هي حكمة الباري شهادة شخصكم
حسبك حتى في الممات لانه
ياخير خلق الله بعد رسوله
شهدت جميع السوح سيفك اذ غدا
ياداحي خبير بابها وقلاعها
بدأ التمسك بالولاية حينها
يامفرعي في الفزع يوم حسابنا
مذ كنت حياً كان طبعكم السخا
مابين جرحك والوفاة مكدراً
والارض ليس من السماء بأحسن
والناس حولك في ذهول لما جرى
انت الامام تبينت اسرارهم
والفاعلون تندمأ قد لفهم
قد كنت للاسلام مجد خلوده
كل بحبك تستمد حياته
عفواً (ابا الحسنين) لسنت بقادر
من يوم مولدكم لغاية يومنا

(علي) ان الحق بات شهيدا
لكم واعطى حالتك خلودا
تسقيهم ان واجهوك مبيدا
ومعاك اذناً تخيف أسودا
في بيته وببيته مولودا
ما خص غيرك في الممات سجودا
انت الوصي وافكهم مردودا
امل الكمي اذا اراد وجودا
انت الشفيغ اذا نروم سعودا
وبدا التشيع في الولاء حدودا
بك قد نال تشفعا معهودا
ولك الشفاعة في الحساب صعيدا
وجه السماء وصفوها مفقودا
تبكي عليك وتستعير مزيدا
حتى تبين ما أختفى مشهودا
جاءوا اليك وباعوك وحيدا
حتى تواروا عن مذاك بعيدا
يوم الوفاة مبعلاً صنديدا
عزاً وناكر حيك رعيدا
أن اوفي حقك اذ اقول قصيدا
عجز البيان إذا اراد ورودا

مكرتير
ياي نسخة من
هذه

باب العلم

وصفوه غديراً او كوثر
نعتوه المسك او العنبر
فهو البدر في الظلمات
فالدنيا فيك غدت تزهر
يا باب العلم ويا منهل
يانبع الحق ويا منول
دربك يزهو بالانوار فهناك
نسوا منك الاول داسوا
توصية المختار باعوا
تنبيهات الباري نشروا
غدرأ بين الناس ياويل
عذاب الغدار شلّ الله
ذراعاً طالّت فيك سماء
الكون تعالت ظلت تصرخ

شعر/ علي الرماحي

لابل هو اوفر لابل هو
اعطر وهو الزهر
بالجنات اكثر من اكثر
منهاجك اكمل انت لنا
الافضل نهجك يحلوا
بالافكار وهنا المتأخر
من دون خيار نحو
الاشرار تبعوا الوساس
الخناس في يوم المحشر
منك ونالت بأسمك
نادت خير العمل دون
نفاق اذ لم تتبصر
يمضي للحثف في
ضرب بشف ولهم نفحات

قام المجرم بالمحارب	دون سؤال دون جواب قد
وبسيف بالدم ابتلّ انوار	صرع المصدر اذ
شموسك لاتحجب ونمير	لاتستقطب مهما قد
مياهاك لاينضب فيض	نشر عدل وهدي
وندى للاكوان لانلمسها	للازمان ودعاة للشر .
عند العقرب	

وفيما يلي ترجمة لشهيد الموقف الحر ،والكلمة الصادقة،شاعر الشعب علي الرماحي :

فهو الشاعر الشهيد علي عبد الحسين علوان الياسين الرماحي،تولد 1955م في مدينة الكوفة العلوية.درس في مدرسة هاني بن عروة الابتدائية ثم اكمل دراسته في اعدادية الكوفة وتخرج فيها عام 1972م.اكمل كلية الزراعة/ قسم البستنة في السلیمانية وتخرج فيها عام 1976م.تعيّن مدير بستنة خان النص حتى تم اعتقاله في يوم 1980/7/1م وهو يباشر عمله في الدائرة.

الشاعر علي الرماحي له مساهمة كبيرة في رفد المنبر الحسيني بالقصائد الفصيحة (القريض)وعلى الرغم من انه كتب قصائده في سنوات المنبر الحسيني الاخيرة (في نهاية السبعينات)الا انه عرف لدى جميع من تابع مسيرة الشعر الحسيني لما حملته قصائده من فكر متقد ووعي وتحد واضح للوضع السياسي السائد في نهاية السبعينات مستلهما هذا الموقف من مواقف البطولة بالطف .

يروى عنه انه نقش على جدران السجن وبحجم متر واحد عبارة (ساعدم لاني حسيني)ويروى عنه ايضا،انه لم تمنعه اساليب التعذيب الهمجية من كتابة الشعر فانطلقت قصيدته من عمق الوعي والتحدي ليكتب من داخل الزنزانة :

لا بدّ ان نثور يا صحتي في دربنا ونقتفي المسير

لا بدّ ان نثور ونلتقي مع العدا لقاءنا الاخير

ونحشدُ الجموع ليومها الكبير

وتهتفُ القلوب ويأزف المصير

لا بد ان نثور

وعن بداية الشاعر الشهيد مع الشعر،يقول الاستاذ ناجح الرماحي،(ابو علي)شقيق الشهيد:

كان في طفولته يقرأ القصص في ديوان جدي (علوان الياسين) رحمه الله الذي كان يرتاده الناس، وقد نظم الشعر بابيات بسيطة وهو في السادس الابتدائي، وفي مرحلة الاعدادية كان يلتقي في نادي الموظفين في الكوفة حيث ملتقى المثقفين، وكان يشارك في قصائد بحق اهل البيت (ع) وكان ذلك عام 1970م.

خلال وجوده في الكلية انجز ديوانا كان قد هيئه للطبع بعد التخرج، لكنه لم ير النور بسبب اعتقاله. بعد تخرجه من الكلية كتب عدة قصائد كان اولها بمناسبة استشهاد الامام علي (ع) قال فيها : وصفوه غديرا او كوثر لا بل هو اوفر

نعتوه المسك او العنبر لا بل هو اعطر

وله قصائد: نور عيني يا حسين، يا امير المؤمنين، يا قتيل العبرات، وأخريات، كما له قصائد مشتركة مع الشاعر (عبد الامير المرشد) مثل: راية الثوار، جاهد يا ولدي جاهد.

تميز الشاعر الشهيد بكثرة انتقاده للسلبيات في المجتمع، فضلا عن مواقفه الواضحة والصلابة في ذلك الحين، تغمدته الله برحمته الواسعة، واسكنه فسيح جناته، والهم اهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان، انه سميع مجيب، والعاقبة للمتقين. (1)

المقدمة:

اكاد اعتقد، ان مهمة الكتابة عن اسد الله الغالب علي بن ابي طالب "ع" تعد من المهمات الصعبة، بدليل الحديث النبوي الشريف المروي عن رسول الله (ص) والذي

(1) الدليمي، ستار، جداول مضيئة، الشاعر علي الرماحي، شهيد الموقف الحر والكلمة الصادقة مجلة الكوثر النجفية، العدد (64) 1 . 15 /آيار/ 2003م.

يقول: "لو كان البحر مداد والرياض اقلام والانس كتاب والجن حساب، ما احصوا فضائلك يا ابا الحسن"*

ونحن نعتقد ان الرسول الاكرم(ص) ما كان ليقول الحديث اعلاه، الا ليؤكد حقيقة العجز الذي يعاني منه الانس والجن في هذا الجانب فالاطار العام للحديث الشريف يقول: ان الانس والجن لم ولن يتمكنوا من الوصول الى حقيقة الانسان الذي ادبه رسول الله(ص) فاحسن تاديبه، ورسول الله(ص) اديب الله سبحانه فهو القائل "ص": . أدبني ربي فاحسن تاديبني .

- فهو الرجل الذي عرف علوم الاولين والآخرين، وبهذا يقول النبي الخاتم (ص) بحقه: "انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن اراد الحكمة والمدينة فلياتها من بابها"⁽¹⁾ . وهو الرجل الذي رفع راية الاسلام خفاقة في علومه وجهاده وفي مواقفه منذ ان قال فيه رسول الله (ص): "يا علي انت اخي ووصيي وخليفتي من بعدي. انت مني بمنزلة هارون من موسى، الا انه لا نبي بعدي"⁽²⁾ .
- انه رجل بدأت حياته في بيت الله "الكعبة" حيث ولادته⁽³⁾ وانتهت في بيت الله "مسجد الكوفة" حيث شهادته.

- انه رجل تميزت في شخصيته جميع الفضائل باصولها الاربعة: العلم والعفة والشجاعة والعدالة. ⁽⁴⁾

* اخرج السيد علي الهمداني عن عمر بن الخطاب، رفعه، قال: قال رسول الله(ص) لو ان البحر مداد والرياض اقلام والانس كتاب والجن حساب، ما احصوا فضائلك يا ابا الحسن

ينظر: *الموسوي الشيرازي، سلطان الواعظين السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار ، ط14، لبنان 2006، ص295

⁽¹⁾ (شرف الدين السيد عبد الحسين، المراجعات ، ط3، لبنان 2003، ص164.

ينظر: *فضل الله، المرجع الديني السيد محمد حسن، في رحاب اهل البيت، ج2، ط2001، ص30.

⁽²⁾ (شرف الدين السيد عبد الحسين، المراجعات ، ط3، لبنان 2003، ص121.

ينظر: * الطبرسي، العلامة الخبيرابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب، الاحتجاج، ج2، ط5، ايران 1424 هـ، ص27.

⁽³⁾ (الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار ، ط14، لبنان 2006، ص513.

⁽⁴⁾ عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني، سماحة الشيخ، د. احمد الوائلي، قناة المعارف الفضائية ، يوم 2010/8/3م.

. ماذا اقول عنه،وهو القائل بحقه النبي الخاتم(ص)في جموع المسلمين:"علي اعلمكم وافضلكم واقضاكم والراد عليه كالراد علي،والراد علي كالراد على الله وهو على حد الشرك بالله"⁽¹⁾

- انه الرجل الذي نصر رسول الله(ص)في يوم بدر واحد والخندق وباقي غزوات النبي(ص)التي بلغت "84 غزوة".⁽²⁾

- امه الرجل الذي قال بحقه جبرائيل يوم احد:"لا سيف الا ذو الفقار،ولا فتى الا علي"⁽³⁾وقال بحقه ايضا في يوم ذات السلاسل:"يا محمد اعط الراية لصاحبها،اعط الراية لاسد الله الغالب علي بن ابي طالب".

- انه الرجل الذي نزلت بحقه بعد ان عاد من معركة ذات السلاسل:"والعاديات ضبجا"

. انه الرجل الذي ما قام الاسلام ولا استقام الا بسيفه،انه الرجل الذي نصر الاسلام يوم حنين،يوم فر المسلمون من الميدان بعد ان اعجبتهم كثرتهم⁽⁴⁾
- انه الرجل الذي قتل ابا جرول راجلا يوم حنين،وابا جرول هذا كان يعد بآلاف المقاتلين.

. انه الرجل الذي قال بحقه رسول الله (ص):يا علي انت الذي تحمل لواء الحمد يوم الدين انت العروة الوثقى التي لانفصام لها.

- انه الرجل الذي قال بحقه رسول الله (ص):"يا علي انا وانت من شجرة واحدة،وباقى الناس من شجر شتى".⁽⁵⁾

(1) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار ،ط14،لبنان2006،ص890.

(2)روائع محاضرات الوائلي،اعداد مركز الامام الحسن المجتبي،للتحقيق والدراسات،ط1،بيروت،2008،ص311.

(3) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار ،ط14،لبنان2006،ص415.

(4) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني،سماحة الشيخ،د.احمد الوائلي،قناة المعارف الفضائية ،يوم 2010/8/3م.

ينظر: * الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار ،ط14،لبنان2006،ص416.

(5) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني،سماحة الشيخ،د.احمد الوائلي،قناة المعارف الفضائية ،يوم 2010/8/3م.

انه الرجل الذي قال بحقه رسول الله (ص) في غدير خم: "من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعادي من عاداه"⁽¹⁾

- انه الرجل الذي قال بحقه رسول الله (ص): "ان الله اعطاني ثلاث واشرك عليا فيها: اعطاني الجنة والنار وعلي قسيمهما، واعطاني لواء الحمد وعلي حامله، واعطاني الحوز وعلي ساقيه. واعطى عليا ثلاث ولم يشركني فيها: زوجه فاطمة ولم يزوجني مثلها، واعطاه الحسن والحسين ولم يعطني مثلهما، واولده في الكعبة ولم يولدني هذا المولد"

- انه الرجل الذي احبه الله سبحانه وامر رسوله الكريم (ص) بحبه. فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (ص) اربعة احبهم الله وامرني ان احبهم: علي بن ابي طالب، وسلمان وابو ذر والمقداد.⁽²⁾

وقد ورد الحديث اعلاه بلفظ اخر كما روي الحافظ ابو نعيم في المجلد الاول من حلية الاولياء ص172، وابن حجر المكي في كتاب الصواعق المحرقة في الحديث الخامس من الاحاديث الاربعين التي نقلها في فضائل علي بن ابي طالب قال: عن الترمذي والحاكم، عن بريدة: ان رسول الله (ص) قال: ان الله امرني بحب اربعة واخبرني انه يحبهم، ف قيل من هم؟ قال (ص) علي بن ابي طالب، وابو ذر الغفاري، والمقداد، وسلمان. واخرجه الحاكم في المستدرک (3/130) من طريق الامام احمد بن حنبل عن الاسود بن عامر وعبد الله بن نمير معا وصححه واقره الذهبي في تلخيصه بذيله.⁽³⁾

. وهو القائل بحقه رسول الله (ص):

ينظر: * الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار ، ط14، لبنان2006، ص838.

(1) شرف الدين السيد عبد الحسين، المراجعات ، ط3، لبنان 2003، ص179.

(2) عن محاضرة لخطيب المنبر الحسيني، السيد نصرات القشاقش، قناة الانوار الفضائية، يوم 3/ايلول/2009م.

(3) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار ، ط14، لبنان2006، ص98.

*انما مثلك في امتي كمثل القرآن،وكمثل سورة قل هو الله احد"ومن يقرأ هذه السورة ثلاث مرات كانما ختم القرآن"

*"يا علي من احبك بقلبه ولسانه ويده اكتمل دينه"

*"يا علي ويل لمن سل سيفه عليك،وويل لمن سللت سيفك عليه".

. وهو القائل في آخر ليلة من حياته :

*اللهم أسالك الامان يوم يفر المرء من امه وابيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤويه.

*يا علي...اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقىكا

ولاتجزع من الموت اذا حل بواديكا

*وقبل هذا وذاك كان قد قال للمرادي ابن ملجم:"انك قد تابطت شرا،ولو شئت لاخبرتكم ماذا تريد ان تفعل"⁽¹⁾

وهو الرجل الذي قال عنه الصحابي سعد بن ابي وقاص لمعاوية عندما اراد مننه ان يسبه:"والله لوكانت لي واحدة من ثلاثة لعلي لكانت احب الي مما طلعت عليه الشمس ،لو زوجني رسول الله(ص)فاطمة سيدة النساء،لو كان لي حسن وحسين سيدا شباب اهل الجنة،لو قال لي رسول الله(ص):لاعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ،كرار غير فرارلايرجع حتى يفتح الله على يده".

واخرج الشيخ السيوطي في "تاريخ الخلفاء" وابن حجر في "الصواعق والديلمي في "فردوس الاخبار"باسنادهم عن عمر بن الخطاب انه قال:لقد اعطي علي بن ابي طالب ثلاث خصال،لان تكون لي واحدة منهن احب الي من ان اعطى حمر النعم،فسئل ما هي؟

قال تزويجه فاطمة بنت رسول الله(ص)،وسكناه المسجد مع رسول الله (ص)يحل له فيه ماحل له،واعطاؤه الراية يوم خيبر.⁽²⁾

(1) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني،سماحة الشيخ،د.احمد الوائلي،قناة المعارف الفضائية ،يوم 2010/8/3م.

(2) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار ،ط14،لبنان2006،ص421.419.

وعن عامر بن سعد بن ابي وقاص، عن ابيه قال: امر معاوية بن ابي سفيان سعدا فقال: ما منعك ان تسب ابا تراب، فقال: ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله (ص) فلن اسبه، لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم. سمعت رسول الله (ص) يقول له بعد ان خلفه في بعض مغازيه: "اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانيبي بعدي"

وسمعتة يوم خيبر يقول: "لاعطين الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله (ولما نزلت الاية 16 "من سوء آل عمران): "قلل تعالوا ندعو ابناءنا وابناءكم" دعا رسول الله (ص) علي وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: "اللهم هؤلاء اهلي" ⁽¹⁾ وفي لفظ اخر ورد في الحديث ذي الرقم (33 / 2405) من صحيح مسلم ص 1024 عن سهل عن ابيه عن ابي هريرة، ان رسول الله (ص) قال يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه، واعطاها علي، وقال: "امشي ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله، على ماذا اقاتل الناس. قال: قاتلهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله، فاذا فعلوا ذلك منعوا منك دماؤهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله".

- انه الرجل الذي كان يحمل الجراب على كتفيه دائما، ليعطي الارامل والايتام والفقراء والمساكين ما يحتاجون من الطعام، لابل ليطعمهم بيديه، ليدخل الفرحة والسرور في نفوسهم ويقول لهم: كلوا واسالوا الله ان يعفو عن علي بن ابي طالب.

. انه الرجل الذي عرف بابي الارامل والايتام.

. انه الرجل الذي اصبح اهل الكوفة جميعا، ايتاما باستشهاده.

. انه الرجل الذي قال في آخر ليلة من حياته: اللهم بارك لي في الموت.

ينظر: *الطبرسي، العلامة الخبير ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب، الاحتجاج، ج2، ط5، ايران 1424 هـ. ص25.

(1) النيسابوري، الامام ابن الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ط1، بيروت 2000م، ص1042.

. انه الرجل الذي قال بحقه جبرائيل، يوم ضربه المرادي ابن ملجم: تهدمت والله اركان الهدى، قتل علي المرتضى، قتل اشقى الاشقياء .

. انه الرجل الذي قال حينما ضربه المرادي ابن ملجم : "قزت ورب الكعبة"⁽¹⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

"الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله

واوائك هم الفائزون"التوبة/20

هذا هو امير المؤمنين اسد الله الغالب علي بن ابي طالب (ع) معجزة الانسانية وسيد البلغاء بعد رسول الله (ص). وكما قلنا آنفا، فالتصدي لمهمة الكتابة عنه تعد مهمة كبرى، لانها لا يمكن ان تكون مستوفية لشروطها مالم تتناول مهمة التعريف بشخصيته المتميزة، وفضائله (التي اعيت من حاول حصرها)، وسبقه في الاسلام، فضلا عن دوره في تثبيت اركانه.

اخيرا اقول لقد كتبنا هذه المقدمة التمهيدية وكلنا امل بانها سوف تشفع لنا عند سيدنا ومولانا امير المؤمنين اسد الله الغالب علي بن ابي طالب (ع). لاننا تجاوزنا، وحاولنا ان نكتب عنه، وهو الرجل الذي عجزت اقلام العلماء والكتاب والمفكرين، عن ان تقيه ولو جزءا من حقه على الانسانية جمعاء .

ولكي يكون البحث الموسوم "شذرات من السيرة العلوية" على جانب كبير من الدقة، توزعت موضوعاته الى خمسة محاور، هي:

- 1 . المحور الاول: يتناول محطات مختارة من حياة امير المؤمنين الشريفة.
- 2 . المحور الثاني: يتناول بعض المزايا التي انفرد بها دون غيره.
- 3 . المحور الثالث: يتناول البعض من وصاياه الى خاصته من ولده وعماله.
- 4 . المحور الرابع: يتناول مختارات من بديع ما قاله.
- 5 . المحور الخامس: تناول ثلاثة موضوعات على قدر كبير من الاهمية وهي:

(1) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني، سماحة الشيخ، د. احمد الوائلي، قناة المعارف الفضائية، يوم 2010/8/3م.

*الاول: منهجية الامام علي(ع) في تربية وتعليم المجتمع.

*الثاني: الامام علي والحرية.

*الثالث: الامام علي والمجتمع الدولي.

ادعو الله جل في علاه، ان يتقبل مني هذا القليل، بحق حجته على الارض، الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب"عليه السلام"ليكون لي شفيعا يوم الدين.

1 . المحور الاول

محطات مختارة من حياة امير المؤمنين الشريفة:

اولا: ولادته

اكثر الروايات تقول ان ولادته بعد عام الفيل بثلاثين عاما. وهذا يعني ان عمره الشريف يوم نزول الوحي على الرسول الاكرم(ص)عشر سنوات، وبذلك يكون عمره الشريف يوم هاجر بالفواطم(فاطمة بنت الرسول"ص"فاطمة بنت اسد، فاطمة بنت الحمزة)من مكة الى المدينة"23"عاما، ويوم انتقال الرسول الاكرم(ص)الى الرفيق الاعلى"33"عاما.

استشهد سنة "40" للهجرة، عن عمر يناهز الثالثة والستين بضربة حسام غادرة من المرادي عبد الرحمن بن ملجم، وهو يؤدي صلاة الفجر ليلة التاسع عشر من رمضان في مسجد الكوفة.

ثانيا: نشاته

كان الامام علي(ع) اصغر ابناء ابويه، واكبر منه جعفر وعقيل وطالب، وبين كل واحد منهم واخيه عشر سنين، وكان عقيل احب هؤلاء الاخوة الى ابيه ولما اصاب القحط قريشا وأهاب الرسول(ص) بعميه الحمزة والعباس ان يحملوا ثقل ابي طالب في تلك الازمة، جاءوه وسالوه ان يدفع اليهم ولده ليكفوه امرهم، فقال: دعوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم فاخذ العباس طالبا، واخذ حمزة جعفرا، واخذ النبي(ص) عليا كما هو مشهور، فعوضه ايثار النبي(ص) بالحب عن ايثار ابيه (1)

ثالثا: نسبه

المشهور عن علي امير المؤمنين(ع) انه كان اول هاشمي من ابوين هاشميين. فاجتمعت له خلاصة الصفات التي اشتهرت بها هذه الاسرة الكريمة، وتقاربت سماتها وملامحها في كثير من اعلامها، وهي في جملتها: النبيل والذكاء والمروءة والشجاعة. (2)

ولقد اشار الامام زين العابدين علي بن الحسين(ع) الى ذلك في خطبته التي القاها في مجلس يزيد اوائل عام "61" للهجرة، حيث قال: اعطينا ستا وفضلنا بسبع:

(1) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص9.

ينظر: * الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط14، لبنان 2006، ص370.369.

(2) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص9.

اعطينا: العلم والحلم، والفصاحة والسماحة، والشجاعة، والحب في قلوب المؤمنين.
وفضلنا بسبع: فمننا المختار، ومننا الصديق، ومننا الطيار، ومننا اسد الله واسد
الرسول (ص)، ومننا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومننا سبطا هذه الامة، وسيدا
شباب اهل الجنة.⁽¹⁾

فهو ابن ابي طالب "عبد مناف" بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي
بن كلاب.

وامه فاطمة بنت اسد بن بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.
وقيل ان اسمه الذي اختارته له امه: حيدر باسم ابيها اسد، والحيدة هو الاسد، ثم غيره
ابوه فسماه عليا، وبه عرف واشتهر بعد ذلك.⁽²⁾

رابعا: القابه

. الانزع: فهو يشبه الاسد لان شعره مسترسل على الجانبين وقليل في المقدمة كما هو
الاسد.

- البطين: "العظيم البطن" والبطين ايضا "البعيد" يقال "شأؤ بطين" وهو كذلك خلقه وليس
نتيجة الاكل، حتى يكون من الشبع على اكتناز، فيقال عنه "عَظُمَ َ بطنه من
الشبع".

خامسا: كنيته

. احب الكنى الى نفسه "ابو تراب" فهي الكنية التي كنّاها بها رسول الله (ص)⁽³⁾،

(1) الحائري، جعفر عباس، بلاغة الامام علي بن الحسين، تحقيق المجمع العالمي لاهل البيت، ط1، قم 1423هـ،
ص98

ينظر: *مقتل الحسين (ع) ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء، المشهور بـ، مقتل ابي مخنف، ط النجف، ص135.

(2) العقاد، عباس محمود، عبقريّة الامام علي، دار الهلال 1970، ص9.

(3) النيسابوري، الامام ابن الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ط1، بيروت 2000م، ص1042.

وابو الحسن، وابو الريحانتين، وابو السبطين.

. وقد عرف بالقظيم: لانه كان يقظم من يرمي رسول الله(ص) من اهل مكة بالحجارة في بداية الدعوة، اما من انفه او اذنه او يده، الامر الذي وضع حدا لعدوانية المشركين، بحيث لم يجرؤ احدٌ منهم، مهما كان مركزه الاجتماعي، على فعل ذلك مع الرسول الاكرم(ص) فيما بعد.⁽¹⁾

سادسا: شجاعته

. اشتهر عنه انه لم يصارع احدا الاصرعه، ولم يبارز احدا الا قتله، ويصيح الصيحة فتتخلع لها قلوب الشجعان.⁽²⁾

لايهاب قرنا من الاقران بالغا ما بلغ من الصولة ورهبة الموت، واجترأ وهو فتى ناشئ على عمر بن عبد ود العامري "فارس الجزيرة العربية" الذي كان يقوم بالف رجل عند اصحابه وعند اعدائه.⁽³⁾

وما هي الا مبارزة ثار غبارها فما انجلى الا عن عمر صريعا وعلي يجأر بالتكبير، فكانت اخت عمر بن عبد ود تقول على سبيل التاسي بعد موته:⁽⁴⁾

لو كان قاتل عمر غير قاتله بكيته ابدأ ما دمت في الابد

لكن قاتله من لانظير له وكان يدعى ابوه بيضة البلد

سابعا: مروءته

اما مروءته فكانت اندر بين ذوي المروءة من شجاعته بين الشجعان. فابى على جنده ان يقتلوا مدبرا او يجهزوا على جريح او يكشفوا سترا او ياخذوا مالا. صلى في وقعة الجمل على القتلى من اصحابه واعدائه على السواء.

(1) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني، سماحة الشيخ، د. احمد الوائلي، قناة المعارف الفضائية، يوم 2010/8/3م.

(2) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص10.

(3) نفسه ص11، 17.

(4) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص12.

. ظفر بعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وهم الد أعدائه فعفى عنهم.

ظفر بـ "عمر بن العاص" وهو اخطر عليه من جيش ذي عدة فاعرض عنه وتركه ينجوا بحياته حين كشف عن سواته انقاء لضربته.

. لم يمنع الماء عن جند معاوية مثلما منعه عن جنده اول مرة.

. زار ام المؤمنين "السيدة عائشة" بعد واقعة الجمل.

. رثى طلحة الذي خلع بيعته وجمع الجموع لحربه، رثاء محزون يفيض كلامه بالالم والمودة.

. نهى اهله واصحابه ان يمثلوا بقاتله وان يقتلوا احدا غيره.

. اوصى اتباعه ان لا يقتلوا الخوارج الذين شقوا صفوفه وفسدوا عليه امره وكانوا شرا عليه من معاوية وجنده، لانه راهم مخلصين وان كانوا مخطئين وعلى خطئهم مصريين.⁽¹⁾

ثامنا: الثقة والاعتزاز بالنفس

وتقترن بالشجاعة، ولا سيما شجاعة الشجعان، صفة لازمة لها متممة لعملها، قلما تتفصل عنها، وكانها والشجاعة، اشبه شئ بالنضح للماء، او الاشعاع بالنور، الا وهي صفة الثقة والاعتزاز بالنفس، ولا سيما في مواقف النزال.⁽²⁾ هذه الثقة البعيدة كل البعد عن الزهو المكروه بدليل الحديث الذي دار بين الرسول الاكرم (ص) والزبير بن العوام "في بني غنيم" عندما راى الزبير عليا يحيي رسول الله (ص) فقال الزبير: لا يدع ابن ابي طالب زهوه. فرد عليه رسول الله (ص) انه ليس به زهو، ولتقاتلنه وانت له ظالم⁽³⁾.

(1) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص 14 . 15 . 24.

ينظر: * الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط 14، لبنان 2006، ص 468 . 469.

* روائع محاضرات الوائلي، اعداد مركز الامام الحسن المجتبى، للتحقيق والدراسات، ط 1، بيروت، ص 329.

(2) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص 15 . 16.

(3) نفسه، ص 17.

ومن شواهد هذه الثقة بالنفس، انه حملها من ميدان الشجاعة الى ميدان العلم والبراي حين كان يقول "سلوني قبل ان تفقدوني"، فوالذي نفسي بيده لاتسالوني في شئ فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتظل مائة الا انباتكم بناعقها وسائقها، ومناخ راكبها ومحط رحالها"⁽¹⁾.

وفي لفظ اخر رواه القندروزي في الينابيع في الباب"14" ان عليا كان يقول "سلوني عن اسرار الغيوب فاني وارث علوم الانبياء والمرسلين" ونقل عنه قبل هذا في الباب نفسه، قوله: "سلوني قبل ان تفقدوني فلأنا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض.... الخ"

ونقل القندروزي في الباب عن مسند الامام احمد ومناقب موفق بن احمد الخوارزمي بسنديهما عن سعيد ابن المسيب قال: "لم يكن احد من الصحابة يقول: سلوني الا علي بن ابي طالب. ورواه عنه ابن حجر في الصواعق ايضا"⁽²⁾

2 . المحور الثاني:

المزايا التي انفرد بها دون غيره

- ولد الامام "ع" في بيت الله "الكعبة" وقد انفرد بذلك فليس قبله احد وليس بعده احد"⁽³⁾ واستشهد بضربة حسام غادرة في بيت الله "مسجد الكوفة" وهو يؤدي صلاة الفجر ليلة التاسع عشر من رمضان المبارك عام "40" للهجرة.

- وهو بولادة داخل الكعبة وتكريم الله لوجهه عن سجوده لاصنامها، كاد ان يولد مسلما، بل لقد ولد مسلما على التحقيق اذا نحن نظرنا الى ميلاد العقيدة والروح لانه

(1) العقاد، عباس محمود، عقبة الامام علي، دار الهلال 1970، ص18.

ينظر: * فضل الله، المرجع الديني السيد محمد حسن، في رحاب اهل البيت، ج2، ط2001، ص34.

(2) الموسوي الشيرازي، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص1127 . 1128.

(3) روائع محاضرات الوائلي، اعداد مركز الامام الحسن المجتبي، للتحقيق والدراسات، ط1، بيروت، ص318.

ينظر: * الموسوي الشيرازي، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص967.

فتح عينه على الاسلام ولم يعرف قط عبادة الاصنام،فهو قد تربى في البيت التي خرجت منه الدعوة الاسلامية ،وعرف العبادة من صلاة النبي الاكرم(ص)وزوجه الطاهرة،قبل ان يعرفها من صلاة ابيه وامه.

واذا ما علمنا ان النبي(ص)كان يتعبد في بيته عبادة الاسلام قبل الدعوة بفترة غير قصيرة،فليس ما يمنع عليا والحال هذه ان يالف تلك العبادة في طفولته الباكرة،التي تواصلت فيما بعد وبلغت اوجها حين اقترنت بالرضا بها بعد ان بلغ السن التي تؤهله لكي يعرف فيها معنى العبادة ،وذلك بعد ان ملأ الدين الجديد قلبه الذي لم ينازعه فيه منازع من عقيدة سابقة ،ولم يخالطه ما يكدر صفاءه ويرجع به الى الورا.

فهو بحق المسلم الخالص على سجيته المثلى⁽¹⁾وان الدين الجديد لم يعرف قط اصدق اسلاما منه ولا اعمق نفاذا فيه،اسلام رجل اتيح له ان يتتلمذ لربه ويتربى في حجر نبيه ويصبح اماما للمقتدين من بعده.⁽²⁾

ومن شواهد ما ذكرنا انه كان يقول لمن كانوا يرجمونه بالمروق:"ما اعرف احدا من هذه الامة عبد الله بعد نبينا غيري، عبدت الله قبل ان يعبداه احد من هذه الامة تسع سنين"⁽³⁾.

اول من امن بدعوة الرسول الاكرم(ص)من الذكور مثلما كانت ام المؤمنين خديجة،اول من آمنت من النساء⁽⁴⁾علما ان دعوة الرسول(ص)له للاسلام كانت بامر من الله سبحانه.وعن عمر بن الخطاب قال:كنت انا وابو بكر وابو عبيدة

(1) العقاد،عباس محمود،عقريّة الامام علي،دار الهلال1970،ص19 . 20 ، 29 . 30

ينظر: * الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار،ط14،لبنان،ص303.

(2) العقاد،عباس محمود،عقريّة الامام علي،دار الهلال1970،ص35.

(3) العقاد،عباس محمود،عقريّة الامام علي،دار الهلال1970،ص18.

(4) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار،ط14،لبنان،ص372.

وجماعة، اذ ضرب النبي(ص) منكب علي فقال: "يا علي انت اول المؤمنين ايماناً، واولهم اسلاماً، وانت مني بمنزلة هارون من موسى" (1)

- اول اذن تسمع الوحي بعد النبي الاكرم(ص) لانه كان يجاور النبي(ص) في غار حراء (2) وقد قال "ع" لقد سمعت رنة الوحي، وقبلها قال الرسول(ص): انك لتسمع الوحي معي، ولم يسمعه غيرك، ولكنك ليس نبي وانك لعلی خير .

. اجاب على رسول الله(ص) عندما كان يسال عن نصير بعبارة "انا نصيرك" (3)

. نام في فراش النبي(ص) ليلة الهجرة، وقد علم ما تاتمر به مكة بقتل الراقد على ذلك الفراش (4) وبذلك يكون اول فدائي في الاسلام. وقد نزل في ذلك قرآن (5) "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد" البقرة/207

. عندما آخى الرسول(ص) بين المهاجرين والانصار اختار علياً لنفسه (6)

- تصدى لعمر بن عبد ود العامري مرة بعد مرة والنبي(ص) يجلسه ويحذره العاقبة التي حذرها فرسان العرب من غير تحذير. (7)

- تصدق بالخاتم وهو يصلي فنزل فيه قرآن (8) "انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون" المائدة/55

- قال فيه رسول الله(ص) حديث المنزلة "انت مني بمنزلة هارون من موسى، الا انه لانبى بعدي" (9) فعن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه

(1) نفسه، ص372 ، 381.

(2) روائع محاضرات الوائلي، اعداد مركز الامام الحسن المجتبي، للتحقيق والدراسات، ط1، بيروت، ص319.

(3) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص17

(4) نفسه، ص17.

(5) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص394.

(6) نفسه، ص783.

(7) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص17 . 18.

(8) شرف الدين ، السيد عبد الحسين، المراجعات، ط3، لبنان 2003، ص154.

ينظر: * الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص176 ، 471.

(9) شرف الدين ، السيد عبد الحسين، المراجعات، ط3، لبنان 2003، ص139.

انه قال ،قال رسول الله(ص)لعلي:"انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لاني بعدي".

والحديث اعلاه ورد في باب"من فضائل علي بن ابي طالب"من صحيح مسلم تسلسل 30. (2404)،ص1041.

- قال عنه رسول الله (ص):"انا مدينة العلم وعلي بابها،فمن اراد العلم فلياتي الباب"⁽¹⁾

- وقال فيه الرسول الاكرم (ص) عندما التقى ابو بكر،وكان الرسول(ص)في حينها يحمل الحسن والحسين(ع)على كتفيه،حيث قال ابو بكر:"نعم الجمل جملكما"فاجاب الرسول(ص):"ونعم الراكبان هما،وابوهما خير منهما"⁽²⁾وهو(ص)القائل عنهما في موضع اخر"الحسن والحسين امامان ان قاما وان قعدا"،"الحسن والحسين سيديا شباب اهل الجنة"⁽³⁾

- وصي الرسول(ص)فقد روي عن الصحابي الجليل(الاحنف بن قيس)(رض) انه وقف في المسجد النبوي الشريف،وقال،ايها الناس اني سمعت رسول الله(ص) في هذا المكان يقول لعلي بن ابي طالب:انت خليفتي من بعدي ووصيي في الدنيا والاخرة*.

. حبه جنة للمؤمنين،وقد انشد في ذلك،الوزير صاحب بن عباد قائلا:

علي حبه جنة لكل الناس والجنة

(1) نفسه،ص209

(2) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني سماحة الشيخ،د.احمد الوائلي،قناة المعارف الفضائية،يوم2011/7/5

(3) الطبرسي، العلامة الخبير ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب،الاحتجاج،ج2،ط5،ايران1424هـ. ص47.

ينظر: * مؤسسة البلاغ،نفحات من السيرة،عرض موجز لسيرة الرسول(ص)واهل بيته(ع)،ط2010،ص93.

* والحديث اعلاه اخرج الصدوق في امانيه ايضا بلفظ آخر عن ام سلمة،قال فيه رسول الله(ص):"يا ام سلمة

اسمعي واشهدي،هذا علي بن ابي طالب وصيي وخليفتي من بعدي،وقاضي عدتي،والذاذد عن حوضي"

ينظر: * شرف الدين،السيد عبد الحسين،المراجعات،ط3،لبنان2003،ص204.

وصي المصطفى حقا قسيم النار والجنة⁽¹⁾

وفي قراءة اخرى:

علي حبه جنة امام الانس والجنة

وصي المصطفى حقا قسيم النار والجنة

- وفي وقعة بدر الكبرى كان نصيبه من قتلى المشركين النصف، والنصف الاخر لعموم المسلمين المشاركين في المعركة.

كان من المع الذين ثبتوا مع رسول الله (ص) في اشد المواقف خطورة ، لاسيما وقعتي بدر وحنين. ولان دوره مميز في معارك المسلمين الاولى "لاسيما معركة احد" التي ظل يضرب فيها خراطيم قريش حتى سمع النداء في السماء "لا سيف الا ذو الفقار، لا فتى الا علي"⁽²⁾

. قال فيه الخليفة ابو بكر : اقبلوني اقبلوني! فلست بخيركم وعلي فيكم.

. قال فيه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر. وقال ايضا: لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن . وقال في مناسبة اخرى: لا يفتين احد في المسجد وعلي حاضر.⁽³⁾

. وقال فيه الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز: ما علمنا ان احدا من هذه الامة بعد رسول الله (ص) ازهد من علي بن ابي طالب، ما وضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة.⁽⁴⁾

(1) وفي المناقب" عن جابر بن عبد الله قال لقد سمعت رسول الله (ص) يقول، في علي خصالا لو كانت واحدة منها في رجل اكتفى بها فضلا وشرفا: "علي قسيم الجنة والنار".

ينظر: * الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص392، 501.

(2) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص412.

(3) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص399 . 401.

(4) نفسه، ص978.

ينظر: * العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص20.

- ومن الصفات التي اتفق عليها خصومه وانصاره: "بلاغته وعلمه وفطنته وزهده" وتفرقوا فيما عدا ذلك من رأيه في علاج الامور ، ودهائه في سياسة الرجال⁽¹⁾ وقد اجاب عن ذلك بنفسه حينما قال : "والله ما معاوية بادهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من ادهى الناس"⁽²⁾

. ومن مثله، وهو القائل فيه رسول الله(ص) في غزوة خيبر: "لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"

. ومن مثله وهو نفس رسول الله(ص)، حيث نزل في ذلك قرآن: "من حاجك من بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندعوا ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين"⁽³⁾ آل عمران/61

والاية الكريمة آفة الذكر ، كانت قد نزلت عند ذهاب الرسول(ص) الى مباحلة وفد نصارى نجران، وبصحبه "علي وفاطمة والحسن والحسين"

. ومن مثله وقد خصه رسول الله (ص) بالقرابة فهو ابن عم رسول الله حيث نزل في ذلك قرآن : "قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى" الشورى/23.

. قيل من القربى يا رسول الله. قال: "علي وفاطمة والحسن والحسين"⁽⁴⁾

ومن مثله وهو ثاني اصحاب الكساء بعد رسول الله(ص) من اهل البيت حيث نزل في ذلك قرآن: "انما ليريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم

(1) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص21.

(2) نفسه، ص22.

(3) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار، ط14، لبنان ، ص391 ، 494.

(4) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار، ط14، لبنان ، ص335.

ينظر: *الكليني الرازي، المحدث الخبير ثقة الاسلام، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، ممج1، طابيران 1404 هـ . ص328.

*الطبرسي العلامة الخبير ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب، الاحتجاج، ج2، ط5، ايران 1424 هـ . ص 120

*فضل الله، المرجع الديني السيد محمد حسن، في رحاب اهل البيت، ج2، ط2001، ص30.

تطهيراً" الحزاب/33، قيل من هم اهل البيت يا رسول الله قال(ص): "علي وفاطمة والحسن والحسين" (1)

وقد ورد "في باب فضائل اهل البيت" الحديث ذي الرقم (2404/61) من صحيح مسلم، ص1409، ان الرسول الاكرم(ص) قرأ اية التطهير عندما ادخل "علي وفاطمة والحسن والحسين" تحت المزمط المرحل من شعر اسود.

وتقول الروايات المعتبرة عن النبي(ص) انه ظل ستة اشهر من بعد نزول اية التطهير يمر كل يوم على دار "علي وفاطمة" وينادي: "السلام عليكم يا اهل البيت". وفي هذا يقول الامام الشافعي "رحمه الله": (2)

يا آل بيت رسول الله حاكم
فرض من الله في القرآن انزله
كفاكم من عظيم الشان انكم
من لم يصلي عليكم لاصلاة له
- ومن مثله وقد روي عن الاصمغ بن نباتة، انه قال: عندما ضرب الامام سمعنا صوتاً يقول: تهدمت والله اركان الهدى، انفصمت والله العروة الوثقى، قتل اتقى الاتقياء، قتله اشقى الاشقياء. (3)

ومن مثله وقد اعتق من كد يمينه "1000 مملوك" عبد". (4)
اشترك في جميع غزوات الرسول(ص) والبالغة "84" غزوة الا واحدة "تنبوك" اشترك في بعض احداثها لان الرسول(ص) كاد استخلفه على المدينة. ولكن الامام(ع) ابي الا ان يكون مع المجاهدين، فخاطب الرسول(ص) قائلاً: اتخلفني يا رسول الله على النساء

(1) شرف الدين، السيد عبد الحسين، المراجعات، ط3، لبنان 2003، ص128.

ينظر: * الموسوي الشيرازي، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص262.
* الطبرسي، العلامة الخبير ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب، الاحتجاج، ج2، ط5، ايران 1424 هـ. ص

* الكليني الرازي، المحدث الخبير ثقة الاسلام، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، مج1، طيران 1404 هـ ص327.

(2) شرف الدين، السيد عبد الحسين، المراجعات، ط3، لبنان 2003، ص34، 128.

ينظر: * الموسوي الشيرازي، السيد محمد ليلي بيشاور... مناظرات وحوار، ط14، لبنان، ص126.

(3) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني، سماحة الشيخ، د. احمد الوائلي، قناة المعارف الفضائية، يوم 2010/8/3 م.

(4) روائع محاضرات الوائلي، اعداد مركز الامام الحسن المجتبي، للتحقيق والدراسات، ط1، بيروت، ص357.

والاطفال. فاجابه الرسول(ص) بما يتناسب ومكانته قائلاً، في حديث المنزلة: "يا علي الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لاني بعدي".⁽¹⁾
وقد ورد في باب "من فضائل علي بن ابي طالب" في صحيح مسلم، ص 1042، الحديث ذي الرقم (31/000) عن الحكم عن مصعب بن سعد بن ابي وقاص عن سعد بن ابي وقاص، قال: خلف رسول الله(ص) علي بن ابي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: "اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير انه لاني بعدي".

. ترك اربعة عشر كتاباً، كانت وما زالت مرجعاً لعموم المسلمين، اذ لا يمكن الاستغناء عنها في تفسير ما يتعلق بالدين و الدنيا، لاسيما ما ورد من احكام في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. المتداول منها: ⁽²⁾

- 1 . مصحف فاطمة: وهو تفسير للقرآن وليس هو القرآن.
- 2 . كتاب القضاء: وهو مجموع القضايا التي قضى بها على ذكة القضاء في مسجد الكوفة وغيره.
- 3 . الاحكام الفقهية: وهي مجموع الفتاوى التي كان يستفتى فيها ويجيب عليها.
- 4 . الجفر: وهو جلد جدي مدبوغ مكتوب فيه بعض الملاحم وما سيحدث خلال الزمان.
- 5 . صحيفة الدولة: وقد كتب فيها احوال بني العباس ودولتهم وما سبقها وما جرى فيها.
- 6 . نهج البلاغة: ويتضمن مجموعة خطب الامام التي جمعها الشريف الرضي، وشرحها ابن ابي الحديد المعتزلي، والشيخ محمد عبدة.
- 7 . جنة الاسماء: وهو الذي شرحه الغزلي.

(1) الموسوي الشيرازي ، السيد محمد ليلي بيشاور...مناظرات وحوار، ط14، لبنان ، ص 247 ، 335.

(2) روائع محاضرات الوائلي، اعداد مركز الامام الحسن المجتبى، للتحقيق والدراسات، ط1، بيروت، ص 353 . 358.

ينظر: * الكليني الرازي، المحدث الخبير ثقة الاسلام، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، مج1، ط ايران 1404 هـ ص 264

8 . الجامعة.

. لقد سبق زمانه في كل ما طرحه من افكار،فهو :

* اول من وضع اسس مبدا"التكافل الاجتماعي الذي جاء به الاسلام موضع التطبيق،ويبدو ذلك واضحا من خلال ما روي عنه ايام خلافته (ع)وهو يتفقد احياء الكوفة،اذ شاهد شيخا كبيرا يجلس على قارعة الطريق ويسال الناس"يتكفف"واذا به"ع"يلتفت الى من معه (بما فيهم خازن بيت المال وقتئذ عبد الله بن ابي رافع) ويقول لهم:مالي ارى هذا؟واشار على الشيخ.فاجابه احدهم قائلا:يا امير المؤمنين هو نصراني،"وقد شخصه من خلال الصليب المعلق على صدره"فرد عليه الامام(ع)باستغراب!بكلمة"وان"ثم قال قولته المشهورة:"اشتغلتموه حتى اتعبتموه ثم تركتموه يتكفف".وكانى به يقول:ان هذا الذي رايت، لايمكن ان يكون في دولة الاسلام.اصرفوا له ما يكفيه من بيت مال المسلمين.⁽¹⁾

* اول من وضع اسس مبدا"اصلاح الكبار"الذي جاء به الاسلام موضع التطبيق،وذلك يبدوا واضحا من خلال هياة السجون التي كانت قائمة ايام خلافته"من جذوع النخل وسعفه"وذلك بتوجيه منه(ع)في الوقت الذي يجب ان يكون بناءها محصنا.وعندما احس برغبة اصحابه بالاستفسار عن ذلك،اجابهم قائلا:ان الهدف من العقوبة في الاسلام هو اصلاح النفوس،بحيث تلتزم الطريق القويم،ولايعود اصحابها الى ارتكاب ما يوجب العقوبة.وعلى هذا الاساس،فعندما يوضع المخالف في هكذا مكان وهو مقتنع اصلا بما يجب ان يقع عليه من عقاب،لذنب ارتكبه،فلا حاجة والحال هذه،من تحصين السجون،بعد ان استطاع اصحاب الشأن من اصلاح النفوس"الحديث اعلاه مضمونا وليس نصا".علما ان هذه السجون موجودة في الوقت الحاضر في العالم الغربي،تحت اسم"السجون الطوعية"يذهب اليها مرتكب الجريمة طوعا،بعد تحديد مدة الحكم ليقضيها فيها دون رقيب.⁽²⁾

(1) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني،سماحة الشيخ،د.احمد الوائلي،قناة المعارف الفضائية ،يوم 2010/8/3م.

(2) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني،سماحة الشيخ،د.احمد الوائلي،قناة المعارف الفضائية ،يوم 2010/8/3م.

* اول من وضع مبدا العدالة الاجتماعية التي جاء بها الاسلام موضع التطبيق العملي ايام خلافته (ع) ويبدوا ذلك واضحا من خلال ما روي عنه، انه رفع شعار الزم به جميع الولاة والعمال الذين استعملهم ليكون دليل عملهم مع عموم المسلمين وبدون استثناء. والمبدا هو: "ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء، فما جاع فقير الا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك".⁽¹⁾

* اول من التزم بمبدا "المساواة" بين الناس في العطاء "بصرف النظر عن مواقعهم الاجتماعية وصلة قرابتهم بهذا الطرف او ذاك من اعلام الاسلام، بالرغم من كل الاعتراضات القوية التي جوبه بها منذ ان وضع هذا المبدأ موضع التطبيق. فكان بحق اول من سار على نهج الرسول الاكرم (ص) التزاما منه بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة⁽²⁾

والجدير ذكره في هذا الصدد، انتظام الصفات والمزايا التي ذكرنا والتي ينفرد بها دون غيره "في نسق موصول: فهو رجل شجاع لانه قوي، وصادق لانه شجاع، وزاهد مستقيم لانه صادق".⁽³⁾

صورة مجملة:

لقد تجلت هذه الصورة في الكلمات التي انفرد بها دون غيره، فمن كلماته التي لم يقلها احد غيره، كلمته في خطاب الدنيا، فهو القائل مخاطبا الدنيا: "يا دنيا غري غري... غري غري" وانها لاكثر من كلمة واكثر من دعاء.

فقد خلق الامام علي (ع) وفي كل خليقة من خلائقه اجترأ على الدنيا، على ضرب من ضروب الاجترأ. خلق شجاعا بالغا في الشجاعة، وزاهدا عظيم الزهد، ودارسا محبا للحقيقة يتحررها حيث اهتدى اليها، والشجاع جريء على الدنيا لانه لا يبالي

(1) عبدة، الشيخ محمد، شرح نهج البلاغة للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ج4، بيروت 1963، ص631

(2) روائع محاضرات الوائلي، اعداد مركز الامام الحسن المجتبي، للتحقيق والدراسات، ط1، بيروت، ص341.

(3) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص22.

الحياة، والزاهد جريء على الدنيا لانه لا يبالي النعيم، وطالب الحقيقة جريء على الدنيا لانها طريق عنده الى غاية من وراءها.

فاني مصير لهذا الرجل غير الشهادة في زمن لم يعرف بطارئ من الطوارئ كما عرف بالاقبال على الدنيا؟...

فهو مستشهد لامحالة ولو مات على سريريه.. فان الانسان قد يعيش عيشة الشهداء، ولا يلزم بعد ذلك ان يموت ميتة الشهداء..

وقد لزمته آية الشهادة في كل قسمة كتبت له، وكل حركة سعى اليها او سعت اليه..

فمن آيات الشهادة ان يساق الى الخلافة، ولا حيلة له في اجتنابها

ومن آيات الشهادة ان يساق اليها في ساعة الفصل بينها وبين الملك، وتقوم الحوائل كلها بينه وبينها قبل الاوان...

ومن آيات الشهادة ان يساق اليها، ولا حيلة له في تحقيق اغراضها ولا في الخروج من مأزقها

ومن آيات الشهادة ان يبطل بانصاره اشد من بليته باعدائه، ولا حيلة في تبديل اولئك الانصار..

ومن آيات الشهادة الا تغره الدنيا، وقد غرت حوله كل الناس... فهو شهيد، شهد، شهيد...

خرج الى الدنيا والشهادة مكتوبة على جبينه، وخرج منها والشهادة مكتوبة على ذلك الجبين بضربة حسام..

وصورته المجلدة لا تشق على مصور ولا على متفرس، لانها صورة المجاهد في سبيل الله بيده وقلبه وعقله، او صورة الشهيد..

لقد كان له رأي عالم، وفطنة حكيم ومشورة مدبر. لقد ولد كما علمنا في الكعبة وضرب كما علمنا في المسجد.. فاية بداية ونهاية اشبه بالحياة التي بينهما من تلك البداية وتلك النهاية.⁽¹⁾

3. المحور الثالث:

بعض وصاياه الى خاصته من ولده وعماله.

- من كلام له بعد ان ضربه ابن ملجم بسيف مسموم الى اولياء دمه، يحذرهم فيه من المثلة ويقول لهم: "يا بني عبد المطلب .. لا الفينكم تخوضون في دماء المسلمين تقولون قتل امير المؤمنين، قتل امير المؤمنين.. الا لا يقتلن احد الا قاتلي" ثم اردف قائلاً "انظر يا حسن! ان انا مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة .. ولا يمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله(ص) يقول: "اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور"⁽²⁾.
- من وصية له لولده الحسن السبط(ع)

(1) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص 148 . 150 .

(2) العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، دار الهلال 1970، ص 81.

ينظر: * روائع محاضرات الوائلي، اعداد مركز الامام الحسن المجتبى، للتحقيق والدراسات، ط1، بيروت، ص 361.

"يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ،فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك
واكره له ما تكره لها،ولا تظلم كما لاتحب ان تظلم.ولاتقل ما لاتعلم وان قل ما تعلم
،ولاتقل ما لاتحب ان يقال لك"(1)

"واكرم عشيرتك،فانهم جناحك الذي به تطير،واصلك الذي اليه تصير،ويدك التي بها
تصول"(2)

. ومن كتاب له الى الاشر النخعي(رحمه الله)عامله على مصر:(3)
"اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته،فان الله يذل كل جبار ويهين
كل مختال"

"وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل، واجمعها لرضا الرعية"
"ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء"
"واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الالبعض"

"ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيته في نفسك،ممن لاتضيق به الامور ولا
تمككه الخصوم ولا يتماذى في الزلة".(محكان:عسر الخلق.لجوج،الزلة:السقطة في
الخطأ).

"ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين واهل
البؤس والزمنى".(البؤسى:شدة الفقر،الزمنى:اي العاهة).

"والزم الحق من لزمه من القريب او البعيد،وكن في ذلك صابرا محتسبا"
"واياك والاعجاب بنفسك،واياك والمن على رعيته باحسانك او التزيذ فيما كان من
فعلك"

(1) عبدة،الشيخ محمد،شرح نهج البلاغة للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب،ج3،بيروت1963،ص480.

(2) نفسه،489 . 490.

(3) عبدة،الشيخ محمد،شرح نهج البلاغة للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب،ج3،بيروت1963،ص519 . 538.

4 . المحور الرابع:

مختارات من بديع ما قاله.

* "نعم القرين الرضا، والعلم وراثته كريمة، والآداب حلل مُجَدَّدة، والفكر مرآة صافية" ⁽¹⁾

* "لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالادب، ولا ظهير كالمشاورة" ⁽²⁾

* "إذا تم العقل نقص الكلام" ⁽³⁾

* "من ترك قول . لا ادري . اصببت مقاتله" ⁽⁴⁾

* "اوضع العلم ما وُقِفَ على اللسان، وارفعه ما ظهر في الجوارح والاركان" ⁽⁵⁾

(1) عبدة، الشيخ محمد، شرح نهج البلاغة للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ج3، بيروت 1963، ص565

(2) نفسه، ص575

(3) نفسه، ص576

(4) نفسه، ص578

(5) نفسه، ص580

*"توقوا البرد في اوله، وتلقوه في آخره، فانه يفعل في الابدان، كفعله في الاشجار، اوله يحرق وآخره يورق"(1)

*"كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء العلم، فانه يتسع"(2)

*"وسئل عن الايمان فقال: "الايمان معرفة بالقلب، واقرار باللسان، وعمل بالاركان".(3)

*"وقال(ع): "ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك"(4)

*"ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند من تُقْطِرُهُ"(5)

*"لاتظن بكلمة خرجت من احد سوء، وانت تجد لها في الخير محتملا"

*"الفكر مرآة صافية، والاعتبار منذر ناضح، وكفى ادبا لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك"(6)

*"من فاته حَسَبُ نفسه لم ينفعه حسب ابائه"(7)

*"وقال(ع) وقد جاءه نعي الاشتهر(رحمه الله): "مالكٌ وما مالكٌ. والله لو كان جبلا لكان فندا . الفند بكسر الفاء، الجبل العظيم . ولو كان حجرا لكان صلدا، لا يرتقيه الحافر، ولا يوفي عليه الطائر"(8)

*"ما المجاهد الشهيد في سبيل الله باعظم اجرا ممن قدر فعف: لكاد العفيف ان يكون ملكا من الملائكة"(9)

(1) نفسه، ص589

(2) نفسه، ص604

(3) نفسه، ص607

(4) نفسه، ص632

(5) نفسه، ص635

(6) عبدة، الشيخ محمد، شرح نهج البلاغة للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ج3، بيروت 1963، ص638

(7) نفسه، ص646

(8) نفسه، ص656

(9) نفسه، ص662

المحور الخامس:

اولا:

منهجية الامام علي(ع) في تربية وتعليم المجتمع!

المرتكزات والوسائل*

يمكن القول، ان الامام علي(ع) ومنذ انتقال الرسول الاكرم(ص) الى الرفيق الاعلى وحتى توليه الخلافة بعد مقتل عثمان(رض)، كان قد اعتمد لمنهجه التعليمي والتربوي للمجتمع الاسلامي مرتكزات محددة غاية في الاهمية، نذكر منها ماله علاقة بالظروف الاستثنائية التي احاطت بالبلاد بفعل الغزو الامريكي في 2003/4/9م، لعلها تنفع الذين تصدوا للمسؤولية واعلنوا غير مرة انهم كانوا وما زالوا يعملون من اجل المصالح العليا للعراق وشعبه.

فلقد كان الامام علي(ع) يعمل على تثقيف الناس بالاسلام ويبدو ذلك واضحا من خطب نهج البلاغة، حيث كان يستفيد من كل المناسبات لتوعية الناس بكل قضايا

* فضل الله المرجع الديني السيد محمد حسين، في رحاب اهل البيت، ج1، دار التوحيد 1418 هـ، ص152. 185.

الساحة، فكان الحاكم الذي يريد ان يرفع المستوى الثقافي لشعبه، وليس الحاكم الذي يريد ان يستثير عواطف شعبه ليربطه به. وهذه مسؤولية المسؤولين في الساحة الاسلامية، اذ عليهم ان يثقفوا الامة في كل ما تحتاجه من ثقافة سياسية او اجتماعية او دينية، لان الله فرض على كل عالم يملك علم الاسلام ويدرك حاجة الناس، ان يلاحق الناس ليعلم، يقتحم عليهم بيوتهم ليعلمهم، وينتھز كل الفرص في ذلك ليرفع مستواهم، ولا سيما في المواقع التي يتحرك فيها اهل البدع واهل الكفر والضلالة.

وقد اولى الامام علي(ع) العلم اهمية خاصة ومن مصاديق ذلك حديثه مع الصحابي الجليل(الكميل بن زياد) اذ قال له: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك، وانت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق. علما ان الامام(ع) لم يتوقف عند هذا الامر، بل حدد للناس قيمة الانسان فقال، قيمة كل امرئ ما يحسنه. فضلا عن تفكيره الدائم لتعليم الناس، فنراه يردد دوما عبارة: سلوني قبل ان تفقدوني. ذلك لانه يريد ان ينشر الوعي في حياة الناس.

وبالاضافة الى ما تقدم، فلقد كان الامام علي(ع):

- لا يريد ان يرتفع به الناس عما هو في نفسه، لذلك نراه يقول للمتزلف من الذين ينافقون بمدحه(وهو يعرف انه لا يعتقد فيه ذلك): انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.

. لا يشجع الناس على ان يحبوه فوق الحد، بل كان يتواضع لله سبحانه وتعالى.
. يدعو الناس الى ان يحاسبوه وينتقدوه وهو الامام المعصوم، لانه يريد ان يعود الامة على ان تنتقد قياداتها وعلى ان تحاسبها، وذلك من خلال مصارحته للناس بالحقيقة لاسيما عندما كانوا يتحدثون اليه بذلك، فكان يقول لهم: لاتظنون بي استئثار لحق يقال لي او عدل يعرض عليّ، فان من استئثار الحق ان يقال له والعدل ان يعرض عليه كان العمل بهما عليه اثقل.

- لا يحارب احدا كونه معارضا، بل انه اعطى معارضيه الحرية في ان يسالوا ويعارضوا، ولكن عندما يسيئون الى النظام فانه يتدخل، وقد روي ان احد الخوارج كان جالس في مجلس علي(ع) وهو يتحدث، فقال الخارجي: قاتله الله كافرا ما افقعه. فوثب القوم ليقتلوه، فقال لهم الامام(ع): رويدا، انما هو سب بسبب، او عفو عن ذنب.

- يلتزم حكم الله في مسائله الخاصة، فكانت حياته التزام بالحق بكل ما لكلمة الحق من معنى، والتزاما بالاسلام بكل ما يحتاجه الاسلام من دعم وقوة، والتزاما بالله في كل اموره

- يريد ادارة امور المسلمين بمسؤولية لامهادنة فيها، وهو الذي يقول: الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه.

- لا يعترف بالطبقية في الحكم، ويرى الشريف والضعيف سواء امام الحق، وقد تعلم ذلك من رسول الله(ص) الذي يقول: انما هلك من كان قبلكم، انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه، واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد.

- لا ينسى الله في اشد الاوقات حراجه، ففي ليلة الهرير وهي اشد الليالي في معركة صفين افتقده اصحابه وخافوا ان يكون قد اصابه سوء، فأروه وقد اعتزل بين الصفين وهو يصلي، قالوا له يا امير المؤمنين اهذا وقت صلاة ؟ قال: علام قاتلناهم.

يردد دائما: *لا تخلقوا اولادكم باخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم.

*لا تكن عَبْدَ غيرك وقد خلقك الله حرا.

اما وصيته(ع) الى ولديه الحسن والحسين(عليهما السلام) بعد ان ضربه المرادي ابن ملجم(وهما الامامان المعصومان، فالوصية بطبيعة الحال كانت من خلالهما الى عموم المسلمين)تضمنت المبادئ التالية:

اوصيكمما بتقوى الله، وقولا الحق، واعملا للاجر، وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً. اوصيكمما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم.

ثانياً:

الامام علي(ع)والحرية:ولمعرفة عظمة الامام علي(ع)في تطبيقاته لمبدأ الحرية نذكر مثالا واحداً على سبيل المثال لا الحصر،يتعلق بحرية الاعداء الذين كانوا يمثلون الخطر الاكبر على خلافته العلوية. ونعني بهؤلاء الاعداء"الخوارج"الذين شقوا صفوفه وفسدوا عليه امره،وكانوا شرا عليه من معاوية وجنده.⁽¹⁾ ولكنه، وبالرغم من كل ذلك الخطر الذي كانوا يمثلونه فقد تركهم يتحركون بحرية لترويج ما يعتقدون به من افكار،فضلا عن استمرار العطاء المخصص لمن يستحق منهم ذلك العطاء من بيت مال المسلمين،موضحاً ذلك لمن حاول الاعتراض بقوله:"لا اقاتلهم حتى يقاتلوني.وسيفعلون"⁽²⁾ وزاد على ذلك بان اوصى اتباعه"الا يقاتلوا . الخوارج . لانه رآهم مخلصين وان كانوا مخطئين وعلى خطئهم مصرين"⁽³⁾

(1) العقاد،عباس محمود،عقريّة الامام علي،دار الهلال1970،ص15.

(2) نفسه،ص13.

(3) نفسه،ص15

وبالاجمال، فكأن لسان حاله يقول: "مازال هؤلاء لم يرفعوا السلاح في وجه الدولة ولم يسببوا ضررا للمسلمين في اموالهم واعراضهم وارواحهم. اذن والحال هذه، لهم الحرية الكاملة في التعبير عن الراي . التي كفلها الاسلام . كما لغيرهم. الا اذا تصرفوا خلاف ذلك، ورفعوا السلاح في وجه الدولة، فسوف يطالهم القانون كما طال غيرهم"*

ثالثا:

الامام علي(ع) والمجتمع الدولي: (1) تكريما لامير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) اصدرت الامم المتحدة في العام 2002م تقريراً باللغة الانكليزية بـ"160" صفحة اعده برنامج الامم المتحدة الانمائي الخاص بحقوق الانسان وتحسين البيئة والمعيشة والتعليم، حيث تم فيه اتخاذ الامام علي(ع) من قبل المجتمع الدولي شخصية مميزة ومثلاً اعلى في اشاعة العدالة والراي الآخر واحترام حقوق الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين وتطوير المعرفة والعلوم وتأسيس الدولة على اساس التسامح والخير والتعددية وعدم خنق الحريات العامة.

وقد تضمن التقرير مقتطفات من وصايا امير المؤمنين(ع) الموجودة في نهج البلاغة التي يوصي بها عماله وقادة جنده، حيث يذكر التقرير ان هذه الوصايا الرائعة تعد مفخرة لنشر العدالة وتطوير المعرفة واحترام حقوق الانسان. وشدد التقرير الدولي على ان تاخذ الدول العربية بهذه الوصايا في برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، لانها لاتزال بعيدة عن عالم الديمقراطية ومنع تمثيل السكان

* وهذا مضمون كلام الامام علي(ع) وليس نصاً، لذا وجب التنويه.

(1) عباس، د. قاسم خضير، الامام علي(ع) وتكريمه من قبل الامم المتحدة، جريدة قطوف، العدد 147، الاسبوع الاول من شهر نيسان/2009م، رسائل وافكار، ص9.

وعدم مشاركة المرأة في شؤون الحياة، وبعيدة عن التطور واساليب المعرفة. والملاحظ ان التقرير المذكور وزع على جميع دول الامم المتحدة، حيث اشتمل على منهجية امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في السيادة والحكم وادارة البلاد والمشورة بين الحاكم والمحكوم. ومحاربة الفساد الاداري والمالي، وتحقيق مصالح الناس وعدم الاعتداء على حقوقهم المشروعة.

وتضمن التقرير الدولي ايضا شروط الامام علي (ع) للحاكم الصالح، التي وردت في نهج البلاغة، وفيها يقول (ع): "ان من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تاديبه بسيرته قبل تاديبه بلسانه، فمعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجال من معلم الناس".

واقترح التقرير الدولي مقاطع من وصايا امير المؤمنين (ع) لعامله على مصر مالك الاشتر "رض" التي يؤكد فيها على استصلاح الاراضي والتنمية ويقول: "وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة خرب البلاد واهلك العباد، ولم يستقم امره الا قليلا" (1).

وورد في التقرير الدولي ايضا اساليب الامام علي (ع) في محاربة الجهل والامية، وتطوير المعرفة ومجالسة العلماء، حيث يقول لاحد عماله: "واكثر من مدارس العلماء، ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك، واقامة ما استقام به الناس قبلك" (2).

ومن شروط الحاكم العادل اخذ التقرير الدولي قول امير المؤمنين (ع) الذي قال فيه: "ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيته في نفسك ممن لاتضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفياء الى الحق اذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادن فاهم دون اقصاده، واوقفهم في

(1) عبدة، الشيخ محمد، شرح نهج البلاغة للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ج3، بيروت 1963، ص528.

(2) نفسه، ص522.

الشُّبُهَات،وَآخَذَهُمْ بِالْحَجَجِ،وَاقْلَهُمْ تَبْرَماً بِمِرَاجِعَةِ الْخَصْمِ،وَاصْبِرْهُمْ عَلَى تَكْشُفِ
الْأُمُورِ،وَاصْرَمَهُمْ عِنْدَ انْتِصَاحِ الْحُكْمِ،مِمَّا لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ،وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ،وَإِلَّا لَكَ
قَلِيلٌ.ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ،وَافْسَحَ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يَزِيلُ عَلَيْهِ،وَتَقَلَّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى
النَّاسِ،وَاعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِإِيْمَانِهِ بِذَلِكَ اغْتِيَالِ
الرَّجُلِ لَهُ عِنْدَكَ،فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا"⁽¹⁾

ان هذا التقرير يبين ان عليا بن ابي طالب(ع)يعد مفخرة يحار الانسان الى اي
جانب منها يشير،وكيف لا؟وهو قد تربي على صدر رسول الله(ص)وكان مما انعم
به الله عز وجل على امير المؤمنين(ع)انه كان في حجر رسول الله(ص)وصلى
معه وصدق بما جاءه من الله تعالى.

(1)نفسه،ص526.

مصادر البحث:

- *العقاد،عباس محمود،عبقريّة الامام علي،دار اهلل1970م.
- *شرف الدين،السيد عبد الحسين،المراجعات،دار التعارف للمطبوعات،ط3، لبنان . بيروت 2003م.
- * الموسوي الشيرازي،سلطان الواعظين السيد محمد،ليالي بيشاور...مناظرات وحوار،تحقيق وتعريب وتعليق السيد حسن الموسوي،ط14،دار العلوم،لبنان 2006م.
- *الحائري،جعفر عباس،بلاغة الامام علي بن الحسين،تحقيق المجمع العالمي لاهل البيت،ط1،مطبعة ليلي،قم . ايران1423هـ.
- *النيسابوري،الامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري،صحيح مسلم،دار احياء التراث العربي،ط1،بيروت . لبنان،1420هـ 2000م.
- *الكليني الرازي،المحدث الخبير ثقة الاسلام محمد بن يعقوب،اصول الكافي،المجلد الاول،طبعة ايران،1404هـ.
- *فضل الله،المرجع الديني السيد محمد حسن،في رحاب اهل البيت،ج2،اعداد وتنسيق:شفيق محمد الموسوي،سليم الحسني،دار التوحيد،ط2001م.

*الطبرسي، العلامة الخبير، ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب، الاحتجاج، ج2، تحقيق، الشيخ ابراهيم البهادلي، الشيخ محمد هادي به، اشراف العلامة: الشيخ جعفر السبحاني، دار الاسوة للطباعة والنشر، ط5، ايران 1424 هـ.

*روائع محاضرات الوائلي، اعداد مركز الامام الحسن المجتبي للتحقيق والدراسات، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت . لبنان، 2008م.

*عبدة، الاستاذ الامام الشيخ محمد، شرح نهج البلاغة للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ج3، ج4، بيروت 1963م.

*مقتل الحسين (ع) ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء، المشهور بـ مقتل ابي مخنف، منشورات المكتبة العلمية، بغداد شارع المتنبى، مطبعة الغري الحديثة في النجف.

*لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط35، طهران 1996م.

*عباس، د. قاسم خضير، علي (ع) وتكريمه من قبل الامم المتحدة، جريدة قطوف، العدد 147، الاسبوع الاو من شهر نيسان/2009، رسائل وافكار.

*محاضرة لعميد المنبر الحسيني، سماحة الشيخ، د. احمد الوائلي، كانت قد بثت من على شاشة المعارف الفضائية يو 3/8/2010م لمناسبة ذكرى استشهاد الامام علي (ع).

(محاضرة للخطيب السيد نصرات قشاقش، كانت قد بثت من على شاشة قناة الانوار الفضائية يوم 13/رمضان/1430 هـ الموافق 3/ايلول/2009م تناولت سيرة الامام الحسن السبط (ع).

مجلس الربيعي الادبي
بغداد/الكرادة

الامام الحسن السبط "ع"*

نفحات من السيرة العطرة

* في ذكرى الميلاد الميمون للامام الحسن السبط "ع" . 15/رمضان/1432هـ الموافق 16/اب/2011م، ونظرا لضيق الوقت وكثرة عدد المشاركين ،لم نتمكن من المساهمة الا بالمحور الرابع فقط،الذي يحمل عنوان دور الامام "ع"في الحياةالاسلامية.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يختلف اثنان على الدور الهام والمحوري الذي تصدى له الامام الحسن السبط (عليه السلام)، وهو في كنف ابيه الامام علي (عليه السلام)، كمرحلة اولى، وكقائد للامة "خليفة" بعد استشهاد ابيه، ومن ثم امامها بعد توقيع وثيقة الصلح مع معاوية، كمرحلة ثانية.

ونحن اذ نُقدِّم على كتابة هذه النفحات من السيرة العطرة لأول السبطين وثاني ائمة اهل البيت "ع"، لانستهدف العرض المجرد عن الهدف الرسالي، انما نرغب بالدرجة الاولى تقديم نماذج في سلوك شخصياتنا الاسلامية، التي جسدت في ساحة الواقع اروع تطبيقات الاسلام لتكون لنا وللجيال قدوة وأُسوة.

ومن الطبيعي ان بحثنا صغيرا كهذا الذي بدانا بكتابته لا يمكن ان يستوعب السيرة الضخمة والمعطاء لسيد شباب اهل الجنة الحسن السبط (ع)، لذا فقد اضطررنا الى ايجاز الموضوعات بشكل كبير، ولكننا سعينا في الوقت نفسه الى اعطاء صورة كلية تعين المتتبع والدارس على فهم الخط العام للسيرة العطرة لكريم اهل البيت (عليهم السلام)، وتلمس نقاط الضوء فيها.

ونحن نعتقد ان الصورة الكلية التي حاولنا رسم ملامحها للامام الحسن الزكي(ع) لن تكون واضحة المعالم من دون التزام المنهجية التي تُعد وبكل المقاييس واحدة من ضرورات البحث العلمي، الامر الذي فرض علينا ان نكتب البحث الموسوم(الامام الحسن السبط"ع"...نفحات من السيرة العطرة) بطريقة تتفق

والمنهجية العلمية، بحيث يتكون من مقدمة واربعة محاور وخاتمة.

1 . المحور الاول:مزايا شخصية الامام"ع"

2 . المحور الثاني: الامام "ع"في الكتاب والسنة

3 . المحور الثالث:نشاطات الامام"ع"الروحية والعلمية.

4 . المحور الرابع:دور الامام"ع"في الحياة الاسلامية

. الخاتمة

1 . المحور الاول:مزايا شخصية الامام"ع"

هو سبط رسول الله"ص"وريحانته،وهو القائل فيه الرسول الاكرم"ص"وفي شقيقه الامام الحسين"ع":⁽¹⁾"الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة"⁽¹⁾ ... "الحسن والحسين إمامان قاما او قعدا"⁽²⁾

وهو الذي بابع الرسول"ص"قبل ان يبلغ سن التكليف"طفلا"ومعه ايضا شقيقه الامام الحسين"ع"وابني عمّيه "عبد الله بن جعفر،وعبد الله بن العباس".وهو من اجواد بني هاشم الاربعة:"الحسن،والحسين،عبد الله بن جعفر،عبد الله بن العباس"⁽³⁾ كان رسول الله "ص"يقول وهو يشير الى الحسن والحسين "ع": "اللهم ابغض من يبغضهما" وهكذا كان يقول "ص": "من احبهما فقد احبني،ومن ابغضهما فقد ابغضني"⁽⁴⁾

هو واحد من الذين رقدوا تحت ذلك الكساء الذي جللهم به رسول الله "ص"ودعا ربه قائلا:"اللهم ان هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"فنزلت الاية

(1) فضل الله،المرجع الديني السيد محمد حسين،في رحاب اهل البيت،ج1،ص266.

(2) مؤسسة البلاغ،نفحات من السيرة،عرض موجز لسيرة الرسول"ص"واهل بيته"ع"،ص93.

(3) الحسيني،جمال الدين احمد بن علي،عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب،ص36.

(4) فضل الله،المرجع الديني السيد محمد حسين،في رحاب اهل البيت،ج1،ص266

الكريمة⁽¹⁾: "انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا" الاحزاب/33 وهو الذي قال فيه الخليفة الاول ابو بكر وفي شقيقه الحسين، عندما شاهدهما والرسول "ص" يحملهما على كتفيه: "نعمّ الجمل جملكما"، فاجابه الرسول "ص": "ونعم الركبان هما، وابوهما خيرا منهما"⁽²⁾

هو من الخلفاء باتفاق المسلمين، ولذا نراهم يدرجونه ضمن قائمة الخلفاء لرسول الله "ص"، وقد بايعه المسلمون اختيارا منهم دون اكراه او اجبار كابيه المرتضى علي "ع"⁽³⁾ في ذريته واحدة من ارجاء * آل ابي طالب الثلاثة⁽⁴⁾،

فالاولى: بنو موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب "عليهم السلام"

والثانية: بنو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن ابي طالب "عليهم السلام"

والثالثة: بنو جعفر السيد بن ابراهيم الاعرابي بن محمد الارييس بن علي الزينبي * بن عبد الله الجواد بن جعفر الطيار بن ابي طالب "عليهم السلام"

(1) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص7

(2) عن محاضرة لعميد المنبر الحسيني، سماحة الشيخ، د. احمد الوائلي، قناة المعارف الفضائية، يوم 2011/7/5م.

(3) الفراتي، فاضل، المعاهدة بين الامام الحسن ومعاوية، مؤسسة البلاغ، ط1 بيروت . لبنان 2001م، ص9

* والرحى: جمعها ارجاء، وتعني الصدر، سيد القوم، ويقال "رحى قومه"، اي سيدهم "وفي عبارة اخرى "رحى القوم

سيدهم" ينظر: * المنجد في اللغة، ص253

* مختار الصحاح، ص283

(4) الحسيني، جمال الدين احمد بن علي، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، ص42.

* اعقب علي الزينبي بن عبد الله الجواد: اسحاق الاشرف، **محمد الارييس** الذي اعقب: يحيى، عيسى، عبد الله "ابي الكرام"، **ابراهيم الاعرابي** الذي اعقب: عبد الله، عبيد الله، قاسم، علي، صالح، عبد الرحمن، محمد، هاشم، يحيى، **جعفر "السيد"** الذي اعقب: محمد، يعقوب، ابراهيم، يوسف، عيسى، الخليصسي، اسماعيل، موسى، عبد الله الغرش، داود، سليمان، **احمد، الحسين، هارون**. ولقد اعقب الجميع، ولكن الثلاثة الآخر لا يُعدون من المعقبين ولعله انقرضوا، فيكون العقب في العشرة الأولى، كما نص شيخ الشرف العبيدلي، وابو عبد الله الحسين بن طباطبا. ينظر: * الحسيني، جمال الدين احمد بن علي، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، ص42، 43.

اولد الامام الحسن السبط"ع"سبعة عشر، اثني عشر ولدا وخمسة بنات، ولقد انحصر العقب في اثنين من هؤلاء، وهما: "الحسن المثنى، زيد" ⁽¹⁾ . فالحسن المثنى اولد: (عبد الله المحض، ابراهيم الغمر، الحسن المثلث، داوود، جعفر) وقد اولد عبد الله المحض: (محمد ذي النفس الزكية، ابراهيم قتيل باخمري، موسى الجون، يحيى"صاحب الديلم"، سليمان، ادريس) ⁽²⁾

اما رضى قومه "موسى الجون" فقد اولد: (عبد الله الشيخ الصالح، ابراهيم، محمد"والاخير لم يعقب" ⁽³⁾)

اما الابن الثاني المعقب للامام الحسن السبط"ع"فهو "زيد" الذي اولد: (الحسن)، وهذا بدوره اولد: (اسماعيل، القاسم، علي، زيد، اسحاق، ابراهيم، عبد الله) والاخيرين فيهما خلاف، وهما: (ابراهيم وعبد الله)، فالخلاف في: ابراهيم، هل بقي عقبه ام لا؟ وفي عبد الله، هل اعقب ام لا؟ ⁽⁴⁾

(1) الحسيني، جمال الدين احمد بن علي، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، ص64.

(2) نفسه، ص94.

(3) الحسيني، جمال الدين احمد بن علي، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، ص102

(4) نفسه، ص66

2 . المحور الثاني:

الامام "عليه السلام" في الكتاب والسنة

. للحسن السبط"ع"كما لسائر اهل البيت "ع"مكانة عظمى في كتاب الله تعالى وسنة رسوله"ص"،فهذا القرآن الكريم،دستور الامة،ومعجزة الاسلام الخالدة،يحمل بين طياته الايات البينات التي تنطق بمكانة الحسن"ع"واهل البيت"ع"عند الله تعالى ورسالته،نذكر منها:(¹)

* آية التطهير: "انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا" الاحزاب/33

فقد ورد في سبب نزولها ان النبي"ص"دعا بعباءة خيبرية،وجلل بها عليا وفاطمة وحسنا وحسينيا،ثم قال: "اللهم ان هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"*

(¹) مؤسسة البلاغ،سيرة الرسول"ص"واهل البيت"ع"،الامام الحسن"ع"والامام الحسين"ع"ص7. 9.

* اخرج الحديث كلن من :مسلم في صحيحه،والترمذي في صحيحه،والنسائي في الخصائص،والطبري في تفسيره،وغيرهم.

فنزلت آية التطهير، استجابة لدعاء المصطفى محمد"ص". وهكذا تحمل الآية الكريمة شهادة الله تعالى بطهارة اهل البيت"ع" ونأيهم عن الرجس، وكونهم الاسلام الحي المتحرك على ارض الواقع.

* آية المباهلة: "فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالى ندعُ ابناؤنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" آل

عمران/61

ففي اسباب نزول هذه الآية الكريمة، قال المفسرون انها نزلت عندما اتفق نصارى نجران مع رسول الله"ص" ان يبتهل كلا الطرفين الى الله تعالى، ان يهلك من كان على الباطل في دعوته واعتقاده، وخرج الرسول "ص" باهل بيته: علي وفاطمة والحسن والحسين"ع" دون سواهم من البشر للمباهلة، وحين رأى النصارى الوجوه الزكية التي خرج بها الرسول "ص" لمباهلتهم، اعتذروا للرسول "ص" عن مباہلته واذعنوا لسلطان دولته بدفعهم الجزية.

والجدير بالاشارة، تعبير الاية الكريمة عن الحسنين بـ (الابناء) وعن محمد "ص" وعلي "ع" بـ (انفسنا) اما فاطمة فقد مثلت نساء المسلمين جميعا في ذلك، كما وردت بلفظ (نساءنا) الامر الذي يشير بصراحة الى ما يحظى به اهل بيت الرسالة من مقام كريم عند الله ورسوله"ص".

* آية المودة: "قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى" الشورى/21

قال المفسرون ان الاية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين"ع". ففي الصحيحين ومسنند احمد بن حنبل وتفسير الثعلبي وتفسير الطبري، عن ابن عباس: قال لما نزل: "قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى". قالوا يا رسول الله، مَنْ قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : "علي وفاطمة وابناهما"⁽¹⁾

(1) الطبري ، ذخائر العقبى ، ص25.

وعن علي بن الحسين "ع"، وسعيد بن جبير، وعمر بن شعيب، وعن ابي جعفر الباقر "ع"، وعن ابي عبد الله الصادق "ع" عن رسول الله "ص" انه قال، حين سُئِلَ ن مفاد هذه الاية، قال: "ان تودّوا قرابتي" ⁽¹⁾

— ونحن اذ نتحدث عن مكانة الحسن السبط واهل البيت "ع" جميعا عند الله تعالى، يُحسن بنا ان نشير الى بعض النصوص التي وردت عن رسول الله "ص" بشأن الحسن "ع" ومكانته الرفيعة في دنيا الرسالة الاسلامية ورسولها القائد "ص"، وفيما يلي ندرج البعض من هذه النصوص الشريفة: ⁽²⁾

* روى البخاري ومسلم، عن البراء، قال: رايت رسول الله "ص" والحسن بن علي "ع" على عاتقه، وهو يقول: (اللهم اني أُحبّه فأحبّه)

* روى الترمذي عن ابن عباس انه قال: كان رسول الله "ص" حامل الحسن بن علي "ع" فقال رجل: نِعَمْ المركب ركبت يا غلام، فقال النبي "ص" (وَنِعَمْ الراكب هو)

* وروى الترمذي في صحيحه، باب فضائل الحسن والحسين، بسنده عن ابي هريرة، قال: قال رسول الله "ص": (من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني)

* وفي مستدرک الصحيحين، بسنده عن سلمان، قال، قال رسول الله "ص": (الحسن والحسين ابناي، من احبهما احبني، ومن احبني احبه الله، ومن احبه الله ادخله الجنة، ومن ابغضهما ابغضني، ومن ابغضني ابغضه الله، ومن ابغضه الله ادخله النار). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

* وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله "ص" (مَنْ سَرَّهُ ان ينظر الى سيد شباب اهل الجنة، فلينظر الى الحسن بن علي)

* وروى الترمذي بسندين، عن ابي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله "ص": (الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة) ورواه ابن ماجه في صحيحه، بسنده عن ابن

(1) نفسه، ص26.

(2) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص9 . 11

عمر، قال: قال رسول الله "ص": (الحسن والحسين سيذا شباب اهل الجنة وابوهما خيرٌ منهما)

*وروى الترمذي عن ابن عباس ،انه قال: كان رسول الله "ص" حاملا الحسن بن علي "ع" فقال رجل، نَعَمْ المركب ركبت يا غلام، فقال النبي "ص": (وَنَعَمْ الراكب هو) وقال ايضا: (ان هذا ريحانتي)(¹)

3 . المحور الثالث:

نشاطات الامام "ع" الروحية والعلمية

اولا:

النشاطات الروحية: وعن نشاطات الامام الحسن السبط "ع" الروحية، نذكر اضمامة من هذه المظاهر التي تكشف هذا الجانب من شخصيته، فعن الامام الصادق "ع" قال(²): "ان الحسن بن علي "ع" كان اعبد الناس في زمانه وازهدهم وافضلهم". وقال ايضا: (ان الحسن بن علي "ع" حج خمسا وعشرين حجة ماشيا، وقاسمَ الله تعالى ماله مرتين، وقيل ثلاث مرات"

وعن علي بن جذعان وابي نعيم في حلية الاولياء وطبقات ابن سعد: ان الحسن "ع" خرج من ماله مرتين، وقاسمَ الله ماله ثلاث مرات ، وكان اذا بلغ باب

(¹) مؤسسة البلاغ، نفحات من السيرة، عرض موجز لسيرة الرسول "ص" واهل بيته "ع"، ص 93.

(²) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص 14.

المسجد، يرفع راسه وهو يقول: (الهي! ضيفك ببابك، يا محسن! قد اتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم)⁽¹⁾

والجدير بالاشارة هنا، قول الامام الحسن "ع": (لبيك اللهم لبيك) كلما قرأ القرآن ومرت بآية (يا ايها الذين امنوا) لانه كان يتحسس ان الله يناديه كما لو كان يلقي النداء اليه الان.⁽²⁾

ومما جاء في اخر موعظة اطلقها في مرضه (الذي توفي فيه نتيجة السم) عندما قال له جنادة بن ابي امية: عظمي يا ابن رسول الله، قال: (استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول اجلك، واعلم انك تطلب الدنيا والموت يطلبك، لاتحمل هم يومك الذي لم يات على يومك الذي انت فيه) الى ان قال: (واذا اردت عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذل معصية الله الى عز طاعة الله عز وجل)⁽³⁾

ثانيا:

النشاطات العلمية: اما نشاطه العلمي فسنذكر بعضا منه، روته السيرة الحسنية كمثال على غزارة علمه واكتمال معرفته:

فلقد ورد في السيرة انه كان يحضر الى مسجد جده رسول الله "ص" وعمره سبع سنين، ليستمع الى جده "ص" وهو يتحدث الى الصحابة الكرام "رض"، ويحفظ ما يقول⁽⁴⁾

وتحدثنا السرة عنه، انه "ع" قام بتدوين السنة النبوية الشريفة مع ابيه علي "ع" وبأمر منه "خوفا عليها من الضياع"، وذلك بعد المشكلة التي اثيرت في زمن الخليفة الثاني عمر، التي من تداعياتها منع الناس من كتابة احاديث رسول الله "ص" بحجة الخوف من الخلط بينها وبين القرآن الكريم، ومما ورد عنه "ع" في السيرة ايضا، انه الوحيد

(1) فضل الله، المرجع الديني السيد محمد حسين، في رحاب اهل البيت، ج1، ص273.

(2) مؤسسة البلاغ، نفحات من السيرة، عرض موجز لسيرة الرسول "ص" واهل بيته"، ص94.

(3) فضل الله، المرجع الديني السيد محمد حسين، في رحاب اهل البيت، ج1، ص289 . 290.

(4) نفسه، ص266.

الذي اعتمد عليه ابيه "ع" في افتاء الناس بكل ما يشكل عليهم امره من احكام الله تعالى، لانه يريد (اي الامام علي) ان يعرّف الناس بانه الحجة بعده⁽¹⁾ . فلقد كان الامام علي "ع" يقول للناس عندما كانوا يسالونه عن كثير من امور الاسلام "في مفاهيمه واحكامه": (اسألوا ابني الحسن، فان لديه ما يحل مشاكلكم ويعرّفكم الحق كما هو)⁽²⁾ وهذا الموقف من الامام علي "ع" ان دل على شيء، انما يدل على غزارة علم الامام الحسن "ع" واكتمال معرفته.⁽³⁾

فلقد سُئِلَ "ع" عن السياسة يوما فاجاب: (هي ان ترعى حقوق الله، وحقوق الاحياء، وحقوق الاموات. فاما حقوق الله: فاداء ما طلب، والاجتتاب عما نهى، واما حقوق الاحياء: فهي ان تقوم بواجبك نحو اخوانك، ولا تتأخر عن خدمة امتك، وان تُخلص لولي الامر ما اخلص لامته، وان ترفع عقيرتك في وجهه اذا ما حاد عن الطريق السوي، واما حقوق الاموات، فهي ان تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم، فان لهم ربا يحاسبهم)

وله ايضا في هذا الجانب موعظة نفيسة (وكل مواظبه "ع" نفيسة) تقول: (تعلموا العلم فمن لم يستطع منكم ان يرويه او يحفظه فليكتبه وليجعل في بيته)⁽⁴⁾

(1) نفسه، ص 269 . 271.

(2) نفسه، ص 272.

(3) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص 19.

(4) الفراتي، فاضل، المعاهدة بين الامام الحسن ومعاوية، مؤسسة البلاغ، ط1 بيروت . لبنان 2001م، ص 108.

4 . المحور الرابع:

دور الامام "ع" في الحياة الاسلامية:

ولمعرفة دور الحسن السبط "ع" في الحياة الاسلامية، حري بنا ان نتحدث عن دوره في عهد ابيه "ع"، ودوره ايام حكمه، وعن مبررات الوثيقة التي وقعها مع معاوية (وثيقة صلح الحسن):

اولاً:

دوره في عهد ابيه "ع": فلقد تميز دور الامام السبط "ع" في عهد ابيه وفي ايام خلافته على وجه التحقيق، بالخضوع التام لابييه قدوة واماماً، فلقد كان يتعامل معه لا كأبن بارٍ له فحسب، وانما كجندي مطيع، بكل ماتحمل كلمة الجندية من مضامين الطاعة والانضباط، الواعية المدركة لمسؤوليتها. ومن اجل ذلك فقد كان دوره "ع" طوال الايام

الحاسمة التي عايشها والده الامام علي "ع" يتجلى في تجسيد مفهوم الانقياد لامامه وملهمه.⁽¹⁾

ثانياً:

دوره "ع" ايام حكمه: بدء الشوط الثاني من دور الامام "ع" في دنيا الاسلام بعهد ابيه له بالامامة، فعلى اثر تعرضه للاعتداء الاثيم الذي ارتكبه ابن ملجم، اوصى الامام الراحل "ع" الى ولده الحسن بقوله:⁽²⁾

(يا بنيّ انه امرني رسول الله "ص" ان اوصي اليك وادفع اليك كتبي وسلاحي، كما اوصى اليّ ودفع اليّ كتبه وسلاحه، وامرني ان آمرّك اذا حضرّك الموت ان تدفعها الى اخيك الحسين) ثم اقبل على ابنه الحسين فقال: (وامرّك رسول الله "ص" ان تدفعها الى ابنك هذا) ثم اخذ بيد علي بن الحسين وقال له: (وامرّك رسول الله "ص" ان تدفعها الى ابنك محمد بن علي، فأقرّئه من رسول الله ومني السلام).

ثم اشهد على وصيته تلك الحسين ومحمداً ابنه، وجميع اولاده ورؤساء شيعته واقطابهم.

والجدير بالملاحظة هنا، ايام الامام علي "ع" الاخيرة التي كانت قد طفحت بالعديد من الوصايا التوجيهية، من اجل اقامة الحق والتزام جانبه، وكان اغلبها ينصبّ على اولاده، ويخص منهم الامام الحسن "ع" بالذات، تاكيدا لخلافته له وامامته بعده.

ثالثاً:

مبررات الوثيقة التي وقعها مع معاوية: وعن مبررات الوثيقة التي وقعها مع معاوية، او ما اصطلح عليه فيما بعد (بوثيقة صلح الحسن) اشار الامام "ع" قائلاً⁽³⁾

(1) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص 24.

(2) مؤسسة البلاغ، نفحات من السيرة، عرض موجز لسيرة الرسول "ص" واهل بيته "ع"، ص 96.

(3) الفراتي، فاضل، المعاهدة بين الامام الحسن ومعاوية، مؤسسة البلاغ، ط 1 بيروت. لبنان 2001، ص 77.

ينظر: * حياة الامام الحسن، ج 2، ص 138.

* مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص 39.

(والله لو قاتلت معاوية لآخذوا بعُنقي حتى يدفعوني اليه سلماً، والله لنن أسأله وأنا عزيز أحب الي من ان يقتلني وأنا اسير، او يمن علي فتكون سبّة على بني هاشم الى آخر الدهر، ولمعاوية لايزال يمن بها هو وعقبه على الحي منا والميت) وحتى يوضح لاصحابه مدى اهتمامه بحق دماء الامة وحفظ دماء المخلصين فيها على وجه الخصوص، قال "ع":

(ما اردت بمصالحتي إلا أن ادفع عنكم القتل)⁽¹⁾

وقال "ع" لمالك بن زمرة عندما كلمه بشأن الوثيقة:⁽²⁾

(اني خشيت ان يجتث المسلمون عن وجه الارض، فاردت ان يكون للدين داع)

ثم قال مخاطباً ابا سعيد: (يا ابا سعيد: علة مصالحتي لمعاوية، علة مصلحة رسول الله "ص" لبني زمرة وبني اشجع ولاهل مكة حين انصرف من الحديبية).

ولاهمية تلك الوثيقة وآثارها الايجابية المرجوة لمصلحة الاسلام والمسلمين، اشار الامام محمد الباقر "ع" اليها بقوله:

(والله للذي صنعه الحسن بن علي "ع" كان خيراً لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس)⁽³⁾

والجدير ذكره في هذا الصدد، الدور الكبير الذي كان الامام "ع" قد اختط به دربه الجديد بعد الوثيقة، حيث انشأ مدرسة وقيادة فكرية كبرى، لتكون محطة اشعاع للهدى والفكر الاسلامي، تهتدي الامة من خلالها الى صراط الله المستقيم ورسالته الخاتمة.

ولقد كان لتلك المدرسة دور فعال في بلورة الذهنية العامة، وتسديد اتجاهاتها وانقاذها من موجة الانحراف التي تساندها الجهات الرسمية، التي يقودها معاوية بن ابي سفيان.

(1) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص40.

(2) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص46. 47.

(3) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص47.

وقد آتت مدرسة الامام السبط"ع"أكلها ضعفين،حيث تخرج في اروقتهها جهابذة العلماء والرواة،امثال : (الحسن المثنى،والمسيب بن نجبة،وسويد بن غفلة،والشعبي،والاصبغ بن نباتة،وابو يحيى النخعي،واسحاق بن يسار، وغيرهم).
واذا كان الامام"ع"قد حقق للرسالة الاسلامية نصرا رائعا بهذا الصنيع،فانه اسدى للامة وللرسالة في الوقت ذاته فضلا جليلا آخر،فقد كان يدعو الناس للاستقامة في الخلق والدين وسلوك سبيل الرسول"ص"واهل بيته"ع"والعمل بكل ما من شأنه اشاعة المعروف في المجتمع والغاء اي وجود للمنكر.⁽¹⁾

الخاتمة:

يمكن القول،ان حركة الامام الحسن"ع"لم تقتصر على الدور الفكري والثقافي على اهميته،بل نراه يخطط لمستقبل الرسالة على المستوى الاجتماعي والسياسي.
فالحسن"ع"من خلال اضطلاع بالعمل الثقافي والاجتماعي نهج نهجا فذا لصالح الرسالة الالهية والامة ،حيث اوجد تيارا اسلاميا واعيا لدوره الرسالي في الحياة.فصار واضحا للامة ان الامامة الشرعية هي حق لاهل البيت"ع"والحسن"ع"طليعتهم ،وان معاوية واضرابه لا يصلحون للحكم قط،وان طاعتهم لا تتفق والخط الاسلامي الاصيل.

(1) نفسه،ص49.

وقد صار بمقدور الامام الحسن "ع" ورجال الفكر الاسلامي الذين تخرجوا في مدرسته، ان يوجدوا امة واعية سياسياً ومعارضة للحكم الاموي، فكراً واسلوباً ومساراً، وان تبقى هذه الامة تتأفح وتكافح عن الحق الاسلامي عبر الاجيال.⁽¹⁾

مصادر البحث:

- * الحسيني، جمال الدين احمد بن علي، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر، ط2، ايران . قم 2004م.
- * فضل الله، المرجع الديني السيد محمد حسين، في رحاب اهل البيت، ج1، اعداد سليم الحسن، ط4، دار التوحيد للطباعة والنشر، العراق . بغداد 2004م.
- * مؤسسة البلاغ (مؤسسة الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر)، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ط 2008م.
- * مؤسسة البلاغ (مؤسسة الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر)، نفحات من السيرة، عرض موجز لسيرة الرسول "ص" واهل بيته "ع"، ط 2010م.

(1) مؤسسة البلاغ، سيرة الرسول "ص" واهل البيت "ع"، الامام الحسن "ع" والامام الحسين "ع"، ص50.

* الفراتي،فاضل،المعاهدة بين الامام الحسن ومعاوية،مؤسسة البلاغ،ط1، بيروت .
لبنان 2001م.

* معلوف،لويس،المنجد في اللغة،ط35، ايران . طهران 1996م
* الرازي،محمد بن ابي بكر بن عبد القادر،مختار الصحاح ،ط1،دار الكتاب
العربي،بيروت . لبنان 1967م.

مجلس الصغار الثقافي
الكاظمية المقدسة

الحرية في الحضارة الاسلامية*

مفهوما وتطبيقا

الحرية في الحضارة الاسلامية

مفهوما وتطبيقا

المقدمة:

يمكن القول ان الدراسة الموسومة (الحرية في الحضارة الاسلامية...مفهوما وتطبيقا) تناولت مسألة غاية في الاهمية، كونها استهدفت تحقيق الامور التالية:

1 . التعريف بمفهوم الحرية.

* القيت المحاضرة في مجلس المحامي رؤوف الصفار الثقافي/الكاظمية المقدسة، يوم السبت الموافق 1 / اب / 2009 م. وقد ادر الجلسة الصحفي والاعلامي المبدع، السيد عادل العرداوي. علما ان المحاضرة اعلاه مستلة من الدراسة الموسومة (اشكالية العلاقة بين الحرية والديمقراطية) للباحث الاستاذ احسان العارضي، وهي بمثابة دراسة مقارنة بين الحرية في الحضارة الاسلامية والديمقراطية في الحضارة الغربية، كانت طبعها الاولى قد صدرت من مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث العامة ، بغداد 2006م.

- 2 . بيان الغاية التي يروم اليها مفهوم الحرية .
 - 3 . محاولة تاسيس قاعدة معرفية اولية لمبدا الحرية في الحضارة الاسلامية ، بحسب المنظومة المعرفية لمدرسة الرسول الاكرم (ص) واهل البيت(ع).
 - 4 . بعث الشعور بالاعتزاز بالمفاهيم والقيم والمبادئ الموجودة في الحضارة الاسلامية وصولا الى الالتزام بها.
 5. طرح مبدا الحرية كمعادل موضوعي اسلامي مقابل الديمقراطية.
- وثمة نقطة جديرة بالاهتمام تناولتها الدراسة , تمثلت بمنطلقات الحرية ولوازمها وآثارها ، فضلا عن تاكيدها على ان(منشا الحرية في الاسلام ينبع من عبودية الله سبحانه وتعالى ورفض عبودية غيره*، ومن خلال الممارسة الواعية تنشأ آثار تختلف عما لدى الحضارة الغربية المادية التي تعد الانسان "المادة" هو هدفها وهو مثلها الاعلى فكرست فكرة الحرية لأجله ولذاته وليس لبعد آخر اعلى منه ، وقد نشأت الحرية عندهم كرد فعل ضد تسلط الانسان على الانسان فتوجهت لتحريره من كل شئ حتى من الله سبحانه وتعالى ولهذا صار بوسع المتلبس بهذا المضمون ان يعبد أي شئ فهذا مسموح له وصارمن حقه ان يتصرف بحياته كيفما شاء، حتى له ان ينتحر، وصار له من الخيارات ان يعيش باي صورة وكيفية دونما اعتبار لاي شئ سوى حرية الآخرين من ابناء جلدته ، بينما له الحق بنهب غيره و استباحته فهذا من حقه) .وقد راينا من آثار الحرية السلبية في الغرب قيام حربين عالميتين في اقل من نصف قرن اكلت الاخضر واليابس ورأينا من آثارها حروبا طاحنة لامعنى لها خاضتها الولايات المتحدة في كوريا وفيتنام وغيرها باسم الحرية وتحت لوائها ولكن هذه السلبيات على اهميتها لم تمنعنا من التوجه صوب الحضارة الاسلامية التي من الممكن ان نتلمس من خلالها الآثارالعظيمة الناشئة من ممارسة الحرية

* لان الحرية في الاسلام انما تنبثق من العبودية لله سبحانه وتعالى،فلايمكن لاي موجود (فضلا عن الانسان) ان يحصل على الحرية الحقيقية والكاملة الا من خلال باب العبودية لله سبحانه وتعالى.

ضمن المفهوم الحضاري الاسلامي الاصيل، وهذا ما حاولت الدراسة ان تتعرض له من خلال المباحث التالية:

1. المبحث الاول : الحرية والاسلام .
2. المبحث الثاني : الاختيار الانساني وجدلية القضاء والقدر
3. المبحث الثالث : تطبيقات الحرية في الحضارة الاسلامية.
4. المبحث الرابع : الحرية ونظام القيم والجزاء في الحضارة الاسلامية.

1 . المبحث الاول :الحرية في الاسلام

* فلسفة الحرية في الحضارة الاسلامية : الحرية لغة(هي حالة الحر وهي ضد الرق،وفي اصطلاح اهل الحقيقة"أي العرفاء"الخروج عن رق الكائنات ، ولها مراتب:وهي حرية العامة من رق الشهوات ، وحرية الخاصة من رق المرادات لفناء ارادتهم في ارادة الحق ، وحرية خاصة الخاصة من رق الرسوم والآثار) وان تعريف الحرية بانها حالة الحر ضد الرق،تعريف للشئ بما يقابله ،وتعني فيما تعنيه نفي لاي سلطة على الانسان ، ولكن هذا النفي المذكور ليس مطلقا لان

هناك سلطة قاهرة وحاكمة على الانسان ألا وهي السلطة إلهية الحاكمة على كل شئ ومنه الوجود الانساني الذي يقف في اعلى مراتب الوجود الامكاني.

وللتوفيق بين الحرية والعبودية لله سبحانه وتعالى في الوقت نفسه ،علينا ان نتخلى عن المفاهيم العرفية عن الحرية ،لان الحرية في الاسلام انما تنبثق من العبودية لله سبحانه وتعالى، فلا يمكن لاي موجود فضلا عن الانسان ان يحصل على الحرية الحقيقية الكاملة الا من خلال باب العبودية لله سبحانه وتعالى ،لان هناك غائية وهدفية من خلق الانسان ،لان الله سبحانه لا يخلق الخلق عبثا لأنه احكم الحاكمين.

وقد اجاب القرآن عن ذلك بقوله (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)الذاريات/56 ،العبادة المعرفية المتصفة بالمشاورة والدوام وخلوص النية ،لان الله سبحانه يريد هذه العبادة المعرفية لتكميل النقص وجبر الفقر الوجودي الانساني ليصل عبده الى مقام القرب والرضى الالهيين ،ومن هنا نعرف ان هذه العبادة تمثل غاية وسطى لغاية نهائية ، وهي الحصول على اليقين ،قال تعالى (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين)الحجر/99 فالوصول الحقيقي الى الحرية التامة للانسان ،(هذا المخلوق المقهور بحدود الزمان والمكان والفقر المادي و الاحتياج الامكاني) لا بد من ولوجه باب العبودية لله تعالى بالمشاورة والمسكنة والحاجة اليه تعالى وحده،واقران القول بالعمل ، وبذلك يحصل على الكمال الدنيوي الحقيقي فحتى مقام الخاتمية العظيم للرسول الاكرم (ص) لم يوجد الا بعد المرور من باب العبودية (إياك نعبد وإياك نستعين) الفاتحة/4 وفي الوقت نفسه لم يحصل مقام النبوة الكامل الا بعد حصول العبودية التامة والخضوع والتسليم في نفس الرسول الاكرم (ص) لخالقه وبذلك استحق (ص) ان نشهد له بالعبودية لله سبحانه وتعالى ونقول(وأشهد ان محمدا عبده ورسوله)خمس مرات يوميا.

وان تحطيم الاصنام المادية والمعنوية وكسر حاجز الشهوات ورفض كل معبود سواه (جل شأنه)والاخلاص لاجله ، هو الكفيل بتحرير الانسان من قيود المادة والاصر والاغلال التي عليه وجعله حرا بتمام معنى الحرية .

كما ان تقديم الذل والفقر الوجوديين هو من مقتضيات نيل الحرية وشرائطه، قال تعالى (يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله و الله هو الغني الحميد) فاطر/15، ومن هذه الاية نفهم سر قول الحبيب المصطفى (ص) (الفقر فخري) فالفقر اقصى ما يقدمه الانسان الى ربه الكريم .

وهذا يتم عبر تجسيد الطاعة التامة له وحده ولمن يرتضيه وبذلك يحصل الانسان على كماله المبتغى وينال حريته المطلقة ويكون مصداقا للحديث القدسي المشهور (عبدى اطعني تكن مثلي نفل للشئ كن فيكون) وهذه الحرية ليست غاية بحد ذاتها ، بل يجب ان تكون مقدمة سلوكية متحصلة، تبغي رفع المستوى النفسي والوجداني الى المستوى الذي ارتضاه الله للانسان باعتبار ان الانسان هو اشرف الموجودات ولانه كذلك، اصبح خليفة الله تعالى في الارض وحامل امانته الكبرى.

فالوجود المفتقر الى الحرية الحقيقية كما رسمها الله هو وجود مفتقر الى اهم مسوغاته، فالحرية تسوغ الاختيار كأصالة قائم بذاته وتجعله طبيعيا وغير مصطنع.

* الاسس الرئيسية لمبدأ الحرية الاسلامي :

أ . الاساس العقائدي :

يمكن القول ان المعرفة العقائدية تعد في مقدمة المعارف الانسانية لكونها الاساس الذي تستند اليه فلسفة الانسان المقومة لسلوكه في الحياة الدنيا وما ينتج عنه من اثار خارجية . فالعقيدة الصحيحة القائمة على توحيد الله تبدا بمعرفة الانسان ربه ثم التصديق به والعمل بموجب احكامه والتزام صراطه المستقيم (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الانعام/153، وهذا يؤدي الى توحيد الله ذاتا وصفة وفعلا، وهذا التلازم بين التوحيد ومبدأ الحرية هو تلازم ذاتي تقوم عليه حركة الانسان وكدحه فردا، والانسانية مجموعا الى الله سبحانه وتعالى.

ب . **الاساس الفلسفي** :ويقصد به الاسس المعرفية التي يحصل عليها الانسان في دنياه وتطبع حياته ويتحدد سلوكه بموجبها ومنها:

1 . **الحسن والقبح العقليان** : لكون الانسان يسعى دوما لطلب الاجمل والاحسن،لذلك نجده يطلب الحرية لانضواء صفة الجمال فيها وهذا يعطيه المسوغ اللازم للسعي الجاد لنيل الحرية بالوسائل التي يسرها البارئ الرحيم له.

2 . **دفع الضرر وجلب المنفعة** : وهذه القاعدة متفرعة عن الفطرة الطالبة للكمال المطلق.وبما ان الانسان يحاول الحصول على كل شيء استجابة لفطرته لذلك فانه يحاول دفع كل ما من شأنه اعاقه مساره ورفع الموانع والعقبات التي تحول بينه وبين ما يطلب من كمال مطلق ولما كانت الحرية في الافعال والاقوال والفكر هي ما يتوسل به لطلب الكمال فهي بهذا الاعتبار تتوافق مع الفطرة الطالبة له وكذلك مع جلب المنفعة ودفع الضرر .

3 . **الفطرة وطلب الحرية**: بما ان استحقاق التوجه والعبادة يجب ان يكون لله سبحانه وتعالى دون غيره لذلك فان الكدح الانساني يجب ان يتوجه له سبحانه لانه يسر للانسان كل ما من شأنه الوصول اليه ونيل القرب منه ، وفي اثناء سير الانسان العابد باتجاه ربه تتفتح عليه آفاق المعرفة ويطلع على الحقائق كما هي ، وبما هي عليه دون حجب مانعة ودون قيود او اغلال الشهوات ، وبذلك يحصل على حريته الحقيقية لا الحرية الموهومة التي نظر اليها الفلاسفة و المفكرون الوضعيون، نظرة متغافلة عن الوجهة الحقيقية المطلوبة . فالفطرة الطالبة للمطلق . لاتجد المطلق في المادة لانها محدودة وفقيرة وناقصة ،لهذا لا بد لها من التوجه للمطلق الكامل

الغني . وهذه الصفات لا توجد الا عند الله سبحانه وتعالى . وهذه الصفات الكاملة مطلوبة بحسب مقتضيات الفطرة ، ولان هذه الصفات لا يحدها حد فهي مطلوبة ايضا لكونها محققة للحرية.

4. اصالة الاختيار: وهذا يعني ان الانسان هو مولود عاقل مختار لا قيد على اصل حركته الوجودية.

فلقد اتاح الله للانسان حرية انتخاب السبل بعد ما زوده بكل ما يحتاج اليه . فبعد ان دله على الطريق ترك له حرية الاختيار للسلوك الفكري و العملي بما في ذلك دعوة الرسل و الانبياء التي لم يجعل فيها اكراما لاحد فالالاوامر والنواهي الالهية اخذت صفتي التخيير والتحذير . وفي ذلك نلاحظ احتراما شديدا لدور العقل (هبة الله وجوهريته الغالية) التي منحها للانسان، وهذا يعني ان الجزاء الالهي في الآخرة يكون على اساس الاختيار الانساني.

وبالاجمال يمكن القول: ان الحرية كمبدأ اصيل في الحضارة الاسلامية، تتسع لتشمل كل مناحي الحياة للفرد والمجتمع ، فهي ممنوحة تكويننا للانسان وبحسب ارادته وحركته الوجودية.

* **حدود الحرية وضوابطها:** مثلما نحن احرار في ان نفكر ، لعدم وجود اي قيد او حد في الفكر والتفكير كذلك نحن احرار في يوم القيامة في اعداد الحجج والبراهين للدفاع عن انفسنا وتسويغ اعمالنا في الحياة الدنيا على الرغم من حضور الشهود ونطق الجوارح، فمن مقتضى العدل الالهي اتاحة الفرصة التامة للانسان في ذلك اليوم الذي يود الكثير منا لو افتدى نفسه بذهب الارض جميعاً.

وعلى اي حال فاننا لا نستطيع انكار موانع الحرية وقيودها لان هذه الموانع منها ما هو ذاتي بالانسان نفسه ومنها ما هو خارجي عنه ، فمن الموانع الذاتية :

1- موانع وقيود تكوينية ، اقتضتها طبيعة الخلق، فالانسان محدود بحدود قدراته وقابلياته التي يحاول تخطيها بقوة العقل الذي يفتح له افاقا جديدة في كل يوم .

2 - موانع الخارجية، ممثلة بالقوانين الطبيعية والكونية ، وهذه ايضا يحاول الانسان تخطيها ، لكن مع وجوب التفكير بان الطبيعة و السماوات والكون ، بل الموجودات باجمعها مقهورة بالارادة الالهية المقومة لكل شيء فالانسان ضمن هذا السياق الوجودي لا يملك ان يخرق الاسباب جميعا الا باذنه سبحانه وتعالى (يا معشر

الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون
الابسلطان (الرحمن/23)

* الحرية والاخلاق في الحضارة الاسلامية :

جاء في تعريف الاخلاق انها (مجموعة القواعد الاجتماعية المنظمة لسلوك الناس والموجهة الى الحفاظ على الكيان الاجتماعي ككل والى تطويره وعلى هذا الاساس فالاخلاق شكل من اشكال الوعي الاجتماعي) وقد يبدو هذا التعريف غير مستوف لشروطه لانه يتحدث عن الجانب الاجتماعي دون ذكره لوضع الفرد فيه. ولاغناء هذا التعريف يمكن القول ان الاخلاق تقوم على بعدين :

الاول : هو ذلك البعد الذي يؤكد فاعلية الجهد العملي المبذول والذي يتضمن اخلاص النية والقصد السليم والثمرة العملية المتحصلة منه.

الثاني: هو البعد الذي يركز على المفاهيم والمصطلحات التي تتناول الاخلاق (اي بعبارة اخرى ما يتعلق بالعلم النظري في الاخلاق) وهذا البعد على اهميته لا بد من اغناؤه بما روي عن الرسول(ص) من الاحاديث الشريفة التي تناولته ومنها قول الرسول(ص)(تخلقوا باخلاق الله) والتخلق الاتصاف بالصفة فعليا لا العلم بالصفة مفهومنا وهنا لا بد من وقفة قصيرة لكي نطلع على القوى المتحركة بالسلوك الانساني والمرتبطة بالاخلاق والتي حددها الاعلام ب : القوة العقلية، القوة الغضبية، القوة الشهوية ، القوة الوهمية.

1 . القوة العقلية: وهي التي من مهامها ادراك الاشياء والتمييز بين الخير والشر في الاقوال والافعال

2 . القوة الغضبية: وهي القوة التي يستخدمها الانسان لدفع الضرر عن نفسه وحمايتها من الهلاك متوسلة بالوسائل المشروعة وغير المشروعة.

3 . القوة الشهوية : وبها يطلب الانسان المنفعة لنفسه من اكل وشرب وملبس ومنكح دون ان تاخذ مسائل الحلال والحرام في حسابها لانها ترتبط بغرائز بقاء النوع.

4 . القوة الوهمية: وهي القوة التي يدرك الانسان بها المعاني الجزئية وعلاقات الاشياء مع بعضها , وبها يستنبط الوسائل والعلاجات لما يعترض سبيله وادراك هدفه.

* الحرية والمسؤولية في الحضارة الاسلامية : رب سائل يسال ليقول: ما هي طبيعة العلاقة بين الحرية والمسؤولية؟ ولكي نتمكن من استجلاء الجواب الشافي لهذا السؤال يجدر بنا التمعن بما جاء في القرآن الكريم من نواهي للانسان عن كل ما من شأنه تجاوز علمه، لان ذلك الفعل له الاثر الكبير في الحياة الدنيا بما يترتب عليه من نتائج وفي الاخرة كذلك، قال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) الاسراء/36، وقال ايضا (وقفوهم انهم مسؤولون) الصافات/24، وهذا الخطاب جاء بصيغة الجمع ليبين المسؤولية الجماعية كما بين قبلها في الاية السابقة المسؤولية الفردية .

ويمكن القول، ان المسؤولية تتبع من الاحساس العميق والوعي التام ، والفهم الصحيح لدور الانسان في الحياة بحسب ما قرره الشريعة .

ومن مستلزمات المسؤولية الحقبة انها تكمن في الشعور الواضح بان فعل الانسان قد تم بحرية وبدون اكراه وبوعي كامل بطبيعته وباثاره بحسب ما تقرره الشريعة والعرف الاجتماعي الموافق لها.

اما ادراك الانسان لطبيعة مسؤوليته في الحياة الدنيا فهو امر ضروري لاغنى عنه ليستقيم الفعل الانساني ويتجه صوب هدفه الصحيح والمطلوب .

فالانسان مسؤولا ايضا عن الآخرين كما اوضح الرسول الكريم (ص) بالحديث المتواتر (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)

وثمة نقطة جديرة بالوقوف عندها قليلا، وهي ان المسؤولية الجماعية تتبع من الشعور العام الواعي لمصالح المجتمع بل والانسانية ايضا، وهذه المسؤولية تتجسد في سلوكيات سلبية تجاه المقصر او المخل بنظام الشريعة و المجتمع ، سواء كان هذا المقصر فردا ام جماعة ويتجلى ذلك بقوة عندما تكون الامة كالبنين

المرصوص يشد بعضه بعضا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوصية بالتزام الحق والصبر .

2. المبحث الثاني :

الاختيار الانساني وجدلية القضاء والقدر:

*الارادة الالهية بين الجبر و الاختيار : لقد افرز الفكر الاسلامي ثلاثة اتجاهات رئيسية في الفواعل الاختيارية وفي طليعتها الفعل الانساني . وقد توزعت على مدارس ثلاث هي :المدرسة الاشعرية،مدرسة المعتزلة، مدرسة اهل البيت(ع).

1 . المدرسة الاشعرية (الجبرية)الجبر الاشعري: التي تقول ان فعل الانسان فعل آلي غير اختياري ، وان الانسان مسير وغير مخير، لانها تنكر مبدا السببية بعد ان ابقت موقفها محفوظا في عدم وجود اي تاثير لاي فاعل في الوجود سوى الله سبحانه وتعالى ليحفظوا بموقفهم هذا قدرة الله المطلقة.

2 . مدرسة المعتزلة (المفوضة) التفويض الاعتزالي: والتي تقول ان الله خلق الانسان واعطاه من الامكانيات ما يجعله مختارا لا قيد عليه في فعله وبذلك وقعت في مشكلة تقييد الفاعلية الالهية بالاسباب المستقلة عنه ، وعزلت بذلك الله عن سلطانه .

3 . مدرسة اهل البيت (ع): التي قدمت تفسيراً منطقياً محكماً يجمع بين القدرة الالهية المطلقة والفعل الانساني المختار في نسق عقلي منطقي يحفظ الذات الالهية عن شبهة الظلم من جهة وشبهة تعطيلها عن خلقه من جهة اخرى.

ولتوضيح مذهب اهل البيت(ع) في الامر بين امرين نقول:

انه امر ثالث يقف بينهما (اي في المسافة الفاصلة بينهما) لا يمت لاي منهما بصلة في مبانيه التي تقف بقوة امامهما ويرد عليهما ويجيب على جميع الاشكالات الواردة عليهما ، ويقدم صياغة اصيلة للفكر التوحيدي ويجمع بانسجام وتوافق تام ودونما تعارض بين العدل والسلطان الالهي.

3 . المبحث الثالث:

تطبيقات الحرية في الحضارة الاسلامية:

* تطبيقات الحرية في الحكومات الاسلامية : لا بد لنا ونحن نلج موضوع تطبيقات مبدأ الحرية في الحكومات الاسلامية ان نستعرض باختصار مدى تطبيقها لمبدأ الحرية وفق محورين هامين:

الاول: الذي يعنى بالمبادئ العملية المشرعة في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الثاني: الذي يتناول التطبيقات العملية لمبدأ الحرية في حكومة الرسول (ص) وحكومة الامام علي (عليه السلام).

والمعروف عن مبدأ الحرية الاسلامي رفضه لكل الوان الهيمنة او التحكم او الاستغلال او الاستعباد لانه يقوم على مبدأ التوحيد الافعالى عبر سلوك الجهاد الاكبر للنفس،

فعن ابي عبد الله الصادق(ع) ان النبي (ص) بعث سرية ، فلما رجعوا قال:(مرحبا بكم بجهاد الاكبر؟ قال : جهاد النفس).

والثمرة المتحصلة من هذا السلوك المعرفي في جهاد النفس هو تحرير العقل الانساني من القيود والموانع التي تمنع حركته وانطلاقته في اكتشاف المجاهيل الوجودية والارتباط اكثر بمنبع الكمال المطلق. فتحرير النفس الانسانية من الاغلال التي يضعها الطغاة والظلمة يتحقق عندما يدرك الانسان بعد سلوك جهاد النفس بشكل واضح لا غبار عليه ولا لبس فيه ،(ان لامؤثر في الوجود سوى الله سبحانه) وعندئذ يرتفع الى مرتبة لا يهاب فيها هؤلاء الطغاة والظلمة مهما كان جبروتهم، ولناخذ مثالا من القرآن الكريم، قال تعالى: (والقي السحرة ساجدين ، قالوا آما برب العالمين ، رب موسى وهارون، قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهله فسوف تعلمون ، لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين، قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ، ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) الاعراف 126.120 في هذه الايات المباركة ، دلالات عميقة وقاطعة على الاثر الذي يتركه التوحيد الافعالى في النفس الانسانية التي تقتحم مهاوي الردى في سبيل المبدأ الالهي ، فيكون الانسان الموحد انسانا قويا لا يهاب ولا يخشى الا الله سبحانه وتعالى.

هكذا يصنع الاسلام الروح الحرة للانسان عبر ربطه بمبدأ التوحيد . وان عملية التحرير الكبرى التي تزجها الشريعة الاسلامية للانسان بوصفه فردا وللانسانية بوصفها مجموعا يتم عبر محورين هما:

أ . **محور النفس الداخلية** : عبر جهاد النفس والسير والسلوك الى الله سبحانه للوصول الى مرتبة التوحيد الحقيقية والتخلص من عبادة الاصنام سواء كانت مادية ام معنوية ، بشرية ام جامدة.

وهذه الظاهرة (الصنمية في النفس الانسانية) يمكن ارجاع سبب وجودها الى نقطتين :

الاولى: عبودية الانسان للشهوات التي تجعله يتنازل عن حريته الى الصنم الانساني الذي يتصور (واهما) انه قادر على تامينها له وضمانها.

الثانية : هو جهل الانسان بما وراء هذه الاصنام التي يحسبها آلهة من نقاط ضعف وعجز، فهي لاتستطيع ان تمنع حياة او تدفع موتا او تجلب نفعا او تنفي ضررا الا بما وفر الله سبحانه من اسباب وموجبات. قال تعالى: (قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم. اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون) الانبياء/ 66 . 67

ب . **محور العلاقات الاجتماعية** : لهذا المحور تطبيقات عملية عديدة لمبدأ الحرية تتناول مختلف اوجه النشاط الانساني الاجتماعي وتتسع تطبيقات مبدأ الحرية باتساع الحياة الانسانية نفسها على وفق نسق ارتقائي يهدف الى رفع الانسانية الى الدرجة التوحيدية المطلوبة لها في الحياة الدنيا، والى هذين المحورين (محور النفس ومحور العلاقات الاجتماعية) يستند مبدأ الحرية في الحضارة الاسلامية ويعمل في مجالين محددين هما:

1 . الحرية الشخصية :

2 . الحرية الجماعية :

وهذان المجالان يتحددان بضوابط الشريعة وتحديداتها وتقييداتها التي قننت بشكل منهجي يبتغي ابعاد الضرر الناشئ من الممارسة اللامسؤولة واللا مشروعة للحرية ، فالحرية شيء والفوضى شيء اخر مختلف عنها تماما ، كما هو معروف وثابت وان المعيار او الضابط الذي يحكم على فعل ما، او قول او سلوك بانه قائم على

الحرية الحقّة او الفوضى متجسد في الاوامر والنواهي والقيم الاخلاقية المستندة الى الشريعة الاسلامية التي تحدد قيمة السلوك ووضعه واتجاهه وهدفه ، بانه قائم على ممارسة واعية لمبدأ الحرية المرتبطة تكويناً بالله سبحانه وتشرعاً بالرسالات الالهية والرسول والانبياء المبعوثين رحمة للعالمين .

* القواعد والمعايير المنظمة للحرية في الحضارة الاسلامية :

1 . المعايير والقواعد الاخلاقية : وهذه المعايير تركز على فطرة الانسان التي اودع فيها الله سبحانه ما يؤهلها للحكم بوجود التزام قيم الحق والعدالة والفضيلة والرحمة والتقوى، ونبذ ما يخالفها، باعتبار ان تفعيل هذه القيم بعد اعتمادها في الواقع الانساني يوصل الى الكمال المطلوب.

فرفض الهوى والانانية وتطويع النفس الامارة بالسوء باتجاه جعلها نفس مطمئنة مروراً بمرحلة النفس اللوامة هي ما يحكم العقل السوي (الضمير) باتباعها لانها جميلة وحسنة في حد ذاتها، والنفس الانسانية طالبة للجمال والكمال ،والانسان (اي انسان) على نفسه بصيرة ولو الق معاذيره، وهي بصيرة اخلاقية تجعله يميز بين طريقي الفضيلة والرذيلة، الخير والشر، الحق والباطل.

وان قوة الالتزام الاخلاقي المقنن لمبدأ الحرية انما ينبع من الارادة الواعية والمسؤولية المستندة الى الايمان المعرفي الراسخ لانتخاب المسلك المطلوب.

ومن خلال ما تقدم نستطيع ان نقرر ان المبعث النبوي الشريف انما كان يستهدف اتمام مكارم الاخلاق وجعلها الحاكمة على حركة الامة المسلمة واعتبار هذه المهمة الكبرى سر الرسالة المحمدية الغراء.

2 . القواعد التشريعية : لقد حددت الشريعة الغراء المعايير الشرعية التي يتم اللجوء اليها بدقة بالغة كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والرسائل العملية للمجتهدين الاعلام والتي تتناول ادق تفاصيل العبادات والمعاملات.

3 . العرف الاجتماعي : ان قوة الضغط التي تولدها الاعراف والتقاليد الاجتماعية لها اثر لا يستهان به في حرية الانسان وقد يصل الامر الى درجة خطيرة على

مستقبل الانسان. وهناك امر مهم لابد من ذكره هو ان هناك ضغطاً مؤثراً يمارسه العقل الجمعي (عقل القطيع) الناتج من الايحاء الجماعي في التجمعات والتظاهرات في حرية افراد التجمع وكذلك ما يمارسه الطغاة من سلوكيات مرهبة ومخوفة فان لها اثر واضح في حرية الانسان وحركته في الحياة.

وبناء على ما تقدم، يمكن القول: ان للعرف الاجتماعي وجهان للضغط المحدد لمبدأ الحرية

فالجوه الاول: ايجابي النزعة بما هو كائن في الضمير الاجتماعي من اعراف وتقاليد كريمة، كمكارم الافعال والاقوال والمواقف.

والوجه الثاني: سلبي بما يتوارثه الابناء من الاباء من عادات وتقاليد وامور ما انزل الله بها من سلطان .

* بعض الحريات الموجودة في الحضارة الاسلامية:

1 . حرية الاعتقاد: قال تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) البقرة /256، ومن هذا النص القرآني نفهم عدم وجود اي اكراه في الدين لئلا يبطل الثواب والعقاب ، فالله سبحانه وتعالى امر الناس تخييراً ونهاهم تحذيراً. وهذا يدل على مبلغ تقدير الله سبحانه وتعالى واحترامه لحرية الانسان ، اكرم مخلوقاته وخليفته في ارضه.

2 . حرية التعبير والحوار : من روائع القرآن الكريم التي لاتحصى ، انه يحترم انسانية الانسان في الحوار والتعبير عن الراي وتتجلى عظمة الاسلام عندما يضع حامل الرسالة الكبرى المبعوث رحمة للعالمين الرسول الاعظم (ص) على قدم المساواة في الحوار مع الآخرين ولا يفرض بالقوة او بتغليب رايه وعقائده على غيره ، قال تعالى (قل من يرزقكم من السماوات والارض قل الله وانا اياكم لعلى هدى

او في ضلال مبين) 24/سبأ اي ان عملية الحوار تنطلق ابتداء من موقف لاتفاضل فيه لراي على اخر ويتساوى فيه طرفا الحوار .

3 . الحرية الفكرية : لقد ترك الاسلام المجال مفتوحا امام المسلمين وغيرهم افرادا وجماعات لممارسة دورهم السياسي والفكري بشكل كبير . وكذلك اباح الاسلام للمسلمين تشكيل الجمعيات و الهيئات والاحزاب وانشاء المنتديات والمراكز الثقافية والاجتماعية واطلق الحرية في تأسيس دور الاذاعة والتلفاز والفضائيات والاهم من هذا ، ان هذه الاباحة كانت قد منحت لقوى الشر والباطل لنشر عقائدهم والترويج لمفاسدهم وابطالهم وهذه الاباحة في اعطاء الحرية للباطل كانت مقابل اعطائها الى اصحاب الحق الذين لايتركونه (اي الباطل) يصول ويجول في الساحة فهؤلاء سيقومون بالرد عليه وفضحه ومن ثم تحجيمه ومحاصرته فيكون زوبعة في فنان، ولكن اذا اضطهده ومنعت الناس من التعرف عليه ولاحقت اصحابه باي صورة ، فانه سيتحول على الرغم من بطلانه الى فكر شهيد وسيكون ((الفكر الشهيد الذي لا يحمل اي قداسة للشهادة، لان الناس تتعاطف مع المضطهدين)) وذلك فقد منحته حقا لا يستحقه.

4 . حرية السكن والتنقل: لقد اعطى الله سبحانه وتعالى الانسان الحرية بالانتقال والحركة وطلب الرزق الحلال وعمار الارض في اطار اخلاقي يستهدف الهجرة الى الله تعالى باعتباره المقصود الحقيقي لحركة الانسان في الحياة ، قال تعالى: (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) النساء/100 وبالإضافة الى ما تقدم فقد اكد الاسلام رفض الحدود الاقليمية او القومية او القيود العنصرية ، فلا يوجد لزوم لجواز السفر وتأشيرة المرور وغيرها مما ابتدعه الانسان من نفسه فوضع حواجز بين الشعوب و الامم ، فلانسان متى شاء وائى اراد ، ان يقيم في اي بقعة من الارض دون قيود او موانع مصطنعة.

5 . حرية التملك : يقوم هذا المبدأ في الحضارة الاسلامية على قاعدة جوهرية وهي ان الانسان يمتلك ملكا اعتباريا جعليا استخلافيا . (وانفقوا مما جعلناكم مستخلفين

فيه) الحديد/7 ، لا ملكا حقيقيا لان المالك الحقيقي لكل شيء هو الله تبارك وتعالى ، وان فهم اعتبارية ملكية الانسان مسالة غاية في الاهمية فالايامن بها يجعل الانسان ينفق بحسب ما تقرره الشريعة، ويكون المال عنده وسيلة لا غاية يحقق بها سعادته وسعادة الآخرين كذلك ، وينهي مسالة الاحتيال والكسب غير المشروع ومن ثم ينتظم الاجتماع العام وتسوده العدالة والرحمة.

* التطبيقات العملية لمبدأ الحرية عند المسلمين:

1 . الرسول الاعظم (ص) والحرية: خير من وصف دور الرسول(ص) في هذه النشأة هو رب العزة، اذ قال تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون) الاعراف/157، فنص الاية الشريفة يدل على ان الرسول (ص) يقوم بتحرير الانسانية من غل الشهوات وعبودية الاصنام ، لانه يمثل الانسان الحر الكامل الذي حاز هذا المقام من خلال عبوديته لله تعالى، وبما ان هذا الوجود الرسولي المبارك كان رحمة للعالمين نراه يقوم بكل ما من شأنه تحرير الناس من كل عبودية سوى عبودية الله تعالى ليصلوا الى مقام الفلاح .

ومن فيوضات الرسول الاكرم(ص)انه:

. اسقط الاصنام التي كانت قائمة في ارض العرب وبين للناس انها احجار لا تملك لنفسها ولاغيرها خيرا او نفعا.

. حرر العبيد والموالي بجملة تشريعات رائعة بعد ان كان نظام الرق ضاريا اطنابه في مفاصل المجتمع الجاهلي.

- حرر المرأة من القيود البالية والعادات الجاهلية وحرم على المجتمع نكاح الاستبضاع الجاهلي ونكاح المحرمات وخلاصة الامر ان الرسول الاكرم(ص) قد

جاء بما لم ياتي به غيره من الرسل الاولين والآخرين وكان بحق محرر الانسانية الاول.

2. امير المؤمنين، الامام علي (ع) والحرية : ولمعرفة عظمة الامام علي (ع) في تطبيقاته لمبدأ الحرية نذكر مثالا واحدا يتعلق بحرية الاعداء (الخوارج) الذين كانوا يمثلون الخطر الاكبر على خلافته العلوية، الخوارج الذين شقوا صفوفه وافسدوا عليه امره وكانوا شرا عليه من معاوية وجنده (1) .. ولكن، وبالرغم من ذلك الخطر الذي كانوا يمثلونه فقد تركهم يتحركون بحرية لترويج ما يعتقدون به من افكار ،فضلا عن استمرار العطاء المخصص لمن يستحق منهم ذلك العطاء من بيت مال المسلمين ، موضحا ذلك لمن حاول الاعتراض بقوله : (لا اقاتلهم حتى يقاتلوني . وسيفعلون) (2) وزاد على ذلك بان اوصى اتباعه (الا يقاتلوا الخوارج) لانه رآهم مخلصين وان كانوا مخطئين وعلى خطئهم مصرين(3)

وبالاجمال ، فكأن لسان حاله يقول : (ما زال هؤلاء لم يرفعوا السلاح في وجه الدولة ولم يسببوا ضررا للمسلمين في اموالهم واعراضهم وارواحهم . اذن والحال هذه ، لهم الحرية الكاملة في التعبير عن الرأي . التي كفلها الاسلام لهم . كما كفلها لغيرهم . الا اذا تصرفوا خلاف ذلك ورفعوا السلاح بوجه الدولة "السلطة الشرعية" فسوف يطالهم القانون كما طال غيرهم من قبل(4) .

(1) العقاد . عباس محمود ، عبقرية الامام علي ، دار الهلال 1970،ص15

(2) العقاد . عباس محمود ، عبقرية الامام علي ، دار الهلال 1970،ص13

(3) نفسه ص15

(4) وهذا مضمون كلام الامام علي (ع) وليس نصا ، لذا وجب التتويه

4. المبحث الرابع :

الحرية ونظام القيم والجزاء في الحضارة الاسلامية:

اولا: منظومة القيم والحرية:

1 . القيم الاخلاقية : وهذه القيم تنطبق على الفرد والجماعة في آن واحد ولكن كل بحسبه، فالالتزام بالقيم الاخلاقية التي تُمت مكارمها بشخص الرسول(ص) هو اهم ما يميز الحضارة الاسلامية الاصيلة عن باقي الحضارات ومن الامثلة التي لا بد من ذكرها لتوضيح اصالة وقوة الحضارة الاسلامية :

أ . القيم العملية المتمثلة بالتواصي بالحق والصبر :قال تعالى:(والعصر ان الانسان لفي خسر، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) سورة العصر .

ب . القيم الاخلاقية العملية المتمثلة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر: ان الهدف المبتغى من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو استقامة الفرد والمجتمع وصيانتهما عن الانحراف وتسهيل السبل للوصول الى الكمال ضمن التخطيط

الالهى للرسالة الغراء والذي يستند على قاعدة تكوينية مهمة وهي ان (قوى الخير اقوى واوسع بكثير من قوى الشر وهي اوسع في المجتمع البشري المنظور)
ج . قيم التواصل والتراحم والتبازل : وهذه القيم كما حددها الرسول (ص) والقرآن الكريم وأئمة اهل البيت (ع) ، تتلخص في تعزيز التلاحم الاجتماعي بين افراد المجتمع ليكون قويا وسعيدا ومتضامنا في السراء والضراء وحين الباس ، وبدأ بالقيم المتصلة بصلة الرحم ، قال تعالى : (وقضى ربك الاتعبد الا اياه وبالوالدين احسانا (الاسراء / 23 ،

وبالاجمال ، فهناك عشرات الايات الكريمة التي تحت على التراحم والتبازل والتواصل وذم البخل والبخل وقاطعي الارحام وصلة اخوة الايمان ، ولنا في قصة مؤاخاة النبي (ص) للمهاجرين والانصار اروع تطبيق لهذه القيم ، فقد اقتسم المهاجرون والانصار عن طيب خاطر الاموال والسكن والعمل، بل وصل الامر الى حد ان قام عدد من الانصار بتطبيق بعض ازواجهم ليزوجوها لآخوانهم المهاجرين.

2 . قيم الحياة والملكية:

أ . قيم الحياة: تؤكد قيم الحياة في الحضارة الاسلامية على ان الحياة هبة الله العظمى ونعمته الكبرى وهي امانة مودعة عند الانسان الى اجل مسمى فعليه المحافظة عليها وعدم تعريضها الى الضرر والهلكة ، قال تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) البقرة/195 فلا يجوز للمسلم الاساءة الى الامانة المحفوظة عنده وهي حياته ولهذا فلا يستطيع ان ينهي حياته ولا حياة غيره الا بالحق ، وان فعل خلاف ذلك فانه سوف يموت كافرا ويدخل جهنم خالدا فيها .
 قال تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً) النساء / 93 بل وذهب الاسلام ابعد من ذلك حينما جعل تحرير الرقاب سبيلا الى تكفير الذنوب في قضايا عديدة كالافطار المتعمد في رمضان او اليمين بالظهار ، والغاية من هذه التشريعات هو تحرير العبيد في زمن الرسالة وسن سنة حسنة لما يكون في قادم الايام لكي يتحرر الانسان من عبودية الانسان

والشهوات والاعلال ويكون عبدا لله تعالى فقط ، وبذلك يكسب منزلة الاحرار الحقيقيين .

ب . قيم الملكية: لقد اوضح القرآن الكريم والسنة المطهرة بما لا يقبل مجالا للالتباس والغموض ، ان الملكية الحقيقية لله سبحانه وتعالى وحده وليس لغيره شيئا الا باذنه ، وقد ذكر هذه الحقيقة الخالدة القرآن الكريم بصورة مستمرة لكي ينتبه لها الانسان ويصحح اعتقاداته وسلوكه وينتظم عليها افراد المجتمع كذلك ايضا ، وهذه بعض الايات على سبيل المثال لا الحصر : قال تعالى : (ولله ملك السماوات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء) المائدة/17، (مالك يوم الدين) الفاتحة/3 (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) غافر/16، ولبيان الفرق الجوهرى بين الملكية الحقيقية والملكية الاعتبارية نقول :

ان الملكية الحقيقية لاتنفك عن مالکها في مطلق الاحوال بينما تنفك الملكية الاعتبارية عن مالکها في معظم الاحيان وتحت ظروف واوضاع زمانية او مكانية ، هذا من جهة . ومن جهة اخرى فالملكية الحقيقية ثابتة لايجدها زمان او مكان او قيد اخر فهي مطلقة بينما الملكية الاعتبارية محددة بهذه العوامل والمالك الحقيقي له حق التصرف بها تكوينا دائما ،بينما يمنع هذا الحق من الملكية الاعتبارية تحت ظروف معينة . وهذه اهم الفروق بين المالكيتين ((والثمرة المتحصلة من الفهم الصحيح لموضوع الملكية الحقيقية والاعتبارية هو اتباع ما يامر به المالك الحقيقي المالك الاعتباري في التصرف فيما استخلف فيه)) وان تصحيح المفهوم الخاطى لموضوع ملكية الانسان سيكون مقدمة لتصحيح سلوكه وتحقيق استقامته ونفي الظلم وتحقيق العدالة والحرية.

3 . قيم النظام : وهي تلك القيم التي تنظم و تؤطر العلاقة بين السلطة والامة وتقنن علاقة الحاكم بالمحكوم وتبين حدودها وضوابطها فهذه القيم حاکمة على مبدا الحرية في الاسلام وتؤطرها باطارها المتميز والذي يحدد مساحة وحرية الحركة داخله وبما يحقق الانتظام ومقاصد الشريعة في آن واحد .

ومن اهم ملامح هذه القيم التي لها علاقة بمبدأ الحرية في الاسلام هي :

أ . **مبدأ النص** : الذي يعتقدونه الشيعة الامامية استنادا الى آية الولاية (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) المائدة 55/، وحديث الغدير المتواتر ومئات الاحاديث النبوية الموثوقة في خلافة أئمة اهل البيت (ع).

ب . **مبدأ الشورى** : الذي يعتقد به اهل السنة الذين ينكرون النص الالهي والرسولي في تعيين الامام . وعندهم :

ان الامام خليفة ارضي ينظم شؤون العباد ويسوس الرعية ويحفظ الثغور ويحكم بين الناس وتستند خلافته على المبايعة او التغلب بالقوة على السلطة واستندوا في رأيهم على آيات الشورى في القرآن الكريم ، واحاديث الرسول (ص) عن الشورى وتنصيب الخليفة ليسوس الناس بالعدل والاحسان وفق الشريعة بما يكفل انتظام الاجتماع العام بعد ان تتعقد له البيعة باحدى الطرق المبنية في كتبهم.

4 . **قيمة القوة** : يقرر الاسلام بشكل قاطع ان مصدر القوة الوحيد في الوجود هو الله سبحانه تعالى ، قال تعالى : (ولو يرى الذين ظلموا أذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا) البقرة / 165 وهذه الآية وغيرها تدل على ان الله سبحانه هو القاهر فوق عباده ومقتضى ذاته تقتضي القيمومة والقاهرية والهيمنة على الوجود باجمعه وان الله سبحانه يريد من عبده الاقرار بهذه القوة المطلقة والفريدة له وحده جل وعلا (ليس حاجة اليها وهو الغني المطلق) بل لاجل العبد نفسه حتى لا يطغى ان امتلك اعتبارا او تكوينا احد مظاهر قوة الممكن فلا حول الا بالله ولا قوة الا له وبه جل شأنه .

ثانيا : منظومة الجزاء : يتقيد مبدأ الحرية الاسلامي بمنظومة الجزاء الواردة في الكتاب والسنة وهذا التقيد الذي تفرضه هذه المنظومة على مبدأ الحرية ، انما يؤطر حركة هذه الحرية في الحياة ويوجهها الوجهة المبتغاة لها ربانيا وعلى هذا الاساس يمكن القول ان قيود منظومة الجزاء بحاكميتها على مبدأ الحرية ، انما تستهدف تقنين هذه الحرية وتنظيمها واعطائها الصبغة الشرعية ضمن الاطار

الشرعي وهذا يمثل مصدر قوة وفاعلية لمبدأ الحرية بدل ان يكون مصدر للضعف والتقييد (فلا الانفلات) من جميع القيود والضوابط هو كفيل بحصول الانسان والانسانية على السعادة والكمال، لان فيه تدمير للنظام الاجتماعي وتفكيك للعلائق الاجتماعية القائمة على التوازن بين الحقوق والواجبات والمصالح المشتركة وروابط الدم والعقيدة واستباحة للحرمات والمحضورات والتي من شأنها ان استباحت تمزيق الوحدة الاجتماعية التي تجمع شمل الامة وعودة الانسان الى شريعة الغاب وقوانين الافتراس والوحشية المطلقة والتي تآبى حتى الحيوانات الضارية ان تجري عليها لان الحيوان انما يفترس لسد حاجة الجوع ولادامة نوعه من الانقراض. (ولا فرض القيود) الظالمة وتقييد الحريات بشكل شمولي وقهري هو الكفيل بسعادة الانسان.

ولان الله سبحانه وتعالى يعرف خصائص الانسان ونقاط ضعفه العديدة لهذا دعت حكمته ورحمته بعباده الى تقنين سلوك العباد وفعالهم وبما ينسجم مع فطرة التكوين والهدف المبتغى من خلق الخلق فوضع نظام الجزاء الذي يوازي به مقتضيات فطرة الانسان (التي فطرها البارئ جل شأنه) وبين غرائزه وحاجته الاساسية بلا افراط او تقريط، وقد تطور هذا النظام الجزائي الالهي بحسب درجة تطور الانسانية الفعلي والحضاري الى ان استقر بشكل نهائي على ما هو عليه في الشريعة الاسلامية الخاتمة لما قبلها ويمكن تلمس مفردات هذا النظام الجزائي المقنن لمبدأ الحرية وبحسب الاتي:

1. الجزاء على مستوى النفس الانسانية : وهذا بدوره ينقسم الى قسمين وهما:

أ- الجزاء السلبي : الذي تقتضيه بواعث الايمان في نفس الانسان المؤمن، ومن عقاب الضمير والنفس اللوامة فيرجع الانسان المذنب عن ذنبه ويستغفر ويتذكر قدرة وعظمة وجبروت الله تبارك وتعالى عليه وعلى الوجود باجمعه قال تعالى : (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) ال عمران 135. وهذا الجزاء مثلما هو فاعل على مستوى الفرد ، كذلك يفعل على مستوى الجماعة

ب . **الجزء الايجابي:** وهذا الجزء يتمثل في جوانب كثيرة ، كالثواب على السلوك الايماني والكدح المعرفي المترقي الى الله سبحانه ، وهذه الجوانب الايجابية تمثل طاقة محركة للسالك وزاد يتزود به في سيره التكاملي لنيل رضوان الله ، فان الوعد الالهي للمؤمنين بالجنة والرضوان الاكبر كفيل بشحنهم بطاقات قوية واعطائهم العزيمة للمضي قدما في الصراط وهذه جزاءات معنوية ايجابية للمسلم المؤمن والامة المؤمنة التي تلتزم منهج اسلوب التكافل والتضامن وقيم التعاون بينها .

2 . **الجزء الخارجي :** وهذا الجزء انما جعله الله تعالى على نوعين:

لنوع الاول له وجهان :

الوجه الاول : مادي ايجابي يتمثل في توزيع الفيء على المسلمين وغنائم الحرب وقضاء الغارم (دين المعسر) او المتوفي وكفالة المعيشة الانسانية للفقراء والمساكين وتوفير سبل الحياة الكريمة وحمايتهم للناس جميعا ولو كانوا من اهل الذمة .

الوجه الثاني: معنوي تمثل في قيام الاسلام بانزال المسلمين وبلادهم مكانة شرفية عالية اعلى من غيرهم وسر هذا العلو يرجع الى ان الدين الاسلامي خاتم الاديان واكملها وهو يعترف بالشرائع السماوية ويقر بنبو الانبياء السابقين له بينما بقية الناس من غير المسلمين لايعترفون بالاسلام بل ولا بغير شرائعهم ف (الاسلام يعلو ولا يعلو عليه)

النوع الثاني : ويتمثل بالقوانين والحدود المبينة في الشريعة الغراء ، وهذه الحدود تمثل ضمانا للفرد والمجتمع من التفكك والتمزق ، ويتم عبر تطبيقها ادراك مقاصد الشريعة السمحاء . وقد بينت الرسائل العملية والكتب الفقهية للعلماء والفقهاء تلك القوانين والحدود بدقة كبيرة . وهذان النوعان من الجزاء مخصوصان بالحياة الدنيا ولكن ان تمرد الانسان على الشريعة والقوانين الربانية فسوف تنمرد عليه قوانين الطبيعة والكون ايضا ، لانها منسجمة تماما مع النظام الاحسن الذي خلقه الخالق الاعظم جل شانه.

وبهذا الفهم نستطيع ادراك سر الكوارث والابوئة والمصائب والبلايا التي تنزل على الانسان المارق والامم الباغية والمتمردة على ربها الرحيم ، والتي تعم الجميع من ابرار وفجار ، قال تعالى : (واتقوا فتنة لاتصيبين الذين ظلموا منكم خاصة) (الانفال 25/ ، وهناك جزاء اخروي بينه القرآن الكريم والسنة المطهرة ، بما لامزيد عليه ، اما جنة او نار ، قال تعالى : (ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . وما نؤخره الا لاجل معدود . يوم يات لاتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد . فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك ، ان ربك فعال لما يريد . واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) (هود / 108,103 صدق الله العلي العظيم)

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المصطفى اشرف المرسلين وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

جمعية النهوض الفكري
الكاظمية المقدسة

مقاربات موضوعية بين الاسلام والديمقراطية في الحضارة الغربية

مقاربات موضوعية

بين الاسلام والديمقراطية في الحضارة الغربية

المقدمة:

يمكن القول، ان البون الشاسع الذي يفصل بين الاسلام والديمقراطية، كان وما زال يمثل العقبة الكأداء التي تقف حائلا امام اية دراسة تحاول القيام بمقاربة موضوعية بين الاسلام من جهة، والديمقراطية في الحضارة الغربية من جهة اخرى، والسبب في ذلك يعود الى كون الاسلام ديناً سماوياً جاء به خاتم الانبياء والرسول، النبي الاكرم محمد بن عبد الله (ص) من الله سبحانه، ليكون آخر الرسالات السماوية، كونها اشتملت على كل ما يحتاجه بني البشر من معالجات جذرية لجميع الهموم والمشاكل (البسيطة منها والمقدة التي يعانون منها وستبقى كذلك الى ان يقضي الله امرا كان مفعولاً) الانفال/44، 42

وهذا يعني فيما يعنيه، ان الرسالة الاسلامية ودورها الفعال في حياة البشر لم ولن تكون نسبية في يوم من الايام، انما كانت وما زالت وستبقى مطلقة، كونها جاءت من الحقيقة المطلقة المتمثلة بالذات الالهية الكاملة. اما الديمقراطية التي جاءت بها الحضارة الغربية والتي تناولتها الدراسة، على اعتبار انها تمثل الطرف الثاني للمعادلة في الدراسة الموسومة (مقاربات موضوعية بين الاسلام والديمقراطية في الحضارة الغربية)* لا يمكن ان تكون رديفة للاسلام الكامل بمعجزته الخالدة، القرآن الكريم الذي

* القيت المحاضرة في جمعية النهوض الفكري /الكاظمية المقدسة، يوم الجمعة الموافق 2011/5/6 م ، وقد ادار الجلسة الدكتور عبد العزيز داخل عبد الكريم. علما ان المحاضرة ستلة من الدراسة الموسومة (اشكالية العلاقة بين الحرية والديمقراطية) للباحث الاستاذ احسان محمد العارضي، وهي دراسة مقارنة بين الحرية في الحضارة الاسلامية

(لاياته الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فصلت/42، فضلاً عن شموليته التي قال عنها المشركون (مال هذا القرآن لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) الكهف/49 ، بينما الديمقراطية وجميع التشريعات والقوانين التي جاءت بها، كانت وستبقى تعاني من الخلل الممل بسبب النقص الذي يعتريها كونها من صنع الانسان، الذي يعاني هو الاخر من نقص قاتل ، اثبتت الوقائع والتجارب وعلى مر الايام والسنين، بانه من غير الممكن تداركه وجبره الا بالتوجه الجاد والمخلص الى الحقيقة الكاملة التي يمثلها الله سبحانه. وبالاجمال، يمكن القول ان الدراسة المنوه عنها في اعلاه، تناولت موضوعاً على درجة كبيرة من الاهمية، كونه استهدف تحقيق الامرين التاليين:

1-التعريف بمفهوم الديمقراطية، وفك الاشتباك المفهومي بينه و بين الحرية في الحضارة الاسلامية.

2- بيان الغاية التي يروم اليها مفهوم الديمقراطية.

و ثمة نقطة جديرة بالاهتمام تضمنتها الدراسة، تمثلت في تناولها الديمقراطية من حيث المنشأ والمنطلق والابعاد، مع التأكيد على المراد الاستعمالي لهذه المفردة الخطيرة في حياة الامم و الشعوب، و محاولات التسييس و المكر الايديولوجي و الاعلامي للماكنة الثقافية و الاعلامية الغربية باتجاه العالم الاسلامي عامة و العربي خاصة . فضلاً عن تبيان المزايا السلبية و الايجابية للديمقراطية من جهة و مقارنتها مع الحرية في الحضارة الاسلامية من جهة اخرى. و قد توزعت هذه الموضوعات على المباحث التالية:

1- المبحث الاول: الديمقراطية النشأة و المفهوم.

2-المبحث الثاني : المبادئ العامة للديمقراطية.

3-المبحث الثالث : الحريات في الغرب.

4-المبحث الرابع: الديمقراطية و نظام القيم و الجزاء.

5-المبحث الخامس: الديمقراطية و الاسلام.

6-المبحث السادس: المكر الايديولوجي الغربي في العالم الاسلامي.

1. المبحث الاول :

الديمقراطية النشأة والمفهوم :

- تعريف الديمقراطية وتطورها:وتعني سلطة الشعب وحكومة الشعب التي يختارها الشعب وهي فلسفة قامت على اساس التطور الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات الاوربية ،خصوصا بعد الثورة الصناعية وتطور وسائل الانتاج. فهي تعتمد على مبدأ حاكمية الشعب قبال المفهوم الاسلامي لمبدأ الحرية الذي يقوم على مبدأ التوحيد والاقرار والالتزام العملي بالعبودية لله سبحانه وتعالى، والتي تعتبر الاساس الذي تعتمد عليه حركة الانسان والمجتمع ،ومن هذا المدخل (أي ذل العبودية لله تعالى) ينبثق مبدأ الحرية بحسب العقيدة الاسلامية ليشمل جميع الحريات التي اتاحها الله سبحانه وتعالى للانسان المستخلف في الارض.

فمنشأ الحرية و الديمقراطية في الحضارة الغربية قد تكون كنتاج لعملية تأريخية تراكمية للفكر الغربي تطورت ببطء عبر الزمن و من خلال المعاناة الشديدة للشعوب الاوربية،و اكتسبت شكلها النهائي الذي نعرفه في هذه الايام. فهي (أي الديمقراطية)،لم تكن فكرة جاهزة بل هي عبارة عن فكرة تشكلت عبر الزمن فنجد فيها مؤثرات افلاطونية، من حيث الاعتماد على المساواة امام القانون و غير ذلك من الافكار " بينما نرى"ان الحضارة الاسلامية و مبانيها الفكرية و العملية المختلفة قد أُُنزلت من الله سبحانه و لم تتطور او تستحدث على ايدي البشر وهذه نقطة مهمة جدا".

و هنا لابد من بيان الفروق الاساسية لمفهوم الديمقراطية بين الفكر اللبرالي و الفكر الاشتراكي، فاللبراليون يقولون ان الديمقراطية تقتضي تعدد الاحزاب، و هذا التعدد يعطي الشعب حرية الاختيار بين عدة برامج سياسية او اجتماعية تطرحها هذه

الاحزاب، لكن لينين منظر الشيوعية بعد ماركس، يعتبر الدولة البروليتارية هي وحدها الدولة الديمقراطية، و يصفها بأنها الشكل الكيفي الجديد للديمقراطية في اعلى مراحلها.

و الجدير ذكره، ان الديمقراطية، بالمفهوم الليبرالي الحديث لم تظهر الا بعد النهضة الاوربية ، عندما قام فلاسفة الغرب بالتظير لها ، فقال (مونتسكيو) في تعريف للحكومة الديمقراطية ، انها تكون ديمقراطية "حين تمسك الامة في النظام الجمهوري مقاليد الامور بيدها ، يكون هذا النوع من الحكم ديمقراطياً"

و ذهب (جان جاك روسو) خطوة متقدمة عندما قرر "ان حكم الاكثرية هو الافضل" اما المفكر (ويل ديوانت) فقد نقد تسلط الاكثرية على الاقلية ، لأن امراً كهذا سيؤدي الى تصعيد الغرور لدى عامة الناس و يؤدي بالقدر نفسه الى احباط في الروح المعنوية لدى النوابغ و يجعل عبقريتهم غير ذات جدوى.

- **فلسفة الحرية في النظام الغربي المادي** : يقر الغربيون ان الديمقراطية هي افضل وضع ممكن تم التوصل اليه، يقوم بتنظيم العلاقة بين الحاكم و المحكوم، و بها ومن خلالها تحدد الحريات المختلفة المسموح بها ضمن خصوصيتها المميزة لها، وان هذا الوضع الذي ابتدعه العقل البشري ، هو افضل ما يستطيع تحقيقه عبر تاريخ الانسانية الطويل ، لكي يستمر المجتمع الانساني في التطور و يأخذ فرصته الكافية للخلق و الابداع "فيستحيل علينا ان نتصور عقلاً في اكمل حالات شعوره، يتلقى بشأن احكامه توجيهات من الخارج ، فأرادة الكائن العاقل لاتكون ارادته التي تخصه بالمعنى الحقيقي الا تحت فكرة الحرية" كما يقول الفيلسوف الالماني : (ايمانويل كانط) . وقد ربط (ديكارت) بين الارادة والحرية ربطاً عضوياً حتى اعتبرها شيئاً واحداً لان الحرية كشعور فقط ليس الا وهما كما يذهب الى ذلك (ديفيد هيوم).

لكن (برجسون) ينحى منحى اخر في التعبير عن الحرية والذي يؤكد بانها الاعمال الحرة التي تصدر عن الذات الانسانية ، والتي تلخص وضع الذات وتنتزع منها كما تنتزع ثمرة

ناضجة، لكن ذاتية وخصوصية ومظهر هذه الحرية يجب ان يكون لها طابع يسيطر على الطبيعة ولا يخضع لسيطرتها فتكون ذات طبيعة فاعلة لاطبيعة منفصلة حسب مقال (سبنوزا).

- **نبذة تاريخية عن تطور الديمقراطية :** لقد نشأت الديمقراطية في ظلال نظم الحكم القديمة في حضارة اليونان والتي كانت مع ذلك تقرر مبدا العبودية والاسترقاق ، باعتبار ان العبيد لا يمتلكون حقا لهم في الحياة العامة وشؤون التشريع وسن القوانين، واتخاذ القرارات الهامة في البلاد. وثمة نقطة مهمة في هذا المجال ان (الديمقراطية لم تظهر بالمعنى اللبرالي الا في القرن الثامن عشر حين بشر المفكرون الاوربيون بفكرة المساواة وطالبوا بحق الشعب في اختيار حكومته والاشراف عليها).

وقد تطور النظام الراسمالي الغربي وقد تطورت معه الديمقراطية بفعل الغزوات الاستعمارية التي قامت بها الجيوش الاوربية التي امنت تدفق الموارد الطبيعية اللازمة للتطور الصناعي وهذا ادى الى انتعاش الغرب ، وظهور الرساميل الضخمة والشركات الكبرى التي قامت باستمرار بتطوير مواردها وادائها ، وهذا يعني ان تطور مفهوم واليات الديمقراطية قد تم عبر مرحلتين تاريخيتين متميزتين عن بعضهما البعض.

فالمرحلة الاولى: بدأت من حضارة اليونان الوثنية الى قيام النهضة الاوربية وكان الطابع المميز لهذه المرحلة هو سيادة مظاهر الظلم وقمع الحريات بشكل عام الا فيما ندر.

اما المرحلة الثانية: وهي الالهة على الاطلاق فقد بدأت بعد النهضة الاوربية والى الوقت الحاضر، حيث تطورت مبادئ وآليات الديمقراطية عبر تطور النظام الراسمالي نفسه وهذه ملاحظة جديرة بالانتباه، اذ ان التطور المادي قد افرز الديمقراطية بل والنظام الراسمالي نفسه فالعمل قد سبق الفكر وانتجه ، بينما نرى العكس في الحضارة الاسلامية الالهية والتي يسبق فيها الفكر العمل ، ويؤسس سياقاته ومبانيه العملية في نسق متجانس ومنسجم ومرتبطة بالبعد الغائي للوجود الانساني في هذه الحياة.

فالراسمالية عبر تطورها المادي هي التي قادت التطور الفكري والفلسفي للحضارة الغربية (والذي يتسم بغلبة الحس والنهج التجريبي والاستئناس بالمادة وقيمها) وهذه نقطة مهمة جدا لانها تمثل نقطة ضعف خطيرة في اصل نشوء الديمقراطية الحديثة والتي لا ترتبط الا ببعد واحد هو البعد المادي ونشأة المادة واصالة الشعب مقابل اصالة الله سبحانه وتعالى في اصل ومصدر السلطات.

وهناك عدة انواع من الديمقراطيات، منها:

الديمقراطية السياسية: التي تعنى بشؤون المواطنين السياسية مثل حق الاقتراع والتصويت .

والديمقراطية الاجتماعية: التي تعنى بتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص.

والديمقراطية الشعبية: التي تعني النظم الشيوعية التي ظهرت بعد سقوط الامبراطورية الروسية وقيام النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي

3. المبحث الثاني:

المبادئ العامة للديمقراطية :

- القواعد والاليات العامة للديمقراطية : هناك جملة قواعد ومبادئ اعتمدتها الديمقراطية ومنها:

1 . سيادة القانون العام (الدستور): وهذه القاعدة لاتبيح لاي جهة مهما كان وضعها الاعتباري خرق المواد الدستورية التي تمثل روح القانون ،ومنها تتفرع التشريعات والقرارات والانظمة واللوائح المختلفة فا لدستور يمثل فلسفة الدولة وشكل الحكم والعلاقات المتنوعة داخل المجتمع ولهذا فقد ترسخ مبدا احترام الدستور وعدم تجاوز القوانين المنبثقة عنه .وبذلك اصبح مبدا احترام الدستور والقوانين المنبثقة عنه يمثل ضمانا الديمقراطية القوي في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في النظام الراسمالي .وان أي تعديل او اضافة او حذف للبعض من المواد الدستورية لايتم الا بعد اخذ رأي الشعب بشكل مباشر او غير مباشر .

2 . تداول السلطة سلميا: يعتبر تداول السلطة بشكل سلمي بين الاطراف السياسية ،شكل من اشكال الصراع القائم بين الحكام والشعوب (فالديمقراطية الحديثة ليست الا ثورة بيضاء حيث يبدل الشعب حكامه بواسطة الانتخاب حيناً بعد حين والشعوب الان تستخدم اوراق التصويت لعين الغرض الذي كانت تستخدم السيوف من اجله قديما)

3. سيطرة المدنيين على المؤسسة العسكرية :فالديمقراطية الحديثة تقضي سيطرة الحكومة المدنية المنتخبة على المؤسسة العسكرية وغيرها من المؤسسات الامنية وتحبيدها وجعل مهامها الحفاظ على الامن والدفاع عن البلاد والخضوع الى رأي الحكومة والبرلمان واعطائها الصبغة المهنية فقط .

4 . حرية المعارضة والرقابة :وان هذه القاعدة تتيح دائما تحسين الاداء الحكومي وتضمن عدم استبداد الحكومة او خروجها على القيم الديمقراطية .

5- مؤسسات المجتمع المدني:ويقصد بها تلك الهيئات والمنظمات التي يقيمها الافراد خارج نطاق الدولة وبعيدا عن سيطرتها ونفوذها ،ويمكن اعتبار الاحزاب خارج السلطة وبعيدا عن الدولة وبعيدا عن سيطرتها ونفوذها جزء من مؤسسات المجتمع المدني .

6- التعددية السياسية:المتتمثلة بوجود الحرية السياسية للمواطنين والمكفولة دستوريا والتي تعد من ابرز سمات الديمقراطية ،وهذه الحرية تسمح بانشاء الاحزاب والهيئات السياسية التي تشارك في اللعبة الديمقراطية وفق قواعدها،ويعتبر النظام الراسمالي التعددية السياسية علامة صحة وعافية في مسار العملية السياسية لاي دولة ديمقراطية .

7 . فصل السلطات :لقد اعتمدت النظم الديمقراطية مبدا فصل السلطات الثلاث (التنفيذية،التشريعية،القضائية)واستقلالها عن بعضها لتسهيل العملية الديمقراطية بعيدا عن المشاكل والتجاوزات التي قد تحدث نتيجة تداخل عمل السلطات وعدم بيان حدود كل واحدة منها .

8 . فصل الدين عن الدولة:ان قضية فصل الدين عن الدولة تعد شرطا اساسيا لكل ديمقراطية حقيقية مبنية على اساس استقلالية السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ،وان منشا هذ القاعدة في النظم الراسمالية الديمقراطية هو التطور التاريخي لمفهوم السلطات عبر الزمن في اوربا وعلاقته بالدين .وهذا الامر حدث بسبب فشل الكنيسة في طروحاتها المتحجرة والقاسية ،خصوصا فيما يتعلق بالعلم والعقائد والنظرة الى الحياة بشكل عام.

9 . حكم الاكثرية: وهذا يعني ان صندوق الاقتراع هو الذي يعطي السلطة لفرد او حزب عن طريق حصولهما على اكثرية الاصوات وهذه الاكثرية تتبدل باصوات الناخبين ،فما كان بالامس اكثرية يصبح اليوم اقلية بعد خسارته في الانتخابات

وهكذا تستمر العملية الديمقراطية ،وقد انتقد بعض المفكرين الغربيين تسلط الاكثرية ومنهم(جان جاك روسو)فقال:(واذا اخذنا عبارة الديمقراطية بكل معناها الدقيق نجد ان الديمقراطية الحقيقية لم توجد ابدا ولن توجد ابدا فمما يخالف النظام الطبيعي ان يحكم العدد الاكبر وان يكون العدد الاصغر هو المحكوم ولايمكن ان نتصور بقاء الشعب مجتمعا على الدوام في الشؤون العامة).

اما الاليات العامة للديمقراطية فهي:

- 1 . الاستفتاء الشعبي: ويشمل القضايا التي لامناص من الرجوع الى رأي الشعب فيها مثل: اختيار الدستور واعتماد شكل معين من اشكال الحكم.
2. الاقتراع العام : ويتم عبر صناديق الانتخابات التي تقرر شكل الحكومة القادمة
- 3 . الانتخابات المباشرة وغير المباشرة :فالاولى تتم عبر صناديق الاقتراع الشعبي العام والثانية ما يقوم به اعضاء البرلمان لتعيين مجلس الرئاسة او رئاسة الوزراء
- 4 . استطلاعات الراي العام: ويتم ذلك عن قضايا محددة تهم الشعب او صنّاع القرار .

. اسباب قوة البعد المادي في الحضارة الغربية :

اولا:الاسباب التاريخية:ومنشا ذاك يعود الى نزول جميع الرسالات السماوية في الشرق وهذا الفقرالروحي جعل الغرب لايستطيع ان يستقي الجوانب الروحية بشكل صحيح وكامل والدليل على هذا هو ما نجده واضحا في تعامل رجال الكنيسة والمرتبطين بها مع الدين المسيحي حيث آمنوا ببعض الكتاب وكفروا بالبعض الاخريل واخفوا وحرفوا وجحدوا الكثير من التعاليم السماوية التي جاء بها السيد المسيح(ع) ومن سبقه،كما اخبرنا بذلك التاريخ والقران الكريم.

ثانيا:ظلم الكنيسة للشعوب الاوربية: ان سيطرة رجال الدين وطغيانهم لفترات طويلة واعتبار البابا ظل الله على الارض لايمكن محاسبته وامتلاكهم للاقطاعات الواسعة واستخدامهم الاساليب الماكرة في استغلال الفقراء (كبيعهم صكوك

الغفران) وغيرها من الممارسات ،فهذه كلها ادت الى ابتعاد الاوربيين (كردة فعل طبيعية بعد امتلاكهم لحقوقهم المدنية بعد الثورة الصناعية وقيام المدن الصناعية الضخمة)عن كل ماهو روحي او له صلة بالدين ،فضلا عن اعتمادهم على المنهج التجريبي الذي اثمر نتائج عملية مذهلة ساهمت في تطورهم المادي واسهم في ظهور مدارس فكرية وفلسفية وسياسية تعتمد على الحس والمادة ،وهذا الامر تطور بسرعة بعد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فطبع الحضارة الغربية بطابع المادة وجردها عن الروح بشكل كبير.وكان من جرائها الكفران بالغيب وكل ما يمت بصلة الى الدين ،وتوجه الغرب نحو المادة بكل قوته واعتبرها الاصل في الوجود ،وهذا ادى الى نكران الله سبحانه وتعالى واليوم الاخر والذي له المدخلة الكبرى في.استقامة سلوك الفرد والمجتمع عند معظم الشعوب الاوربية .

3. المبحث الثالث:

الحريات في الغرب:

- منشأ الحريات:يبين لنا التاريخ الاوربي ان نشوء الحريات عندهم قد قام على اسس مشتركة مع بقية البشر من جهة العموم كونها حاجة اساسية اصيلة في

النفس الانسانية ،لكن تطورها مفهوما ومصداقا قد تميز به الغرب عن غيره ،وان مفهوم الحرية يختلف باختلاف المجتمعات الانسانية ووجهات النظر لدى قادة الفكر والعلم عند الامم،فهناك تعاريف عديدة تنطلق من وجهات نظر العلوم الانسانية المختلفة.

فمن وجهة نظر علم النفس: (فهو القدرة على تحقيق الفعل الارادي دون الخضوع للمؤثرات الخارجية وانما مصدر لافعال الذات نفسها وعبر ارادتها).

وفي علم الاجتماع: (هو الحالة التي يتمكن فيها الفرد ان يفعل ما يريد في حدود القانون دون ان يتعارض ذلك مع حرية الاخرين).

وفي علم الاقتصاد الاشتراكي: (هو الملائمة بين الاعمال وما تقتضيه ضرورات المجتمع والطبقة) .

وقد طرح الرئيس الامريكي (روزفلت) عام 1941 مفهوما شاملا للحرية واكد على انه يشمل الحريات الاساسية الاربعة التي ينبغي ان تسود العالم وهي (حرية التعبير،حرية العبادة،حرية التحرر من الخوف،وحرية التحرر من الحاجة).

ونستخلص مما تقدم ان الحرية بانواعها المختلفة ملازمة للذات الانسانية وضرورية لوجودها لكي تتحرك باتجاه تحقيق كمالها المنشود،ولا يختلف هذا الامر عند البشر في كل زمان ومكان ولكن الذي يختلفون عليه هو فهمهم للحرية مرتكزا و منطلقا،حركة و فعلا خارجيا ،وهذا الاختلاف يرجع الى عقيدة كل امة من الامم ،والاختلاف بين البشر سنة جارية الى ان (يقضي الله امرا كان مفعولا) الانفال/42.

— انواع الحريات: تعد الديمقراطية القاعدة التي تستند عليها الحضارة الغربية،فالديمقراطية تمثل الحريات الاساسية الاربعة التي تنضوي تحتها كل الانواع الاخرى (الفكرية،الدينية،السياسية،الاقتصادية)وهي حجر الزاوية في ثقافة الغرب ،والاطار الفكري الذي تدور فيه المفاهيم والرؤى الغربية عن الانسان والحياة والكون والمجتمع "واعتبار ان الانسان حر له ان يفعل ما يشاء ولا قيد عليه

الاعند اصطدام حريته بحقوق وحرريات الآخرين"هو المنطلق الذي تنطلق منه حرية الانسان الغربي.

ومن الحرية الفردية انبثق النظام اللبرالي باوجهه المختلفة ، وشعاره الخالد(دعه يمر،دعه يعمل) والذي جاء تجسيدا عمليا لردة الفعل عندهم ضد الظلم والاستغلال الذي مارسه الكنيسة والاباطرة ضدهم ،وهذا الشعار (المبدأ)انبثق من حكم الشعب لنفسه وبنفسه والذي جاء احياءاً للموروث اليوناني الذي استلهم الغرب منه قيمه الحديثة .

اما الحرية الدينية فهي قائمة على اساس القيم الفردية التي يؤمن بها النظام الراسمالي ،فللفرد الحق ان يختار ما يشاء من عقائد وافكار واراء ومواقف عملية،لكن دون مساس بالانظمة والقوانين القائمة ،لهذا كانت عندهم مسألة فصل الدين عن الدولة مسألة اساسية ،لان الدين للانسان والوطن للجميع ،وان الدولة تعتبر الراعية لمصالح الافراد بغض النظر عن اهوائهم وعقائدهم والتي هي مسألة شخصية بحتة.

اما النظام الاشتراكي ،فهولا يعدو كونه غير ردة فعل طبيعية لسلبيات ومآسي النظام الراسمالي، وقد حاول منظرو الفكر الاشتراكي تاسيس نظاما شاملا للحياة قائم على المادة (كنظيره الراسمالي) يهدف الى تحقيق السعادة للانسان ولكن عبر تقييد الحرية الفردية بشدة ودمجها بالحرية الجماعية والتي انتهت اخيرا بفرض دكتاتورية البروليتاريا على الجميع لتنتقلهم الى المراحل التالية وصولا الى الشيوعية التي يتحقق فيها المجتمع السعيد بالغاء الطبقات والدولة(كما يدعون) .

. المرتكز الاخلاقي للحرية:تعرف الاخلاق بموجب الفكر الوضعي (بأنها مجموعة القواعد الاخلاقية المنظمة لسلوك الناس و الموجهة الى الحفاظ على الكيان الاجتماعي ككل والى تطويره).و لقد ارتكزت المفاهيم الاخلاقية في طلب الحرية عند الغرب على المادة ،وبحسب هذه النظرية الوضعية فأن القواعد الاخلاقية تتغير تبعا للتطور التاريخي للمجتمع.(و هذا الاساس المتغير الذي يحكم القواعد

الاخلاقية و التي تتغير تبعاً له (فيتغير تبعاً لذلك الحسن والقبح العقليان في الأخلاق طبقاً الى نظرية التحول والتبدل في المادة وتطورها. وعلى هذا الاساس الخطير قامت عندهم القواعد و التشريعات ،و منه نفهم سر تبدل القيم والاعراف في المجتمعات الغربية ،وأن ارتباط المفاهيم الأخلاقية بنشأة التغير والتحول ادى الى تغيرها و عدم ثباتها و اتصافها بالنسبية و التحول عند الغرب. فأرتباط مفاهيم الشرف و العفة و النزاهة و غيرها انما هو ارتباط قائم على النسبية و التغير بحسب تحول و تطور المادة، و هذا الامر انسحب على المفاهيم الاخلاقية المرتبطة بمبدأ الحرية عند الغرب. و بالاجمال، فأن قيام القواعد الاخلاقية في الحضارة الغربية على المادة المتغيرة ادى الى آثار خطيرة في الحياة الغربية. فقد افتقدت حياتهم قيم الايثار و الثقة و التراحم و التبادل و جميع الاتجاهات الروحية الايجابية. وهذا متأني من قيام القاعدة الاخلاقية لمفهوم الحرية الغربية على اساس الفردية الملية للشهوات و الملذات المادية .و هكذا نجد ان الغرب اراد بقوة ان يتحرر من الظلم الاجتماعي ، فسقط في عبودية المادة لانه طلب الحرية من الجانب المادي لا من الروح و هذه عاقبة الاختيار السيء .

4- المبحث الرابع:

الديمقراطية ونظام القيم والجزاء :

لقد قامت الحضارة الغربية الحالية و تأسست على المادة وقيمها ومنفصلة " لاسباب وردت في الدراسة " عن (المثل الاعلى) و هو (الله سبحانه) و من يمثله على الارض ، و اعتمدت هذه الحضارة على نفسها في انشاء منظومتها الحضارية ، لاغية من سعيها التوجه الى الله سبحانه في حركتها الغائية ، و على هذه الحركة المادية قامت رؤاها الحياتية المختلفة لحركة الانسان و الطبيعة و الكون، سواء كانت رأسمالية لبرالية ام شيوعية او غيرها . و على هذا فأنا لانستطيع القول بأن الحضارة الغربية

الحالية ، استطاعت ان تقدم تفسيراً و اجابات وافية و كاملة عن الحياة و حركتها الغائية وفق منظومة فلسفية محكمة. و بناءً على ما تقدم، يمكن القول: ان النظام الرأسمالي يفقد الفلسفة التي لا بد لكل نظام اجتماعي ان يرتكز عليها، و هو بكلمة، نظام مادي و ان لم يكن مقاماً على فلسفة مادية واضحة الخطوط.

- منظومة القيم:

١-القيم الاخلاقية: كما هو معلوم فإن الاخلاق في الحضارة الغربية تقوم على الجانب المتغير في نشأة الانسان و المتمثل بنشأة (المادة) لانشأة الروح الثابتة.فتتغير تبعاً لذلك قواعد السلوك الاخلاقي تبعاً لتبدل الزمان والمكان وتطور الفرد والمجتمع من الناحية المادية، وهذا ما يلاحظ على مجمل حركة الاخلاق في تاريخ الحضارة الاوربية فارتباط الحرية الغربية بالحضارة انما هو ارتباط يتغير تبعاً لتغيرالقيم الاخلاقية وطبقاً الى هذا الفهم تتحرك الحرية ضمن هذه المساحة ضعفاً وشدة وكيفا وكما .

فعلى سبيل المثال لا الحصر ، فان مفهوم الحشمة المقابل لمفهوم التعري قد تغير بفعل تطور المجتمعات الغربية من الناحية المادية فما كان محتشماً في القرنين السادس عشر والسابع عشر على مستويات التصرف والزي قد تغير بشكل كلي في القرن العشرين ، حتى اصبح من المألوف رؤية النساء والرجال عراة تماماً في نواد خاصة معترف بها وبكل حرية ،بل وبات تجول النساء والرجال شبه عراة على شواطئ البحار والمساح شئ طبيعي ولا تعرف في وجه احد منهم النكران او الاستغراب بل صار من المستغرب رؤية العكس تماماً في مثل هذه الاماكن .وكذلك فقد اتسعت الحرية الجنسية الى حد الابتذال وبات من الشائع اصدار قانون يحمي الشواذ جنسياً ويعطيهم الحق في اختيار شركائهم المثليين.

وثمة نقطة مهمة لا بد من الاشارة اليها ،وهي ان القيم الاخلاقية في الحضارة الغربية القائمة على احترام الحرية الفردية ،وغض النظر والتسامح لما يمكن ان يفعله الفرد كسلوك معين يتاصل بتقادم الزمن في سعيهم وحركتهم ، انما يكتسب احتراماً لازماً

ومطلوبا في عرف الحضارة الغربية ،وان كان في نفسه قبيح اصلا،فهم يعتبرون هذه المفاهيم نسبية متغيرة لامطلقة وثابتة خالطين بذلك بين جانب الروح (الذي لايعترفون بتاثيره المعنوي المجرد) والجسد ، في اطار الحس والمادة فقط .

ب : قيم المنفعة: ان فضاء الحرية الذي يتحرك فيه الانسان الغربي انما هو محكوم بقيم المنفعة المادية بشدة ،فعلى (اساس الموازنة بين اللذة والالم يتخذ الانسان افكاره ومصالحه ومعتقداته)وهذا يعني ان قيم المنفعة المادية القائمة على طلب اللذة الحسية والمعنوية المرتبطة بالحس هي التي تتحكم بسلوك الافراد وتحدد مسار حياتهم اليومية وحركتهم الغائية في الحياة،ولا يوجد لقيم المنفعة الآجلة (المتمثلة بالحياة الاخرى) أي تاثير يذكر على سلوك الفرد والمجتمع عند الغربيين ،وعلى هذا الاساس فان مكنم الخطورة في قيم الحضارة الغربية المادية لاتكمن في درجة تاثيرها على الشعوب الاوربية فقط، وانما بسبب انتشارها في العالم بقوة وسرعة نتيجة تطور وسائل الاتصالات والمواصلات خصوصا بعد ثورة المعلومات،وانهيار المعسكر الشيوعي وضعف وانحطاط وتخلف بقية شعوب الارض.وتزداد الخطورة وتتضاعف في العالم الاسلامي بسبب ضعف التزام المسلمين بشريعتهم والتوجه بقوة نحو التمثل بقيم الحضارة الغربية .

ج . قيم النظام: ان قيم النظام التي تحكم الحرية في الحضارة الغربية تتمحور حول انحطاط العلاقة بين الحاكم و المحكوم و التوجه الغائي المطلوب تحقيقه في هذه المنظومة، وان اهم ما يميز هذه العلاقة هي بعدها الواحد الذي يهتم بالجانب المادي والحسي في الحياة ولا يربطها بهدف سام ومثل اعلى مطلق.

وان مفهوم السلطة والدولة كانا متحدين منذ افلاطون ،حتى جاء (جان حاك روسو) بنظرية العقد الاجتماعي لتدخل الشعب كعنصر ثاني في تكوين الدولة الى جانب السلطة ،باعتباره مصدر للسلطات ، لا التفويض الالهي الذي كان سائد لقرون طويلة.

ومن هنا نشأت أولى بذور الديمقراطية التي تقول بحكم الشعب لنفسه بنفسه . ومع تطور المجتمعات الأوروبية من جهة ، واستجابة للتحدي الذي مثلته الدكتاتورية النازية والفاشية والشيوعية من جهة أخرى فقد انبعثت من جديد وبقوة فكرة المجتمع المدني والذي يمثل ردا مناسباً للحد من قدرة الدولة وسيطرتها المطلقة عبر المنظومة الحضارية الغربية.

وان هذه المنظومات الجديدة المنبعثة من التطور التاريخي للبرالية الرأسمالية في الغرب تقوم بتنظيم العلاقة بين الحكومة والشعب وتوازن بشكل عملي بين الحاجة الفطرية للحريات وقوانين الاجتماع العام الذي يكفل تطور المجتمعات ويصونها. وفي هذا الصدد يقول (هيغل) : "لا يستطيع احد ان يحقق مجموع اهدافه دون ان يدخل في علاقة مع الآخرين، فالآخرون ليسوا اذن الا وسائل من اجل تحقيق اهدافه الخاصة، والفرد لا يصل الى ارضاء حاجاته الا بان يعطي الآخرين وسائل اشباع حاجاتهم في العادة " فتبادل المنفعة والمصالح والتطور التاريخي هو الذي افرز قيم الحضارة الغربية وطورها لكي تتسجم مع تطور المجتمعات الغربية. وهذا يؤكد ما ذهبت اليه الدراسة "والقول للباحث الاستاذ احسان العارضي" وهو ان الواقع الانساني بجميع ابعاده وخصوصا البعد الاقتصادي هو الذي افرز منظومة القيم في الحضارة الغربية ، بينما نجد العكس في الحضارة الاسلامية والتي تعتبر الفكر (ممثلاً بالعقل المطلق) هو الذي افرزها وهذه مفارقة مهمة يجب اخذها بنظر الاعتبار عند المقارنة بين الحضارتين.

- منظومة الجزاء: يمكن القول ان مسألة الاقرار بالقانون واحترامه والاذعان له هو من اهم شرائط المجتمع المدني في الحضارة الغربية، ولهذا كان لا بد من اعتبار القانون الذي يحكم علائق الاجتماع العام سيد المجتمع وفوق الجميع منزلة ، سواء كانوا حاكمين او محكومين، وقد وضع المشرع الوضعي في الحضارة الغربية مجموعة جزاءات نرى من الضرورة بمكان استعراضها ولو بشكل موجز . لبيان مدى تحقيقها للاهداف التي وضعت من اجلها، وهي:

ا- **الجزء السلبي** :وهذا الجزء يتشكل من ضغط القيم الاجتماعية المحدد لحرية الافراد في المجتمعات الغربية ،وهذه القيم والاعراف الاجتماعية تستند في قوتها وتأثيرها على الضمير الداخلي الذي يؤثر بنسبة معينة تبعا لثقافة الفرد وإيمانه بالنظام الاجتماعي .وان الذي يحدد عدم اقدام فرد سوي على السرقة او القتل او الخيانة وغيرها من الاعمال القبيحة في المجتمعات الغربية ،هو الالتزام بالقانون الاخلاقي الذي اشار اليه الفيلسوف الالمانى(ايما نويل كانط) الذي تقرره القيم الاجتماعية والضمير الداخلي الحي مع العلم ان مصادر الالتزام الاخلاقي تتبع من جهتين:

الاولى: هي قوة الضغط الاجتماعي .

الثانية : قوة الجذب الروحي الداخلي المستمدة من المثل الاعلى وهو قوة اوسع واعظم من الاولى.

ب . **الجزء الايجابي** :ان منظومة الجزء الايجابي الموجود في الحضارة الغربية ولكي تتجز على ارض الواقع تستلزم قبول افراد المجتمعات الغربية لطبيعة القوانين المراعية لحاله الاجتماع عندهم والمنبثقة من توافق او توازن حرج توصلت اليه المنظومة الاخلاقية للحضارة الغربية بين مصالح الافراد ومستلزمات النظام الاجتماعي العام عبر تطوره التاريخي التراكمي آنا بعد آن . وقد اسست نظم المكافأة والترقية المادية والمعنوية للافراد بما يفضي الى انسجام الفرد مع مجتمعه باعتبار تبادل المنافع والمصالح بينهما ، وان سن هذه النظم للافراد يتناسب بشكل طردي، وبالمقابل سنت نظم جزائية للعقاب ايضا ، وان هذه الجزاءات الايجابية وغيرها تجعل الناس في الغرب قادرين على تادية ادوارهم الاجتماعية المختلفة ، بما في ذلك توجيه الشؤون العامة مع اقرار العدل الاجتماعي ما امكن ذلك بين افراد المجتمع .

ج . **الجزء الخارجي** : قامت المنظومة الجزائية في الغرب على اساس الايمان بحرية الفرد والمحافظة ما امكن عليها . وتضييق النظم الجزائية الى الحد الادنى

المقبول والذي لا يمكن تخطيه نزولاً، لان فيه حفظ الانتظام الاجتماعي العام. وعلى ذلك شرع قانون حقوق الانسان والذي.استند على اصالة الحرية الفردية وكذلك شرعت قوانين الجزاء التي تتناول القضايا التي يحدث فيها خرق للنظام الاجتماعي العام في المجتمع الغربي،والذي يؤكد في روحه على الجانب المادي والمعنوي في الحياة الدنيا فقط .

وان منظومة الجزاء الغربية ترتبط بمقدار المنافع والمصالح،والمزايا التي من المؤمل الحصول عليها من خلال كسر اوتجاوز هذه القوانين والتشريعات باتجاه الحصول على المنفعة وتحقيق المصلحة الفردية .

وبالاجمال،يمكن القول: ان اضعاف البعد الروحي في النفس (الضمير) نتيجة اهمال المنظومة الغربية المادية له ومن ثم تكييفه لأجل الحصول على المنافع الدنيوية فقط،هو النقطة السلبية التي تؤشر على البناء الفلسفي والاخلاقي للحضارة الغربية .

5 . المبحث الخامس:

الديمقراطية والاسلام:

. نظرة مقارنة بين الديمقراطية الغربية والحرية في الاسلام : وللوقوف على ذلك بموضوعية لا بد من بيان اوجه الافتراق والاتفاق والقوة والضعف بين الحرية الاسلامية والديمقراطية الغربية والتي يمكن اجمالها بما يلي :

1 . ان منشأ الحرية في الاسلام يرتكز على عقيدة التوحيد وينطلق منها في تأسيس قيمها المختلفة ،فالتوحيد حاكم على جميع الرؤى والتشريعات في الحضارة الاسلامية ،فالاقرار بعبودية الله تعالى يمثل البوابة الوحيدة للدخول في رحاب الحرية الحقيقية ، فعند ما يقوم الانسان المسلم بنفي سلطان الاغيار عن نفسه فانه يمتلك الحرية الحقيقية والتامة .بينما نرى في المقابل ان منشأ الديمقراطية قد استند على المادة ومنها انطلقت وتحركت لتؤسس قيمها الخاصة فكانت المفاهيم المادية التي ابتدعها المذهب التجريبي . والذي احتاج ركيزة تاريخية يستند عليها ، فكان ان وجدها في معطيات الحضارة اليونانية ذات الجذور الوثنية .

2 . ان الحرية في الحضارة الاسلامية (وباعتبار تعلقها بالله سبحانه وتعالى ونفي ماسواه) فانها تكون في حالة رفض واع ودائم لكل الوان العبودية والقهر والاستغلال وكل انواع الظلم والطغيان. اما الديمقراطية الغربية (بمفهومها الواسع المستبطن للحريات المختلفة) فباعتبار تعلقها بالانسان نفسه ومنه واليه وعلى المستويين الفردي والجماعي ،فهي لاتستطيع الا ان تدور مدار الانسان نفسه المحدود،دون ان تتقدم خطوة ابعد الى الامام ،لأنها لاتستطيع ذلك كونها خرجت من عبودية الغير لتسقط في عبودية الشهوات والملذات الحسية (فصار الانسان الاوربي يتصرف كما يحلو له دون ان يخضع لاي سلطة خارجية).

3 . بما ان العلاقة الموجودة في الحضارة الغربية قائمة على اساس المنفعة الذاتية والمصالح الانسانية للفرد والجماعة ، فاننا لانجد مجتمعا تتجسد فيه قيم الايثار والثقة والتراحم والتعاطف الحقيقية الا ماندر بينما نرى في المقابل ان القاعدة الاساسية التي تقوم عليها العلاقات في الحضارة الاسلامية هي الاخلاق التي بينها بل ورسمتها الشريعة الغراء والتي تهدف الى سمو الانسان والانسانية الى افاق رحبة مملوءة بالثقة بالمستقبل وموسومة بميسم الرحمة والمودة والتكافل والضمان الاجتماعي .

4 . ان الحرية في الحضارة الاسلامية تستبطن الرقابة الداخلية ومفرداتها العملية والمرتبطة بالخوف من الله سبحانه فـ (راس الحكمة مخافة الله) .بينما لانرى في الحضارة الغربية تائيرا للرقابة الداخلية المرتبطة بالله تعالى كما هي عند الاسلام ، وانما هي مرتبطة بمنظومة القيم والاعراف الاجتماعية ونزعة الرحمة الانسانية المودعة في النفس الانسانية فطريا.

5 . لجهاد النفس(الجهاد الاكبر) كما عبر عنه الرسول (ص) تاثير كبير واساسي في تحرير الانسان من ريقه الشهوات وسلطان النفس الامارة بالسوء . والجهاد الاكبر يمثل بوابة لازمة للدخول في الجهاد الاصغر للانسان الملتزم،والذي يمثل رفضا واعيا وحقيقيا لكل الوان القهر والاستعباد والظلم والعدوان ،وهذا الامر مفقود

تماما عند الحضارة الغربية، لأنها لاتضع لحدود الحرية الفردية حدا سوى اصطدامها بحرية الآخرين .فللفرد ان يلتبس الوسائل التي تحقق منافعه واغراضه سواء كانت مشروعة او غير مشروعة ، وهذا الامر ينطبق على الجماعة مثلما ينطبق على الفرد.

6 . ان منشأ الديمقراطية في الحضارة الغربية قد جاء كاستجابة .لردود الافعال الحاصلة ضد الاستغلال والظلم والحيث والطغيان الذي مارسته الكنيسة والاقطاع والملوك في الغرب فكان ان سعت شعوب اوربا لتطلب بقوة نظاما للحكم يجافي النظم السابقة الظالمة.بينما نرى في الحضارة الاسلامية، ان نظام الحكم فيها يقوم على النص(عند الشيعة الامامية)والشورى(عند اهل السنة) باستناد الطرفين على ادلة عقلية ونقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

7 . ان ايمان الحضارة الغربية بالمساواة التامة يتوافق مع ما جاء في الحضارة الاسلامية عن المساواة .لكن هذه المساواة مفتوحة وممتدة تشمل الجميع دون قيد او استثناء في الحضارة الغربية، ولايوجد معيار اخلاقي للتفاضل بعد خط شروع الحركة الانسانية الذي جعلته الحضارة الاسلامية واحدا للجميع ،ومنه ينطلق سعي الذكر والانثى ليكون التفاضل والتمايزالذي يحكمه معيار واحد وهو التقوى .

(ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)الحجرات/13 وهذه الضابطة مفقودة في الحضارة الغربية المادية ،بل ان الذي يحكم التفاضل والتمايز في السعي والحركة الانسانية للذكر والانثى عندها هو المادة المتمثلة (بالجاه والسلطة والمال).

8 . تؤكد الحضارة الاسلامية دائما على اعطاء العقل الدور الاساس في جميع المجالات الحياتية ليساهم في عمليات البناء الاجتماعي والعلمي ،بعد تحرير الارادة الانسانية من ربة الاغلال والشهوات والاصنام التي تكبلها وتمنعها من الانطلاق والحركة.بينما نرى ان الارادة الانسانية في الحضارة الغربية قد تقيدت باصر الشهوات واغلال المادة ،فحصلت عندهم الوان كثيرة من العبودية للشهوات والملذات

والاهواء النفسية ،ولهذا لم تستطيع الحضارة الغربية ان تخلق وعيا عقليا يستطيع بموجبه الانسان ان يختار الاختيار الواعي والحر السليم من بين الخيارات الحياتية الماثلة امامه يوميا.

9- ان الحرية الاقتصادية في الحضارة الاسلامية تعي كغاية مطلوبة،ضمان رفاه الفرد والمجتمع وتحقيق التكامل الاجتماعي عبر تقنيات دقيقة للتحكم بالمال، مثل الزكاة والخمس والصدقات والتبرعات والهبات والوقفيات ورد المظالم والجزاء المادية .هذا من جهة ،ومن جهة ادارة النشاط الاقتصادي، فقد اتاحت التشريعات الاقتصادية الاسلامية المجال الكافي لحركة الاستثمار والانتاج ضمن ضوابط شرعية تكفل عدم الاحتكار والاستغلال،لكن الحرية في الحضارة الغربية تعني اطلاق النشاط الاقتصادي دون قيد او ضمان يكفل للمتضررين جراء التنافس التجاري لراس المال الا بقدر ماحاولت وتحاول الاتحادات المهنية وبعض المنظمات المختصة من انتزاع بعض الحقوق بعد معارك مريرة مع اصحاب رؤوس الاموال.

10 . وقد يقال،بان الديمقراطية في الحضارة الغربية ،انها تقوم على اساس مصلحة الفرد في النظام الاجتماعي القائم،وان الهدف الشخصي بنفسه يحقق المصلحة الاجتماعية ،وان تحقيق المصالح الفردية يكون عن طريق الدوافع الخاصة .وهذا الراي يكذبه الوجدان ، والواقع يقول عكس ذلك تماما،لان هذا الشعور يكون مغيبا تماما اثناء الانشغال الشديد والتوجه التام لتحقيق المصالح الفردية. وبما ان المصالح الفردية تتصادم فيما بينها بحسب قوانين السوق الحر ، فيحدث الاستغلال وسوء ادارة الموارد.

11 . يقوم مبدأ الديمقراطية على ان الشعب مصدر السيادة وصاحب السلطة الحقيقية ويباشر ممارستها بحسب الطريقة التي تلائمه والتي تحقق اهدافه في الحرية والعدل والمساواة،وعلى ذلك فالناس يمنحون انفسهم حق الاقتراع والانتخاب المباشر او غير المباشر لفرد او هيئة تقوم برعاية شؤونهم وادارة الحكم ،بينما تؤكد الحضارة الاسلامية على حاكمية الله سبحانه وتعالى وانه مصدر السلطات وليس الشعب كما

يذهب الغربيون اليه، وان البيعة (بالتصويت او الانتخاب) للحاكم الولي انما تأتي لتفعيل الواقع عن طريق اختيار الناس ورضاهم ودخولهم في طاعة تلك الحاكمة المشروطة بالتقنين الدستوري لها، ومن دون مشاركة الناس تبقى مسألة الحكم وشرعيته منقوصة وغير تامة.

- الاليات الديمقراطية خيار اضطراري في عصر الغيبة : بعد فراغ الساحة من المعصوم المنصوص عليه (على رأي الشيعة الامامية) بعد دخول الامام المهدي (عج) في الغيبة الكبرى وانقضاء الخلافة الاسلامية بعد انهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى عام 1918م (على رأي اهل السنة) كان لابد للمسلمين من نصب حاكم يحكمهم (وحيث لم يصلنا دليل على النص والتعيين الخاص من جانب الله تعالى واوليائه المعصومين "ع" في عصر الغيبة فاننا نطمئن الى ان الشارع اوكل امر الانتخاب والاختيار الى الناس انفسهم ضمن المواصفات والشروط التي حددها الشارع) فنصب الحاكم لادارة امور الناس منوط بالناس انفسهم عبر الانتخابات والتي تضمن (الى حد معقول) حصول المواصفات المطلوبة في الحاكم.

فالحاكم سواء كان بالولاية (كما هو عند الشيعة) او بالانتخاب عن طريق تشاور اهل العقد واختيارهم للحاكم (كما هو عند اهل السنة) هو ضرورة لاغنى عنها لأدامة انتظام السلوك الاجتماعي للمجتمع، وتهيئة السبل لنموه وتطوره وازدهاره، ومن هنا نفهم ان خيار الحكومة الاسلامية انما يبنى على اساس اختيار شخص الحاكم الملتزم والاعلم بالشرعية وملاكات الاحكام ومقاصد الشارع المقدس والذي لديه الاهلية القيادية اللازمة للحكم والسلطنة. بينما يقوم مبدا الحكم عند الغرب (على رأي مونتسكيو) على ثلاث . مرتكزات اساسية هي (التقوى والفضيلة والشرف والخوف او الرعب)

فالاول ينبغي ان يكون اساسا للجمهورية

والثاني ينبغي ان يكون اساسا للملكية الدستورية

والثالث ينبغي ان يكون اساسا للحكومة الاستبدادية.

اما التقوى والفضيلة ليس مقصود بها التدين او الاتصاف بما يعتبره علماء الاخلاق من الصفات الحسنة، وانما المقصود بها حب الوطن والمساواة وان يحب الدولة اكثر من نفسه، وهو يرى ان الجمهورية على قسمين:

ا- ديمقراطية: ويكون الحكم فيها بيد الكل، وحينئذ لولا التقاني في حب الوطن والمساواة لفسدت الدولة وانهارت الحكومة، فالشيء الوحيد الذي يحفظ الدولة عن الفساد والانهيار هو شيوع التقوى والفضيلة.

ب: الارستقراطية: ويكون الحكم فيها بيد النخبة.

وللتعامل مع الاليات الديمقراطية كخيار وحيد دون التجاوز على مبادئ الاسلام ومفرداته الحياتية العديدة **لابد من ملاحظة محورين:**

الاول: المحور الشرعي: وهذا المحور يتعامل مع السؤال ذو الصبغة الشرعية حول جواز ام عدم جواز الاخذ بالديمقراطية الغربية كآليات عملية في الحياة السياسية للمسلمين. وقد اجيب عنه بانه يجوز ذلك وانه ممكن ضمن دائرة الفراغ الفقهي أي انه (ليس في الشرع ما ينهي عن الانتخابات بل هي من باب الوكالة وهو باب من ابواب الفقه يتناوله المختصون بتفصيلات كثيرة وهي "اي الانتخابات السياسية "ضرورية للبلد لان اغلب المواطنين لاعلم لهم بخفايا السياسة ولا بمناوراتها ولا بمصالح البلد ومضاره، فيستحسن بهم ان يعطوا وكالتهم لمن ينوب عنهم في تدبير الامة، بل قد تكون المساهمة في الانتخابات واجبه شرعا اذا توقف عليها حفظ سلامة المجتمع وسلامة المسلمين) وهذا ما تؤكد عليه المرجعية في العراق وخارجه.

الثاني: المحور العملي: ينشأ الاخذ بالآليات الديمقراطية كونها آليات عملية لاتملك ايدولوجية معينة لتكون بديلا للعقيدة والنظام التشريعي الاسلامي، هذا **اولا** . **وثانيا**، ان مبدا مشاورة جميع الناس في امور الحكم وغيره من المسائل التي تمس مصالحهم وحياتهم مسالة متعذرة في الوقت الحاضر، لبلوغ اعداد الناس

الملايين،فلامناص من اللجوء الى الانتخابات والتي تمثل بهذا الاعتبار تفويضاً من الامة الى جماعة معدودة تنوب عنها في المشاورة في (البرلمان) والذي يعتبر ضرورة لا بديل عنها،لتحصل الشورى المطلوبة لتنظيم حياة الناس،ويكون (البرلمان)المنتخب بمثابة اهل الحل والعقد (كما يقول اهل السنة) والناشئة من تعاقد بينهم وبين الامة في عصر الغيبة.

وقد يعترض البعض من انصار النظام الديمقراطي اللبرالي على تحكيم الشريعة الاسلامية في عمل النواب المشرعين في (البرلمان) والرد على هؤلاء يأتي بنفس المبادئ التي يقوم عليها النظام الديمقراطي ،وهو الالتزام بمبدأ راي الاكثرية وانصياع الاقلية (مع احترام رايها وخصوصيتها)للاكثرية.وبما ان نسبة المسلمين في العراق والبلدان العربية والاسلامية الاخرى تقترب من الـ(90%) او تزيد.عليه يجب ان يكون الاسلام هو دين الدولة الرسمي ومنه تستمد القوانين والتشريعات، لا كما يذهب نظام التشريع الغربي اللبرالي الذي يلتزم بمبدأ سيادة الشعب كونه مصدر السلطات والتشريع.

ومن الآليات الديمقراطية الاخرى التي يمكن اعتمادها في البلاد الاسلامية غير آلية الانتخابات،**التعددية الحزبية والتداول السلمي للسلطة** وحاكمية القانون ومنظومة الحريات العامة .

فالتعددية الحزبية تشمل قبول الطرف الاخر واعطاءه نفس الفرصة للحركة والعمل .

اما التداول السلمي للسلطة فهو يدخل ضمن الثقافة اللبرالية الغربية باعتبار ما قررره،ان الحاكمية للشعب الذي يختار لنفسه ما يرى انه الافضل ،وليس الله سبحانه كما هو في الاسلام.

وخلاصة القول: اننا نقبل بالآليات الديمقراطية ،كاليات عمل نضطر اليها في زمن الغيبة ولكن ضمن تكييفات تحل الاشكالات المثارة،ووفق مبادئ الشريعة الاسلامية.

. المزايا الايجابية والسلبية للديمقراطية :

اولا :المزايا الايجابية في الديمقراطية :

- 1 .تنوع اساليب الممارسات الديمقراطية وبالتالي (يمكن تبني انظمة مختلفة من خلال انتقاء الكفاءات القادرة على تحمل المسؤولية التي يفوضها لها الشعب)
2. ان التعددية الحزبية التي تتبعها الديمقراطية تمثل عامل قوة ونضج للدولة.بينما يؤدي عدم اعطاء الحرية اللازمة للتعبير الى ضعف الدولة وتفتتها.
- 3- للرأي العام تاثير قوي في صياغة السياسة العامة والمشاركة الفعالة في القرارات الحكومية فالشعب يستطيع اسقاط الحكومة رغم تمتعها بثقة البرلمان.
- 4 .تزيد الممارسة الديمقراطية الوعي السياسي والثقافي وتجعل مسألة القبول بالآخر مسألة طبيعية بالاضافة الى ان الديمقراطية تزيد من الشعور بالانتماء الوطني للأفراد لأنهم يشعرون بانهم يشاركون في الحكم وتقرير امور البلد.
- 5 . الديمقراطية كنظام تبقى اكثر النظم الوضعية تحقيقا للعدالة الانسانية بمفهومها النسبي لا المطلق واقربها الى العقل والمنطق واهدأها كممارسة واسلمها وارقاها نتائجاً.
- 6- ان الاليات المعتمدة في الديمقراطية تحول دون تسلط الطغاة وذلك بوجود شرط لازم فيها وهو مبدا تداول السلطة سلميا عبر صناديق الاقتراع ،فبدلاً من تداول السلطة بشكل عنيف ودموي كما حصل في الماضي اصبح صندوق الاقتراع هو الفاصل بين المتنافسين على السلطة.وان القبول بهذا المبدأ في البلاد الاسلامية يكون حينما لا تتوفر الامكانية لاقامة حكومة وفق العقيدة الاسلامية فهو خيار اضطراري مقبول عند الجميع ويضمن للجميع عند تفعيله الحيلولة دون تسلط الطغاة.
- 7 . في الديمقراطية مزية المساواة لجميع افراد الشعب بممارسة دورهم في الانتخابات دون ضغط او اكراه من احد سواء كانوا ناخبين او مرشحين ،ويتم عن

طريق الانتخاب ترشيح المسؤولين في السلطات الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية.

8 . وفي الديمقراطية مزية اخرى الا وهي تساوي جميع المواطنين امام القانون دون تمييز .

9 . وفي مبدا الديمقراطية المجال الكافي لتنظيم قوى الشعب المختلفة ضمن اطر الرقابة الجماهيرية عن طريق الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني والتي تمثل حلقة وصل بين الحكومة والمجتمع .

10 . وفيها اتاحة الحريات العقائدية والاجتماعية وسبل ضمانها في الدستور والقوانين الفرعية .

11 . وفيها مزية ضمان مصالح المجتمع العامة عن طريق اختيار الشعب الحر لمن يستطيع الحفاظ على المصالح الوطنية وتحقيق الشعارات الانتخابية المرفوعة .

ثانيا:المزايا السلبية في الديمقراطية :

1 . هناك احتمال قوي لسيطرة نظام او حكومة مستبدة ،مستغلة التأييد الجماهيري لها،وانخداعهم باطروحاتها وشعاراتها المرفوعة ،وهذا ما حصل في المانيا النازية حينما فاز هتلر بمنصب المستشارية عن طريق الانتخاب وكذا حصل في ايطاليا عندما سيطر موسوليني على السلطة .

2 . اهمال حقوق الاقلية ،وهذا يحدث عند فوز جهة معينة باكثرية مطلقة فيتم تجاهل الاقلية وسيادة حكم الاكثرية ولو كانت الاقلية لديها من الاسباب ما يبرر موقفها .

3- الديمقراطية لاتمثل كنظام حكم ممارسة الشعب للسلطة كما يدعي انصارها وانما هي في الواقع حكم الاقلية المنتخبة .

4 . في الآليات الديمقراطية امكانية لصعود افراد لايمتلكون الكفاءة والخبرة اللازمة، فضلا عن الاخلاص، الى سدة الحكم .

- 5 . بوجود التنافس الحزبي وتعدد القوى الساسية يمكن للاختلافات والتناقضات في المواقف لهذا التعدديات ان تضعف الدولة وتعطل مصالحها وتفتت وحدتها.
- 6 . لايمكن تحديد الخطا وتشخيص المخطئ لاشتراك مجموعة في اتخاذ القرار الذي يتوزع عليهم.
- 7 . في الازمات والكوارث والافواق العصبية التي تمر بها البلاد لابد لها من وجود رئيس قوي يمكنه اتخاذ اجراءات سريعة وحاسمة وقوية ليسيطر على الوضع وينقذ البلاد . وهذا الامر مفقود في الديمقراطية لانه لاينسجم مع مبادئها القائمة على التعددية واختلاف الاراء والمواقف
- 8 . امكانية التلاعب بال جماهير وتجبير اصواتها لصالح جهة معينة بسبب قوة وتطور الوسائل الدعائية المختلفة التي يمتلكها البعض . وهذا يؤدي الى ضياع الحقوق بسبب عدم قدرة الجماهير على تمييز المخططات المشبوهة المسوقة بذكاء ومكر شديدين .
- 9 . لامتلاك الديمقراطية الضمانات الكافية لمنع اتباع المصالح الفردية الانانية وتقديمها على المصلحة العامة ذلك لان فلسفتها تقوم على جانب واحد هو الجانب المادي المحدود .
- 10 . ان النظام الديمقراطي يقطع سلسلة الحياة الانسانية فيهمل بدايتها ونهايتها ويركز على حاضر الانسانية فتاتي تلك التشريعات ناقصة مبتورة تزخر بالنظرة المادية العلمانية التي تضع فيها الاخلاق فيعلوا منسوب الجشع والاقبال على اللذات الحسية ما جعل المجتمعات الراسمالية تضج بالمآسي والانحطاط الاخلاقي .
- 11 . ان منظومة الديمقراطية قائمة على مبدا فصل السلطات وهذا المبدأ يتنافى مع ما قررته الشريعة الاسلامية بان الحاكمية لله تعالى . حيث تستند على الشعب وخياره وليس الله تعالى .وعلى مبدا فصل الدين عن الدولة والسياسة والحياة التي تنظم جميعها بالتشريع الوضعي لا الالهي،وهذا ما لا يقبله الاسلام

الذي يرفض العلمانية الغربية التي تسقط مكانة الدين من الاعتبار السياسي والاجتماعي وحصره في النطاق الفردي.

12 . واخيرا فان توجيه انظار المسلمين الى الحضارة الغربية المادية باعتبارها الحل والملاذ والدعوة لها بحجة مسايرة التقدم والتطور واعتبارها مثالا اعلى واسوة حسنة يجب الاقتداء بها ، يساعد الاستعمار وقوى الاستبداد والاستعباد على تحقيق اهدافها .

6 . المبحث السادس:

المكر الايديولوجي الغربي في العالم الاسلامي:

وفي هذا المبحث نحاول لقاء الضوء على المحاولات المحمومة والماكرة في تكييف المصطلحات السياسية والدينية والاجتماعية وبما يخدم مصالح الغرب الاستعمارية وتسويقها بآلته الاعلامية الجبارة وبرجالته المنتشرين في كل مكان محاولين سلخ الثقافة الاسلامية الاصلية عن البنية الفكرية للمجتمعات الاسلامية. واستبدالها بانموذج هجين لا هوية حضارية له ، والمكوّن من المفاهيم الغربية وبعض المفاهيم الاسلامية التي تقبل التاويل والتكييف . وبذلك تتم السيطرة الثقافية (وهي الاخطر) بعد ان تمت السيطرة المادية على الاسلام واهله ، وسوف نختار من هذه المصطلحات الالهة والاكثر خطورة على المجتمعات الاسلامية :

. الديمقراطية: لقد نجحت الادارة الامريكية في نشر مفهوم الديمقراطية وفق ماتريد في العالم ورسخته بقوة في اذهان شعوب العالم، واستطاعت عبر امكاناتها الاعلامية المتطورة ان توجه الرأي العام العالمي وفق طروحاتها فباتت الديمقراطية كايديولوجية (وهنا مكنم الخطر باعتبار تكوينها الغربي الذي يثبت حاكمية الشعب بدل حاكمية الله تعالى) مستساغة ودخلت هذه المفردة بكل تفصيلاتها في الادبيات السياسية والاجتماعية لمثقفي العالم ، ولم يجد مفكروا العالم الاسلامي والعربي غضاضة في التشديق بها ، بل واعتبارها من مقتضيات المدنية والتطور لكن مكنم الخطر في تسويق مصطلح الديمقراطية هو في المساعدة على تبديل النظرة الاسلامية الى الانسان والكون والحياة والوجود، وتبني النظرة المادية الغربية والقائمة على اساس الحرية الفردية (البرالية) والتي تتعارض

مع الحرية وفق مبادئ الحضارة الاسلامية. وان العمل بمبدأ الديمقراطية(كخيار استراتيجي) انما يؤدي في النهاية الى تحييد الدولة وفصلها عن الدين الاسلامي، كونه يندرج ضمن مفاهيم المنظومة الغربية في الحكم والمقيدة (للاحكام الاسلامية) اولاً، وصولاً الى الغائها نهائياً بعد ان تترسخ جذور الديمقراطية الغربية ولوازمها بقوة في المجتمعات الاسلامية .

- العلمانية: العلمانية كلمة غربية المنشأ والاستعمال واخذت شكلها الحالي نتيجة للتطور التاريخي لعملية الصراع السياسي الديني والاجتماعي في اوربا والذي يركز اساساً على ردة فعل عنيفة ومبررة ضد التسلط الكنسي ، على شكل رفض كل ما هو مقدس وغيبى في الحياة الغربية . وقد قاد هذا الاتجاه مفكرو اوربا ابتداءً بـ (بكراسيوس الاول) الذي طرح نظرية (السيفين) في العصر الوسيط الذي(اكّد ان شؤون الروح والخلّاص الابدّي من اختصاص الكنيسة والامور الدنيوية من اختصاص الحكومة الدنيوية، لكن لا يوجد تقاطع بين الاثنين لسيادة روح التعاون والاسناد، ثم تطورت الطروحات العلمانية في افكار " دانتي، وماسيلو بادو " حيث طالبا باستقلال الدولة وهدم نظام السيطرة البابوية، واسس القانون الكنسي).

وان فكرة فصل الدين عن الدولة والحياة في اوربا لم تاتي من فراغ بل جاءت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتطور الذي اصاب البنية الاجتماعية للغرب، نتيجة للكشوفات العلمية والتطور العلمي الذي اعتمد المنهج التجريبي و الوصفي في حركته، وقد حطمت النتائج العلمية الباهرة المسلمات التي اعتمدتها الكنيسة وفرضتها قسراً بوصفها جزء من التعاليم المسيحية على العقل الغربي (رغم انها لم تكن قائمة على اسس من منطق علمي او دليل فلسفي كالايمان بان الارض مركز العالم، فلما انهارت هذه العقائد في ظل التجارب الصحيحة تزعزع الايمان العام، وسيطرت موجة من الشك على كثير من هذه الازدهان).

ومن هنا جاءت دعوة علماء الاجتماع في الغرب وعلى رأسهم الالمانى (ماكس ووبر) الى تحرير الطبيعة الانسانية من معانيها الدينية لتشمل كل النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتخليص المجتمعات من الفكر الدينى الغيبي .

- المواطن والمواطنة والوطن : ان منشا هذه المفاهيم يرتبط ارتباط عضوي بالتطور التراكمي التاريخي للشعوب الاوربية خصوصا بعد النهضة الصناعية وقيام المدن الصناعية الكبرى بعد انهيار الاقطاع والنظم المستبدة وانزواء الكنيسة عن الحياة السياسية و الاجتماعية العامة .

ولقد اتخذ هذا التطور منحى خاصا دعا من خلاله الى بعث النزعات القومية وتاكيد خصوصيات الشعوب الاوربية وتميزها عن بعضها بحيث اهتمت اللغة اللاتينية السائدة في دور العلم والعبادة (الكنيسة) وحلت محلها اللهجات المحلية بعد ان اكتسبت الصفة الرسمية الخاصة بكل مجتمع اوربي .

وبذلك التقت الدولة القومية مع فكرة حكم الشعب لنفسه بنفسه (فاصبح الشعب يعتبر الدولة دولته ويطالبها بمرور الزمن بالاعتراف بحقوقه).

وبغية تنظيم العلاقات الجديدة في الدول القومية ، دعت الحاجة الى اصدار قوانين وتشريعات ملزمة للجميع ، حدد بمقتضاها انماط علائق الحكم في الدول القومية وبذلك تطور مفهوم المواطنة مع بقية العوامل الاخرى وتحدد بالشكل الحالي، لكن جذوره التاريخية مستمدة اصلا من الفكر السياسي الروماني والاثيني،والذي ساهم بانجاحه وتطوره فكر عصر النهضة والتنوير،وبذلك اقر كحق ثابت في الحياة السياسية.

ونستخلص مما تقدم ان مفهوم المواطنة قد نشأ وترعرع في رحم المجتمعات الغربية واعتمدته الحضارة(الغربية) كجزء اساسي لاغنى عنه في منظومتها الثقافية والحقوقية،وهذا ادعى لنا بان نتفق مع (برنارد لويس) الذي اكد على ان مفهوم المواطنة مفهوم غريب تماما على الحضارة الاسلامية،لان سبب غياب

مفهوم المواطن كمشارك والمواطنة كعملية مشاركة بين افراد المجتمع الاسلامي يرجع الى ان حاكمية الله سبحانه ورسوله والذين امنو هي المادة الاصلية في الحضارة الاسلامية، قال تعالى(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيره من امرهم) الاحزاب/36. وبما ان المفهوم الاسلامي للجماعة يستند على القاعدة التوحيدية والتي تؤكد على الحاكمية لله ورسوله ولمن يرتضيه نصا ، حاكما على الامة الاسلامية ، لذلك تختلف مفاهيم الوطن والمواطنة والحقوق وغيرها ،الموجودة في الغرب لما لدى الاسلام ، وهذه نقطة مهمة يجب الالتفات اليها بعناية.

فالاسلام في منظومته الحضارية يؤكد على ان الوطن عند الاسلام هو كل بلاد المسلمين التي تحكم بالحكومة الاسلامية الشرعية ، وبالقانون الالهي المبين في القران والسنة ولا يقوم على اساس التعاقد الاجتماعي الذي ينبثق من سائر المفاهيم المتصلة بالدولة وعلاقات الحكم ، كما هو عند الغرب.

- المجتمع المدني : لقد تطور المجتمع المدني في اوربا وازدادت الحاجة اليه بعد ظهور الدكتاتورية الفاشية في ايطاليا بقيادة مو سيليني والنازية في المانيا بقيادة هتلر والشيوعية (دكتاتورية البروليتاريا)بزعامة ستالين في الاتحاد السوفيتي . فكانت التجارب المرة مع الاستبداد قد ادت الى نشوب حرب عالمية ثانية"1939 . 1945م"دمرت اوربا بشكل شبه كامل ، واثرت على الاوضاع العالمية بشدة فكان ذلك من دواعي قيام مؤسسات مجتمع مدني فعالة وقوية لتمثل احد الضمانات الاساسية دون عودة الاستبداد مرة اخرى .

والمجتمع المدني بطبيعة الحال يمثل نظاما مؤسساتيا قام ابتداءا كرد فعل اجتماعي ضد طبيعة السلطة الشمولية وهيمنة الكنيسة في اوربا ونقض لنظام المجتمع الديني . الاقطاعي في اوربا .

وبناءً على ما تقدم يمكن القول:ان التحولات والحوادث الجارية في اوربا منذ عصر النهضة والى يومنا هذا والتي شملت المجالات الفكرية والسياسية

والاجتماعية وغيرها هي التي افرزت منظومة المجتمع المدني الغربي بينما نرى في الحضارة الاسلامية ، ان المجتمع المدني الاسلامي هو مجتمع قائم على اسس التوحيد، فلم يكن هناك مجتمع او امة بالمعنى الحقيقي في العصر الجاهلي، فمفهوم المجتمع المدني غربي الاصل والنشأة والتطور ، وانما دخل في الثقافة الاسلامية المعاصرة ليحل محل المفاهيم الاسلامية فيما يتعلق بالعلائق الاجتماعية ، ووصم كل من يقف مناهضا لمفاهيم الحداثة والتطور والتي تقول بان الانسان هو صانع التاريخ بعيدا عن الدين والميتافيزيقيا بانه رجعي او متحجر او شمولي .

وثمة نقطة مهمة في هذا المجال وهي ان فلسفة المجتمع المدني ترفض ان يكون للدولة دين رسمي تتحاز اليه على حساب بقية الاديان.

ويقول "الان تودين" في هذا المجال: (يتماهى الفكر الليبرالي بالديمقراطية، عندما يرفض تماهي الدولة باحد المعتقدات الدينية، او باي سستم قيمي من شأنه ان يكون بمنأى عن حساب السيادة الشعبية، وغالبا ما كان تخوفه من الدولة ومن الايدلوجيات والتعيينات الشعبية الكبيرة)

فهو ينظر الى الدين انه شان ارضي لا سماوي باعتبار نصوصه مقدسة انما تكون مقبولة عندما تحقق النظام الاجتماعي وتقر العدالة والحق . فهو في هذا يتساوا مع غيره من النصوص الوضعية ولا ينظر اليه على اساس انه من الله سبحانه.

نستخلص مما تقدم ان هناك تعارضا بين اصل المجتمع المدني الاسلامي مفهوما ومصداقا وبين المجتمع المدني الغربي.

- **الارهاب ((terrorism))**: ان مصطلح الارهاب مصطلح غربي ولا يوجد في القرآن الكريم او السنة الشريفة للمدلول الغربي سوى ما دل هذا اللفظ من معان اخرى لاتمت بصلة للمفهوم الغربي الشائع الان في الادبيات السياسية والاعلامية .

لفظة الارهاب بالمعنى الشائع حديثة في اللغة العربية . فلا يوجد لها اثر في المعاجم اللغوية القديمة وقد دخل اول مرة في المعاجم العربية الحديثة في مختار الصحاح عام 1962م.وقد جاء في الموسوعة العربية العالمية عن (الارهاب):(استخدام العنف او التهديد به لإثارة الخوف والذعر) اما لفظ الارهاب في اللغة الانكليزية(Terrorism) فهو يعني الذعر او الرعب ، اما الجذر التاريخي لمصطلح(Terrorism) في الثقافة الغربية فيرجع الى الفترة الاغريقية والرومانية، وقد اطلقت هذه المفردة لوصف الحكام الطغاة ممن استخدموا الاساليب الدموية مع معارضيههم ، وكذلك ايضا فقد اطلق هذا المصطلح على اليعاقبة(جماعة روبسبير) عقب الثورة الفرنسية وهؤلاء لجأوا الى المقصلة و العنف في التعامل مع خصومهم من الملكيين والبرجوازيين المعادين للثورة الفرنسية.

نستخلص مما تقدم ان جذور الارهاب التاريخية هي غربية المنشأ لاتمت بصلة الى الاسلام فقد ورد معنى الرهبة بمعنى الخشية من الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى:(يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واطعوا بعهدي اوف بعهدكم وايي فارهبون) البقرة/40. وقد جاء في الموسوعة السياسية في تعريف الارهاب بانه(استخدام العنف غير القانوني او التهديد به باشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف بغية تحقيق هدف سياسي معين). وفي الغرب عرف البعض الارهاب بانه:(الاستخدام غير القانوني للقوة او العنف والتهديد بهما من منظمة ثورية ضد الافراد والممتلكات مع نية اكراه الحكومات او المجتمعات لتحقيق اغراض هي غالبا ايدولوجية) وعرفت دول اخرى الارهاب الدولي بانه:(أي عمل من اعمال العنف يتهدد الارواح البشرية البريئة بالخطر او يقضي عليها او يتهدد بالخطر حرياتنا الاساسية ويؤثر في غير دولة واحدة ويهدف بوصفه وسيلة من وسائل الضغط الى تحقيق غاية محددة سياسية او ايدولوجية اساسا).

وهذه التعاريف لم تحدد الجهة القائمة بالارهاب، فكثير من الدول والمنظمات تستخدم غموض هذا المصطلح، لتسوق ارهابها ضد دول او افراد، باعتباره عملا مشروعاً كارهاب الدولة الذي يقوم به الكيان الصهيوني "اسرائيل" ضد الفاسطيين وارهاب الدولة الذي تستخدمه الدولة المستبدة ضد مواطنيها او ضد جيرانها او الدول الاخرى. وكذلك الارهاب الذي تلجئ اليه القوات الامريكية والبريطانية (الغازية) في العراق وافغانستان ومن البيان السابق نستطيع القول بان الربط غير المباشر بين الاسلام والارهاب بحسب المفهوم الغربي كما تسوقه بمكر وخبت شديد الادوات الاعلامية والثقافية في الغرب، انما يبتغي تعميم المفهوم الغربي لمصطلح الارهاب في الثقافة الاسلامية باعتبار ان الاسلام يحث على الجهاد وسفك الدماء ، وانه قد قام على العنف الدموي والغزو والحرب ، بينما الحضارة الغربية قائمة على اساس السلم والمحبة فهي افضل من الاسلام واولى بالاتباع. "وهذا احد اوجه الحرب على الاسلام!"

- حقوق الانسان : عندما ينادي الغرب وعلى راسه الولايات المتحدة الامريكية، بحقوق الانسان فهم ينادون بها بحسب المعايير والمقاييس والمبادئ التي وضعوها هم كي يلتزم بها الآخرون حتى ترضى عنهم امريكا والغرب ويمنون عليهم ببعض الطافهم من مساعدات غذائية او مادية او تعامل معين، فحقوق الانسان الغربية انما تستند في فلسفتها القائمة على التماثل والمساواة دون تفاضل بحسب التقوى والعلم والجهاد بقسميه الاصغر والاكبر كما هو في الحضارة الاسلامية، بل تنحصر مفردات التفاضل عندهم بحسب عالم المادة والجاه والسلطة والقوة وتنطلق من المصالح والمنافع الذاتية المدعومة برأي الاكثرية والرأي العام والناشئة من فلسفة العقد الاجتماعي التي يقوم عليها و يتقوم بها النظام الوضعي المعاصر لمعظم دول العالم.

واليوم تقف امريكا ملوحة بلاتحة حقوق الانسان امام بعض الدول التي تريد فرض هيمنتها وارادتها عليها ، علما بان جميع الدول الدكتاتورية في العالمين العربي

والاسلامي من جهة والعالم الثالث من جهة اخرى هي انظمة صنعها الغرب لكي تخدم اطماعه وتنفذ مخططاته في المنطقة.

فالكيل بمكيالين سمة الغرب عندما يتعلق الامر بمصالحة واهدافه التوسعية (وقد اثبت تاريخ الغرب الراسمالي بان الحق الاساسي الذي يهتم تحقيقه هو الاستمرار في جني الارباح ولو ادى ذلك الى نهب الشعوب واذلالها وافقارها .وان الغرب الراسمالي وان نص على مبادئ حقوق الانسان في دساتير دوله الا انه يخرقها في الواقع عندما يتعلق الامر بمصلحته واهدافه التوسعية واطماعه التي لاتنتهي).

. **مفردات اخرى:** هناك مصطلحات ومفاهيم غريبة لها استخدامات ومفاهيم مختلفة طبقا الى المرادات منها، وهذه بعض منها: (الاستقلال،حق تقرير المصير،الجمهورية،الملكية الدستورية) . ما تقدم غيوض من فيض، لكن الاخطر من ذلك هو الاخذ باسلوب التعامل الحياتي الغربي في حياة معظم المسلمين،حتى وصل الامر الى هجران المقاييس و المكايل الاسلامية (من فرسخ، وذراع،والمتقال،والصاع،والمد..الخ) وليس بعضنا القبة والكاسكيت الغربي بدل العمامة التي وصفها الرسول(ص) بقوله:(**العمائم تيجان العرب**) وصار من المستغرب او من الشذوذ ان يضع احد على راسه عمامة فوق لباس اسلامي بدل السروال او المعطف(الجاكيت)الغربي الذي يلبسه معظمنا الان.

وهذه ليست دعوة للالتزام بظواهر وقشور الدين كما فعل ذلك بعض السلفيين وتطرفوا في ذلك، ولكننا سقناها للدلالة على قوة المظاهر الغربية وانتشارها في حياتنا اليومية حتى باتت طرائق تفكيرنا ،وان ادعينا عكس ذلك . ونحن نعتقد بقوة ان الاسلام بدأ غريبا وعاد مرة اخرى غريبا.

الاستنتاجات:

من خلال هذه الدراسة يمكننا استخلاص الاستنتاجات الاتية:

. ان المفاهيم والرؤى والمبادئ الغربية هي التي تسيطر على الفكر الانساني برمته ومنه الفكر الاسلامي .

- ونتيجة لذلك اضحى معظم الناس(من مسلمين وغيرهم) يعتبرون هذه المفاهيم والافكار والرؤى الغربية امور مفروغ منها، وان محاولة الخروج عليها تمثل شذوذا فكريا وثقافيا غير مستساغ البتة.

. ان مشكلة المفاهيمية التي يعاني منها المسلمون اليوم تنقسم الى قسمين:
القسم الاول: ضعف التيار العقائدي للمسلمين وعدم وجود منظومة مفاهيمية متطورة تستجيب الى الحوادث الجارية وترد الهجمة المفاهيمية الغربية والتي ساعدتها بالانتشار تطبّع قطاعات واسعة من النخب المثقفة المسلمة بها.
القسم الثاني: عدم وجود منظومة مفاهيمية تحتية عملية تستطيع الاجابة على المعضلات التي تثيرها الحداثة والتطور التكنولوجي المتسارع وضعف الادارة والقيادة في الدول العربية والاسلامية.

فهرست الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
---------	--------

الاهداء

المقدمة

الباب الاول

في التراث العربي

عين بغداد "الكاظمية المقدسة" تاريخٌ مشرق

بغداد السلام في ذكرى تأسيسها

بنو ربيعة... رجال ومواقف

قضايا عربية ! التؤمان...العنصرية والحركة الصهيونية

الباب الثاني

في التراث الاسلامي

الاعجاز القرآني واثره على موقف العرب من القرآن الكريم

قراءة في كتاب الخنيزي (ابو طالب مؤمن قریش..دراسة وتحليل)

شذرات من السيرة العلوية

الامام الحسن الزكي "ع"...نفحات من السيرة العطرة

الحرية في الحضارة الاسلامية...مفهوماً وتطبيقاً

مقاربات موضوعية بين الاسلام والديمقراطية

الباحث في سطور

- الباحث محسن جبار العارضي، الكاتب في تاريخ ونسب قبيلة بني عارض في العراق.
- من مواليد محافظة النجف- المشخاب، عام 1949م .
- نشأ وترعرع في مدينة الكاظمية المقدسة - طرف الانباريين.
- عضو جماعة الاحاسن، احباب واصحاب شيخ بغداد أ.د.حسين علي محفوظ.
- عضو جمعية النهوض الفكري- الكاظمية.
- ساهم ولايزال(محاضراً او حضوراً)في معظم مجالس بغداد الثقافية
- كتب ولايزال في العديد من الصحف و المجلات البغدادية.

ابحاثه المنشورة

- هوامش على كتاب قبيلة بني مطير للكاتب مهنا الدويش المطيري
- هوامش على كتاب الضياغم، ج1 للباحثين جاسم الفهداوي ،جاسم الجعفري.
- هوامش على مسودتي (البرنامج والنظام الداخلي) للحزب الشيوعي العراقي المطروحة للمناقشة استعداداً لعقد المؤتمر الوطني الثامن للحزب عام 2008م.
- هوامش على كتاب (الحقيقة كما عشتها) للكاتب جاسم الحلواني.
- ثورة العشرين في ذكرائها الثامنة والثمانين .. احداث ومواقف
- ثنائية الاحتلال ام التحرير! ايهما تتقدم على الاخرى بعد اربع سنوات على انهيار الدكتاتورية؟
- في الذكرى الخامسة والاربعين لاغتيال ثورة الرابع عشر من تموز/1958
- ثورة العشرين في ذكرائها التاسعة والثمانين .. دروس وعبر .
- صفحة من تاريخ العراق في القرن العشرين(جمهورية 14 تموز /1958م)
- دور الاعلام في الثورة العراقية الكبرى عام 1920م
- صفحة من تاريخ العراق في القرن العشرين(الجمهورية الثالثة)
- لمحات من السيرة الذاتية للزعيم الوطني الراحل كامل رفعت الجادرجي.

مؤلفاته المطبوعة:

- بنو عارض... نسب وتاريخ ومواقف،بغداد 2003م.
- نافذة على التاريخ السياسي للعراق المعاصر،بغداد2005م.
- عراق ما بعد الاحتلال... دراسة تحليلية ،بغداد 2007م.

- تسعون عاماً على ثورة العراق التحررية الوطنية في 30 حزيران 1920م.



صدر للمؤلف

- بنو عارض نسب ، وتاريخ ومواقف ، بغداد - 2003 م .
- نافذة على التاريخ السياسي للعراق المعاصر ، بغداد - 2005 م .
- عراق ما بعد الاحتلال ، دراسة تحليلية ، بغداد - 2007 م
- 90 عاما على ثورة العراق التحررية الوطنية في 30 حزيران 1920 ، بغداد - 2010 م .

